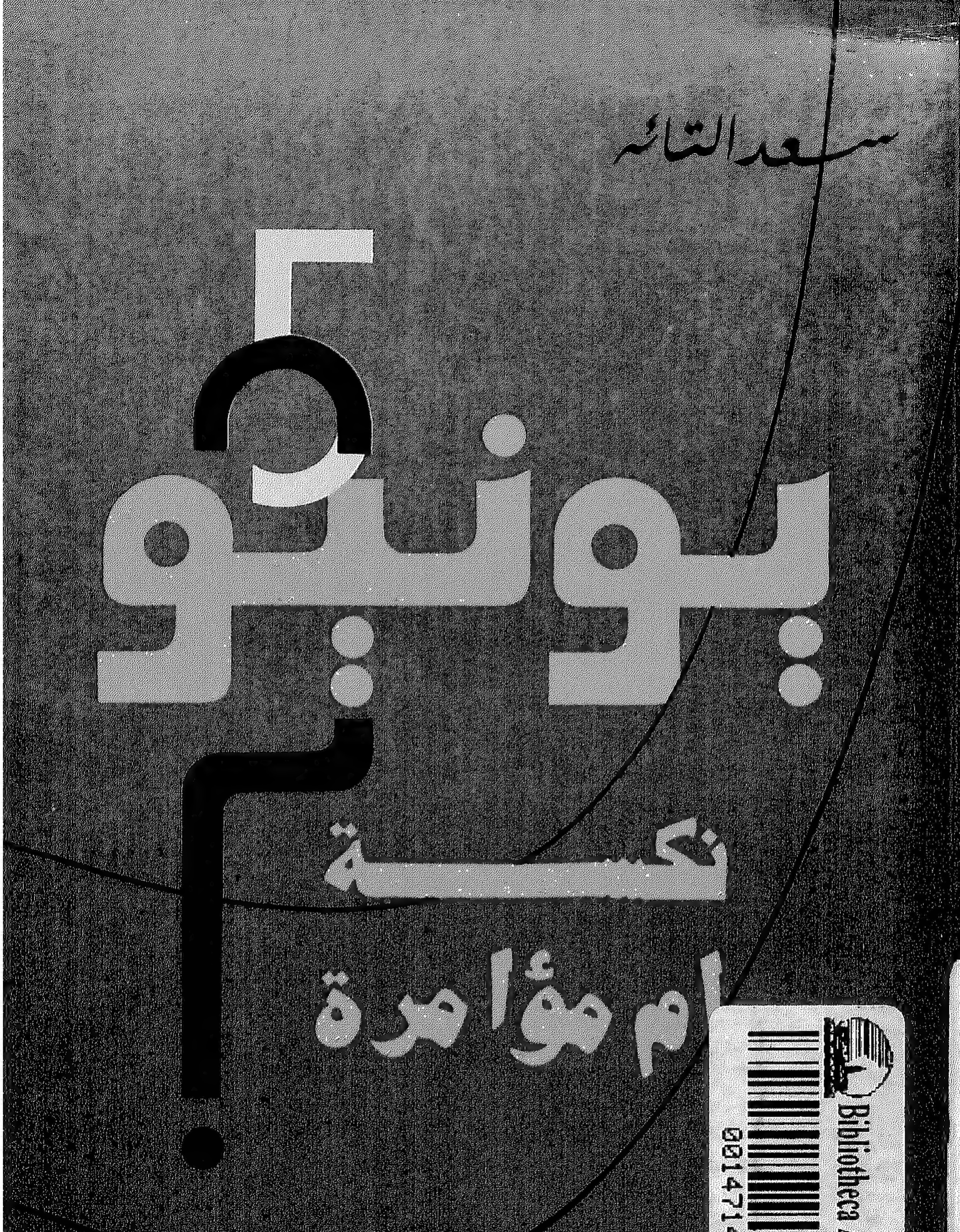

سعد التائه
5
يونيو
نكسة
أم مؤامرة
؟

5 يونيو

نكسة

ام مؤامرة

سعد التائه

5 يونيو نكسة أم مؤامرة!

دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الاولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ص.ب ٦٦٦٣ - ١١٣

المقدمة

.. فجأة .. وبدون سابق إنذار .. إنبرى قائد عسكري من قواد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ليدلي بدلوه ، في الحملة التي رسمت للنيل من عبد الناصر .. وهي في حقيقتها طعن في مصر .. وفي حركتها الوطنية .. بل خيانة للكفاح الوطني وللنضال الشعبي .. وكانت تمهيدا وتبريرا لسياسة الاستسلام . وخذلان الشعب العربي .. وسلب الشعب ما نال من حقوقه ..

.. الغريب الذي أثار الانتباه . مشاركة أحد قواد الهزيمة في هذه الحملة .. وزج نفسه في السياسة رغم إعتراض كبار العسكريين على دخول الجيش الى الاتحاد الاشتراكي بدعوى التخوف من دخول الجيش في السياسة !.

لماذا .. وكيف يتخلى رجل من كبار العسكريين من ثورة ٢٣ يوليو .. ويطعن رفاق السلاح .. ويحاول أن يشوّه ثورة قامت بها طليعة عسكرية ؟.

.. واباح لنفسه التحدث في الاقتصاد والسياسة .. ليطعن كل الانجازات الثورية .. الاجتماعية والاقتصادية التي حققتها الثورة ..

ولم تنشر كلماته.. أو مقالاته في مصر بل أفردت له الصحف الرجعية في الاردن والبحرين والكويت .. وغيرها، صفحاتها ليطعن القائد الذي اجمعت الشعوب العربية على زعامته. ويحاول أن ينال من الثورة التي فتحت الطريق أمام شعوب العالم الثالث..

كان لا بد من الرد ..

.. فتحت صحيفة « الوطن » الكويتية صفحاتها .. وبدأت في نشر المقالات .. وكان الموقف حرجا.. كانت الحقائق واضحة .. هل نحن امام « نكسة » أم « خيانة » .. وهل ما حدث كان « مؤامرة » أم « خيانة » ..

ولكن ، كان هناك ما هو اعمق .. إن ما حدث على أرض سيناء عام ١٩٦٧ ، لم يكن معركة عسكرية كان شيئا غريباً، لم يحدث في تاريخ الحروب .. ولم أجد ما يشابهه الا ما حدث في معركة « التل الكبير » ، عندما فتح بعض الخونة من ابناء الرجعية الطريق أمام قوات الغزو البريطاني ليدخلوا على جنود الجيش المصري نياما ويأخذوا في ذبحهم .

كنت ، كلما قلبت صفحات معركة ١٩٦٧ .. وكلمات الفريق مرتجى، ازداد إيماناً بأن ما حدث لم يكن معركة عسكرية بل « خيانة » .. كان الهدف الأول منها

ان يفقد الشعب العربي ثقته في كل المبادىء والانجازات التي حققتها الثورة . . وأن يفقد ثقته في نفسه وقدراته . . وأن يستسلم . .

. . وكانت « المعركة » ذات أبعاد متعددة . . ظهرت من أسلوب « الاعلام » الذي صاحب المعركة . . ومحاولة تصوير الفوضى والهرجلة التي حدثت على أنها « همجية » المصريين أوالعرب . .

. . ومحاولة التشكيك في قدرة السلاح السوفيتي . .

. . والطعن والتشهير بالصداقة السوفيتية . . وفي نفس الوقت محاولة ابراز عبث السوفيت في مساندتهم للشعب العربي . . .

. . والتشكيك في خطوات التأميم . . او تحالف قوى الشعب . .

بل أكثر من ذلك . . محاولة طعن فكرة التضامن العربي . . وعزل مصر عن العرب . . وتصوير ما حدث على أنه نتيجة خداع من سوريا او تواطؤ عربي . .

من هذا المنطلق ، بدأت في كتابة سلسلة المقالات في « الوطن » . . ولم يكن قد اتيح لي الاطلاع على ما كتبه امين هويدي عن المعركة . . ولم يكن قد صدر تقرير اللجنة الخاصة المشكلة من مجلس الشعب للتحقيق في أسباب هزيمة ٥ يونيو . . أو الدراسة التي قام بها أحمد حروش عن ثورة ٢٣ يوليو . .

. .

مضت ثلاثة أعوام على نشر « المقالات » . . وفي ٧ يونيو ١٩٨١ حدث العدوان الصهيوني على « المفاعل الذري » العراقي . . وأدركت أن العدو باختياره تاريخ العدوان ليكرر غدره ، إنما يريد أن يؤكد ما هدف إليه من عدوان ٥ يونيو . .

. . التشكيك في حركة التحرر الوطني .

. . عبث المساعدات التي تقدم الى العرب لتطوير حياتهم . .

. . التشكيك ، في الصداقة العربية السوفيتية امام العدوان الغادر .

. . محاولة تحطيم الارادة العربية والنيل من قدراتها . .

. . وأخيرا . . دفع الاقطار العربية الى الاستسلام امام عدو لا يقهر ! .

. .

وكان لا بد من فتح ملف ٥ يونيو ١٩٦٧ من جديد . . ورأيت ان اقدم ما كتبت من مقالات في كتاب ، حتى تدرك الأجيال القادمة ان ما حدث في ٥ يونيو لم يكن « وصمة » في جبين الشعب ، بل « خدعة » قذرة قامت بها العناصر المناوئة للشعب بالتواطؤ مع الاستعمار العالمي والصهيونية . .

. .

وبعد . .

لن تكون هذه الكلمة الأخيرة في أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ . . فهذا الكتاب ليس سوى محاولة أولى ، فكما قال عبد الناصر في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ :

« . . حرب ٥٦ لم نعرف اسرارها الا العام الماضي . حرب ٦٧ ، لن نستطيع معرفة أسرارها اليوم . . ولكن بعد سنوات . . » .

واني على ثقة ان اجيالا قادمة ، لم تلوثها قذارات المرحلة الحالية سوف تنبري لتبرئة الشعب مما حدث في ٥ يونيو . . او في كامب ديفيد سوف تثبت قدرات هذا الشعب العريق وتجدد حضاراته القديمة ليلحق بانسان العصر . . .

. .

إن هذا الكتاب يضم المقالات التي نشرت في صحيفة الوطن . . وتقرير لجنة مجلس الشعب . .

ورأيت أن هذا التقرير يحتاج الى تعليق . . كما أني أضفت الى المقالات ما جد من معلومات سواء ما جاء في كتابات أمين هويدي أو أحمد حمروش . . فهي تأكيد لما جاء في المقالات . .

وقسمت الكتاب الى ثلاثة ابواب :

الباب الأول . . مجموعة المقالات التي نشرت في جريدة الوطن .

الباب الثاني . . التعليق على تقرير لجنة مجلس

الشعب . . والمعلومات والاحداث التي جدت بعد كتابة المقالات .

الباب الثالث . . نص تقرير لجنة مجلس الشعب . .

وأخيرا . .

« أهدي » الكتاب الى الشعب المصري الصامد في نضاله الطويل من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية . ومن اجل حقه في الحياة . . ومن أجل غد مشرق تظلله الاشتراكية . . حلم البشرية .

سعد التائه

الباب الأول



«. . . وإني إذ كنت أكتب سيرة عرابي ، كانت تقدم في ذهني المفتريات التي افتريت عليه، ولكن ذلك لم يضعف قط احساسي بأنه كان شديد الاخلاص لقضيته ، متوقد الحمية في وطنيته ، شديد الأنفة في قوميته، وليس بضائره بعد ذلك ما يريد به المبطلون أو المغرضون . . ».

من كتاب
« احمد عرابي الزعيم المفترى عليه. . . »

وفي ٢٣ يوليو ، ٦٧ ، في عيد الثورة الخامس عشر . . قال عبد الناصر . . « حرب ٥٦ لم نعرف اسرارها الا العام الماضي . . حرب ٦٧ ، لن نستطيع معرفة اسرارها اليوم . . ولكن بعد سنوات » .

ومضت سنوات ، وما زالت وثائق المخابرات العالمية في مخابئها . . ولكن بين ايدينا اليوم بعض الاعترافات التي تكشف

جوانب مما حدث في تلك الايام . . وهي اعترافات شهود عيان واقوال عناصر اشتركت في صنع تلك الاحداث . .

ان كشف ابعاد ما حدث في ٥ يونيو وما اعقبها هو الرد على دعاة الهزيمة والاستسلام .

كانت الساعة الثانية ظهر يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ . . القاهرة اشبه بمدينة للأموات . . الشوارع خالية . . والوجوه صامتة ذاهلة . . والعيون زائغة حائرة . .

الحرب . . والانتصارات المزعومة . . ثم الهزيمة . . والأخبار تنشر كل شيء . .

كل شيء حدث فجأة الحرب . . والانتصارات المزعومة . . ثم الهزيمة . . والأخبار تنشر بدون اذاعة أو صحافة . . الضباط والجنود عادوا الى بيوتهم . العدو يتقدم الى ضفة القنال . . الجيش المصري ينسحب في هرجلة . . ويرتفع صوت المذيع . . « عبر العدو القنال » . . وتستمر الاذاعة . . « ايها المواطنون . . يا ابناء مصر . . الوطن في خطر . . » ! .

لحظات قاتلة . . والناس تتساءل في همس صامت لا يبرح الصدور، هل يصل العدو الى القاهرة ؟، الطريق مفتوح ؟، أين العدو الآن ؟ . هل احتلوا الاسماعيلية ؟ . هل هم في الطريق ؟ . هل تدخل القوات الصهيونية القاهرة ؟ .

وتلوح امام الاعين هزيمة عرابي ودخول القوات الانجليزية الى القاهرة . . هل تتكرر المأساة ؟ .

الساعات تمر ثقيلة رهيبة . . والشوارع ما زالت خالية الا من القلائل الحائرة الماخوذة . .

.. واخيرا ,, يرتفع صوت المذيع بنبأ «رسالة عبد الناصر الى الشعب . . » .

وتعلقت الجماهير بالخيط الرفيع . . وظلت الدقائق والثواني تمر بطيئة ثقيلة في انتظار كلمة ناصر . .

وتأتي الساعة السابعة . . والشعب كله صامت ينتظر ويترقب امامأجهزة الراديو . . وأمامالتلفزيون . . ويظهر عبد الناصر وعلى وجهه كل الام اللحظة . .

وتكلم القائد . . وتحدث عن المعركة . . والمأساة . . وظروف المحنة . . ثم جاءت كلماته قاطعة . .

« لقد قررت ان اتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي . وأي دور سياسي . . وان اعود الى صفوف الجماهير اؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر . .

« ان قوى الاستعمار تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها . . وأريد ان يكون واضحا امامهم انها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر . . » .

ولم يكد عبد الناصر ينتهي من رسالته الى الشعب حتى اهتز العالم، كما لم يحدث من قبل في التاريخ . .

النساء . . الرجال . . الاطفال . . الشيوخ . . العجائز . . الشباب الشابات . . كل الشعب . . ماذا حدث ؟. وكيف حدث ؟.

. . تدفقوا كقطرات الماء من الحواري والازقة والشوارع . واذا بالقطرات سيول . . وأمواج تعقبها أمواج تتدفق هادرة من أعماق القاهرة وأطرافها . . وهتافات كرعد السماء . . « ناصر . . ناصر » .

ولا تهدأ القاهرة حتى الصباح . . ومن أعماق مصر من قراها البعيدة . . من الجنوب والشمال . . من بورسعيد والاسكندرية ، تموج الجماهير وتتدفق الى القاهرة . . . . ويعلو الهدير من دمشق وبغداد والكويت والخرطوم وعمان والقدس . . هتاف واحد . . وصوت واحد . . « ناصر . . ناصر . . » .

وصدى الانباء يجلجل في العالم . . وتتناقل وكالات الانباء في دهشة ما حدث . . فلم يعد امامها الا أن تقول . . « عبد الناصر يعود . . »

وعاد « عبد الناصر » بارادة الجماهير العربية . .

كان يوم . . وكانت ليلة . .

● المأساة

ما هي حقيقة ما حدث ؟. وما هي ابعاد المأساة ؟. وكيف تحولت هزيمة جيش في معركة الى « نكسة » مأساوية لتحطم شعبا وامة ؟.

من فعل هذا ؟. من كان وراء الهزيمة . . ومن الذي أراد ان يحولها الى « نكسة » ؟!.

منذ البداية ، رفض الشعب منطق النكسة ، وكان خروج الملايين الى الشوارع في الليلة الظلماء ، تصديا لدعاة الاستسلام ، ورفضا لمنطق التسليم ، واصرارا على استمرار القتال ، وتصميما على المقاومة . . والسير في طريق الثورة . .

وانهالت الخطابات من ابناء الشعب الى عبد الناصر ، تتساءل لماذا سميت ما حدث « نكسة » . . ان قوات الامبراطورية البريطانية انسحبت من دنكرك في ابشع هزيمة . . . . وخرج جنودها عراة مجردين من السلاح . . وكان ذلك خلال الحرب العالمية الثانية ، ولم يجد تشرشل ما يقوله سوى انهم لا

يملكون الا الدموع والعرق . . ومع ذلك لم تطلق انجلترا على ما حدث . . « نكسة » !.

فما الذي دعا الى الاصرار على هذه التسمية . . وظل ينفخ فيها ويضخم ابعادها . . اراد ان يفرضها على مصر . . والعالم العربي ؟!.

. . حاول عبد الناصر ان يضع الجماهير امام الاحداث بصدق . . حاول ان يعطي الصورة الحقيقية . . ولكن القوى الرجعية . . والقوى المضادة كانت تعمل بذكاء خارق . . فاسقطت كل ما قاله عبد الناصر . . وضخمت من الهزيمة . . وجعلت « النكسة » شعارا ورمزا للمرحلة . . وكانت بذلك تمهد الاستسلام للعدو . . والرضوخ لمطالبه . .

ولم يكن خافيا ان مطالب العدو ، كانت تتركز في عدة نقاط . .

اولا : الغاء القطاع العام .

ثانيا : الغاء الاتحاد الاشتراكي .

ثالثا : اخراج الوجود السوفيتي من مصر .

رابعا : انسحاب مصر من دورها العربي .

وكان ذلك كله تمهيدا لربط مصر بالمعسكر الامبريالي ، ودخولها في حلقة السيطرة الاميركية . . وفتح ابوابها امام التغلغل الصهيوني . . ولم تكن هذه المطالب سرا . . بل اذيعت ونشرت في الصحف . . وتناقلتها وسائل الاعلام . .

وكانت امريكا تدرك ان وجود عبد الناصر عقبة في سبيل تحقيق مطالبها . .

ومنذ اللحظة الاولى . . قالها عبد الناصر في اول عيد للثورة بعد الهزيمة . . قال بصدد استقالته التي رفضتها الجماهير . .

« . . كنت أريد أن يعرف اعداء الامة العربية ان المسألة ليست عبد

الناصر ، ولا مطامع عبد الناصر كما يقولون ، فان نضال الشعب المصري بدأ قبل عبد الناصر ، وسوف يستمر بعد عبد الناصر . . »

وهذا ما أكدته انتفاضات الطلبة في القاهرة والاسكندرية . . وانتفاضات العمال في المحلة وحلوان . . والفلاحين في بيلا . . ثم انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير . . كما اكدته على المستوى العربي احداث لبنان . .

وقال عبد الناصر . .

« الهدف هو القضاء على الثورة الاجتماعية ، والثورة الاشتراكية . . » . وهذا ما يحدث اليوم بالفعل . .

وقال عبد الناصر . .

« . . اميركا انضربت في بيرل هاربر ، وانسحبت القوات السوفيتية امام الالمان الى مسافة ١٠ كيلو مترات من موسكو . . وتقهقرت القوات الانجليزية والفرنسيةوانسحبت من دنكرك حافية عارية الاقدام . . » .

وقال . .

هدف العدوان ليس سيناء ، ولكن هدفه بث اليأس واسقاط الامل . . وبعد ذلك تسقط المبادىء ، وتسقط الثورة الاجتماعية . .

كل هذا قاله عبد الناصر في خطاب الاستقالة، وفي خطاب العيد الخامس عشر للثورة بعد الهزيمة . .

وكان هذا كافيا لأن يضع الهزيمة في حجمها الطبيعي ، وان تنتهي موجة اليأس والضياع .

ولكن القوى الرجعية والقوى المعادية استطاعت ان تمضي في « الحرب النفسية » بعد ان فشلت في تحقيق أغراضها بالعدوان . .

واتخذت هذه الحرب أبعادا متعددة . . فاجتاحت مصر والعالم العربي موجة

غريبة من النكات المؤلمة الساخرة تطعن في كل ما هو مصري او عربي . .
وتمادت النكات وتناولت شخصية الزعيم وأسرته بالفاظ بذيئة لم يتعودها الشعب المصري . . وكانت بعض النكات طعنا في الكرامة الوطنية ، بل تمادت لتطعن كثيرا من المقدسات . .

ومن ناحية اخرى اخذت الاذاعات والصحف الغربية تعقد المقارنات بين قوة اسرائيل وقوة مصر . . وتضيف الى اسرائيل قوة امريكا !!

كان اجتياح « الحرب النفسية » للعالم العربي بعد هزيمة ٥ يونيو، ابشع واقسى من الهزيمة نفسها . . كان هدفها الانسان نفسه في مصر والعالم العربي . . واستطاعت العناصر الرجعية والعميلة ان تبث روح اليأس وان تنشر جراثيم القنوط والعجز والتمزق النفسي . .

ومن المؤلم انها نجحت في فرض منطق « النكسة » !!.". بل ارادت ان تعلن الحداد . . وان توقف اذاعة الاغاني والموسيقى !! . .

وفي نفس الوقت ظهرت موجة كتب الطعن والهجوم ضد عبد الناصر ، وكان اولها « لعبة الامم » الذي تناقل كلماته المثقفون ، وكأنهم يحملون أسرارا رهيبة ضد عبد الناصر . .

. . وعشرات من الكتب والمقالات باقلام رجال المخابرات . . واقلام معروفة مشبوهة . .

. . وصمدت جماهير الشعب البسيط . . أو قوى الشعب العامل، كما أطلق عليها الزاعيم الراحل . . صمدت للحرب النفسية كما صمدت من قبل في مواجهة الهزيمة . ..

وبدأت تظهر بوادر انتصارات صمود الجماهير في حرب الاستنزاف . . واغراق « ايلات » . .

ومات عبد الناصر بعد ان اعد جيش مصر ليوم خالد .. هو يوم « بارليف » ..

.. وعلى الرغم من الروح التي ابداها الجندي المصري والعربي في معركة اكتوبر وما اكده الانسان المصري والعربي في هذه المعركة من قدرات خارقة اذهلت العالم .. الا ان منطق « النكسة » ما زال سائدا ..

● الحقيقة .. والخداع

.. الاسئلة الحائرة كثيرة، بعضها وجد الاجابة.. والبعض الآخر ما زال ينتظر مرور الايام..

وقال عبد الناصر في اول خطاب بعد النكسة .. كلمات هامة وخطيرة.. ولكنها مع الاسف مرت بنا دون تفكير ..

قال ..

« .. والحقيقة انا في احساسي كنت اشعر دائما من سنتين، انه في حاجة تدبر ضدنا من ايام قطع المعونة الاميركية .. ومن ايام التهديدات التي كانت توجهها امريكا .. » !.

ماذا كان يعني عبد الناصر بهذه الكلمات.. وماذا كان يقصد بالاحساس .. ثم ماذا كان يدبر ؟. وهل كان ما يدبر عدوانا ام مؤامرة داخلية ؟!.

وفي خطاب آخر .. قال ..

«دا احنا نشوف النهارده الناس بتشتغل بوشين ، ما هو بيقول لك انا امسك العصابة من الوسط هو انا عارف حا يحصل ايه ؟ - ما هو الاستعمار

قوي والاستعمار قادر ، ويقول لك امريكا مش حاتسيبنا . . » ، اننا امام حقيقتين وضعهما عبد الناصر . .

الاولى . . المؤامرة التي كانت تدبر . .

الثانية . . دور العناصر الانتهازية . .

فهل كانت هناك حقا مؤامرة تدبر ضد الثورة وضد المكاسب الاشتراكية ؟ .

يكشف لنا اللواء حسن البدري ، سرا اذيع لاول مرة ، عندما قال . .

« . . لقد جاءنا المشير عبد الحكيم عامر يوم ١٠ يونيو في القيادة العامة . . يوم ١٠ يونيو الاسود ، فوجد الحيرة والحزن تسيطران علينا فوقف قائلا . .

« ايه يا اولاد . مهمتنا ليست القضاء على اسرائيل . . دا انا في ٦ ايام اطيرها من سيناء ، واقضى عليها ، المهم القضاء على عبد الناصر . . » .

وعبر عبد الحكيم عامر بهذه الكلمات ان نائباً للقائد الاعلى للجيش، لم يكن يهمه مواجهة اسرائيل، ولكن الهدف عنده هو التخلص من عبد الناصر. .

وهكذا تلاقت اهداف المشير عامر مع اهداف لجان وزارة الخارجية الاميركية التي قررت الاطاحة بناصر . .

وتكشف مذكرات الفريق البدري عن حقيقة ثانية . تجعلنا نمسك خيطا جديدا من خيوط المؤامرة التي كانت تدبر . . فيقول . .

« في يوم من الايام جاءني الفريق اول مرتجي . وكان رئيسا لهيئة التدريب. فانتحى بي جانبا، وقال لي يا سيادة العميد انني انقل لك رسالة هامة . وناقل الكفر ليس بكافر . فقد طلب مني شمس بدران ان اقول انك تكثر من الحديث عن اسرائيل وتكثر من وضع الخطط والمشاريع عن الحرب مع اسرائيل ، واذا ما واصلت ذلك فسوف يؤثر ذلك على ترقيتك القادمة ! . » .

فهل كان الفريق مرتجى ناقلا للكفر وليس بكافر .. ام كان من الكافرين ؟!

ان مذكرات الفريق مرتجي التي بدأ بنشرها تكشف لنا جانبا اخر .. فنحن نقرأ من بين سطورها ما يؤكد ان الرجل لم يكن مؤمنا بأي مبدأ من مبادىء الثورة .. بل كان يعمل في عداء لاتجاهاتها السياسية والاقتصادية ، فهو يقول عن اسرار الهزيمة كلها .. في مذكراته ..

« .. كان الاقتصاد المصري في الفترة السابقة على هذه الحرب (٥ يونيه) في مركز ضعيف جدا ..) » .

ويقول ..

« عمل المسؤولون ـ لتصور في تفكيرهم ـ على تشويه عدالة قضيتنا مع اسرائيل ، واظهار مصر بمظهر المتعنت المصمم على القضاء على اسرائيل ، ومستقبلها واطفالها وشبابها وشيبها ! . » .

ويقول ..

« .. كل شيء كان يتوقف على حالة الزعامة السياسية وانفعالاتها النفسية وتوترها العصبي الذي يرتبط بحالتها الصحية .. » .

.. وهكذا كشف الفريق مرتجى عن موقفه الحقيقي من ثورة يوليو .. فهو يردد نفس ما رددته موجة « الحرب النفسية » .. سواء عن الخطوات الاشتراكية .. او الموقف من اسرائيل .. او حالة عبد الناصر الصحية والنفسية ! .

فاذا عدنا الى الحقائق .. نجد ان مصر حققت في الفترة السابقة لحرب ٦٧ درجة نمو عالية لم تحدث في تاريخ مصر من قبل . بل لم تصل اليها اي دولة نامية ..

اما قوله بان مصر اظهرت التعنت . فلعله كان يمهد للمبادرة او كان من دعاة المفاوضة المباشرة .

والسؤال بعد ذلك :

● اذا كان هدف المشير هو التخلص من عبدالناصر لينفرد بالقيادة، فهل كان موقف شمس بدران والفريق مرتجى مجرد مساندة المشير عامر في تطلعاته . . ام كانت الاهداف ابعد من ذلك مدى ، وهو ما كرره عبد الناصر في اكثر من خطبة بعد ٥ يونيو . . فقال :

« العدو يريد ان يحقق هدفه بالقضاء على الثورة العربية . . ثم بادخال بلادنا ضمن مناطق نفوذه » . .

فهل كان الفريق مرتجى مجردعنصر في حلقة المشير التي تهدف للتخلص من عبد الناصر ؟ . ام كان ضمن حلقة اوسع يقودها شمس بدران وترسم لادخال مصر في منطقة النفوذ الامريكي ؟ ! .

الفريق مرتجى لا يترك لنا مجالاً للحدس ، بل يكشف موقفه صراحة بقوله . .

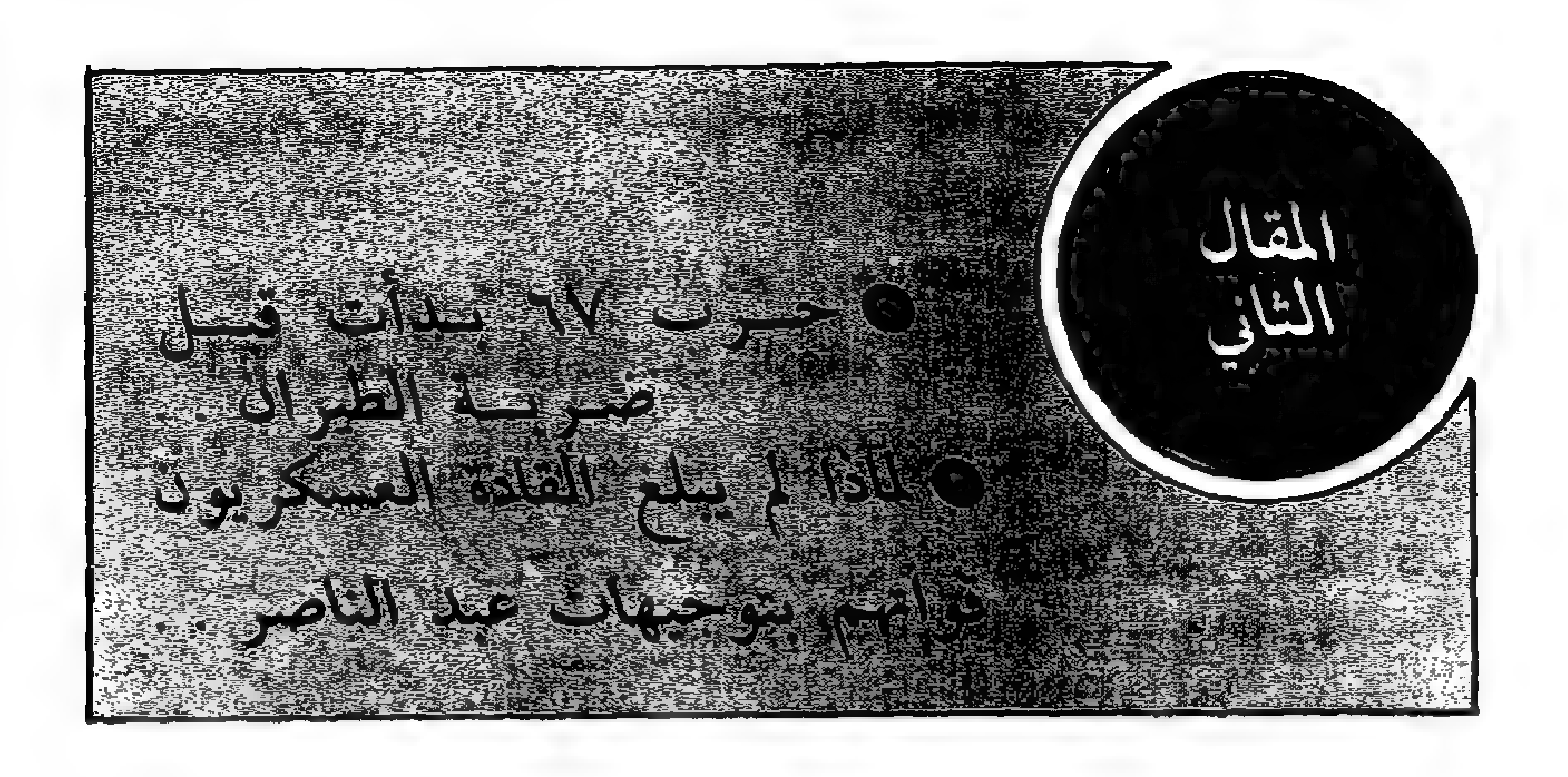
« . . الدول الاشتراكية كانت تسلح مصر ضمن خطة تجعلها في الوضع الاضعف بالنسبة لاسرائيل . . » .

. . وكان يكفي ما حدث خلال حرب اكتوبر ليراجع الفريق مرتجى نفسه . . ولكنه يتخذ موقفه، مع العمد وسبق الاصرار . .

ورغم مرور السنين . . وعلى الرغم من إغراق ايلات . . وصاروخ سام ٧ . . والصواريخ المضادة للدبابات، ما زال يشكك في الاعتماد على السلاح السوفيتي ! .

فماذا كان يمثل الفريق مرتجى داخل الجيش؟. وماذا فعل في معركة ٦٧ ؟. وما دوره في النكسة ؟.

الاسئلة كثيرة . . ولكن قبل الاجابة عليها، لا بد من تساؤل . . هل كان المشير او شمس بدران والفريق مرتجى هم وحدهم عناصر الثورة المضادة داخل الجيش ؟ .



« إن عرابي قد خانه من كانوا حوله ، وقد خانه بعضهم ابتغاء الحصول على الذهب وبعضهم بدافع الحقد . . » .

من كتاب « احمد عرابي
الزعيم المفترى عليه » .

. . كانت مؤامرة واسعة . . البعض ساهم فيها بغرور الاحمق . . والبعض عن عداء للثورة . . . واخرون كانوا ولا شك يعملون ضمن مخطط المخابرات الاميركية . .

وفي كتاب « اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ » يروي امين هويدي ، اسرارا جديدة ، تؤكد الشك الذي كان يساور الجميع حول تصرفات « الفريق صدقي محمود » قائد القوات الجوية . .

وهكذا ، نجد أنفسنا امام حلقة مترابطة . . قائد القوات العربية عبد

المحسن مرتجي ، وقائد الطيران صدقي محمود .. والشخصية الغامضة شمس بدران !.

ويظل دور المشير عامر يحيطه الشك .. هل كانت دوافعه مجرد غرور الاحمق في محاولة اسقاط عبد الناصر لتولي الزعامة .. ام ان عامر ذهب ابعد من ذلك ؟!

صدق احساس عبد الناصر الذي ساوره قبل المعركة بعامين .. فقد كان هناك شيء يدبر .. داخليا وخارجيا ..

فلم تكن « النكسة » مأساة تلطم بها الخدود ، وتشق الجيوب ، بل لعل لطم الخدود كان هدفا من اهداف المؤامرة يرمي الى تحويل الثورة الى ماتم يلعن فيه التأميم .. والخطوات الاشتراكية .. وكل ما حدث في مصر والعالم العربي من تطورات خلال الخمسة عشر عاما السابقة لعام ١٩٦٧ ..

وكما قال عبد الناصر .. « لم يكن الهدف سيناء » ، فلم تكن سيناء عامرة بالمصانع والمزارع والمدن والقرى ، كالارض التي انسحب منها السوفيات امام الالمان ..

ولم تكن « سيناء » هي الارض الفرنسية التي سقطت في يد الالمان بما فيها العاصمة « باريس » !

.. ولو تحقق ما قاله عبد الناصر من الحفاظ على الثورة ، والتطورات الاجتماعية لأمكن استرداد سيناء .. او على الاقل لاستطعنا ان نصل الى الممرات ، فالطريق كان مفتوحا امام قواتنا في حرب اكتوبر ..

.. وهكذا نرى اللحظة ، ان المناحة ، وتضخيم النكسة ، والحرب النفسية التي اشتعلت بعد الهزيمة ، كانت مرسومة ومكملة للمؤامرة التي كانت تدبر !

. . ونعود الى الدور الخطير الذي لعبه قائد قوات الجبهة الشرقية الفريق اول عبد المحسن مرتجى .

● أم بسيس !.

« اللعبة » التي تبادلتها أجهزة المخابرات العالمية والقوى الرجعية ، هي مسألة « الضربة الاولى » . . وكأن ما حدث في حرب ٦٧ ، كان سببه القرار السياسي بعدم توجيه « الضربة الاولى » !

والهدف كان واضحا . . فعلى الرغم من ان اميركا شاركت بالنصيحة في هذا القرار ، الا ان الجميع وجهوا اللوم الى الاتحاد السوفياتي لانه طلب عدم توجيه الضربة الاولى !.

فهل كان هذا القرار هو السبب الحاسم الذي ادى الى الهزيمة ؟

يروي أمين هويدي في كتابه ، إن حرب ١٩٦٧ ، لم تبدأ في الساعة الثامنة وخمس واربعين دقيقة صباحا بالضربة الجوية ، بل بدأت في الساعة السابعة والربع بهجوم قامت به طلائع القوات الصهيونية ، واحتلت موقعا متقدما داخل الحدود المصرية في منطقة « ام بسيس » الامامية . . وحدث فيه اشتباك سقط فيه جرحى وقتلى من الجانبين . .

ويقول امين هويدي:

« . . لقد كان من الممكن ان تنتهز القوات الجوية المصرية تلك الفرصة ، فتقوم بتنفيذ خطتها الهجومية التي كانت قد اعدتها من قبل » . .

وعلى الرغم من انكار الفريق مرتجى لهذا الهجوم ، الا ان امين هويدي يكشف ان الهجوم قد حدث فعلا . . وان التبليغ عنه قد حدث . . ومع ذلك

لم تتحرك قيادة الجيش . . سواء قواتها البرية او قواتها الجوية ! .
ويعلل أمين هويدي ذلك بقوله :
« ان حالة الاسترخاء العجيبة والامن الكامل الذي كانت تحس به القيادات، جعلها لا تقرر خطورة هذا الاجراء ! ».
فهل كان « الاسترخاء » نتيجة خطأ عفوي ، أم نتيجة خطأ متعمد وخطة مضادة مرسومة ؟!
ان حادث « أم بسيس » يؤكد ان محاولة مناقشة مسألة « الضربة الاولى » لم يكن هدفها سوى ادانة القيادة السياسية ! . .

لقد اتيحت للقيادة العسكرية الفرصة لتوجه الضربة الاولى وتنفيذ الخطة الهجومية خلال ساعتين من العدوان على «أم بسيس»، قبل ان تقوم اسرائيل بضربتها . . والمسؤول الأول عن هذا التقاعس والاهمال ، هي القيادة البرية أو قيادة جبهة سيناء التي كان يرأسها الفريق مرتجى . .

ان هذه الحقائق لا بد ان توضع داخل اطارها الصحيح . . وهو الاطار الذي وضعه الفريق مرتجى بنفسه في مذكراته . . فهو يقول ان دخول حرب ٦٧ كان مغامرة، لأن المسؤولين كانوا على علم بنواحي الضعف في الجيش المصري . . ونواحي القوة في الجيش الاسرائيلي . . ويتساءل . .
« . . لماذا اندفعت القيادة السياسية الى حرب، هل هو الزهو؟ أم الخديعة غير المحسوبة ام الاعتماد على حسن الطالع الذي يشير به المنجمون ؟ ام الشعور بان الحظ حليف ابدي لها ؟-ام هو التخلص من بعض عناصر القوات المسلحة التي يتعذر استبعادها في جو سلمي عادي ؟ . .
انني اترك للقارىء ان يعود الى هذه المذكرات بنفسه ليلمس روح واعماق الرجل الذي قاد جبهة سيناء في معركة ٦٧ . . انني اكتفيت بهذه الاسطر من

مذكراته التي توضح روح العداء الكامنة في اعماقه ضد عبد الناصر وثورة يوليو . . وتكشف انه كان احد العناصر التي كانت وما زالت تشكك في « حالة » عبد الناصر ! . . وكانما تحول القائد العسكري الى خبير اقتصادي يشرح اقتصاد مصر . . ثم الى طبيب نفسي يحلل نفسية الزعيم . .

. . ولكن اخطر من ذلك كله ، رؤيته لابعاد الصراع ، فهو لا يرى في المعركة سوى محاولة من عبد الناصر للتخلص من القيادات العسكرية غير المرغوب فيها ! .

. . ان هذه الكلمات تكشف ان قيادات الجيش كانت تبني لنفسها حصنا معاديا للثورة . . وانها كانت مطمئنة الى قوتها وتخطيطها للسيطرة وتوجيه الامور داخل الجيش كما تشاء في انتظار اللحظة المناسبة . . وكما يعبر الفريق مرتجى . . لولا حرب ٦٧ لما استطاع عبد الناصر ان يتخلص منها ، بل كانت ستمضي في مؤامراتها للتخلص من عبد الناصر ، كما عبر بذلك المشير عامر . .

هذه الاعترافات المذهلة من الفريق مرتجى تكشف عن ان النكسة » ، لم تكن هزيمة جيش ، ولكنها أبعد من ذلك مدى . . وحدث مثلها الكثير في تاريخ الحروب . . ولن تكون الاخيرة !!

قبل ان نختتم دور هذا الرجل في نكسة ٦٧ . . لا بد من الوقوف قليلا امام بعض الوقائع .

● الاولى . . ثبت في حرب ٦٧ ان الجيش كان في حالة هرجلة » لم يسبق لها مثيل ، وكانت هذه الحالة بسبب نقص التدريب . . وكان الفريق مرتجى قبل تولي مسؤولية جبهة سيناء هو المسؤول الاول عن التدريب في الجيش !

● الثانية . . ان الفريق مرتجى تقاعس في مسألة « أم بسيس » .

● الثالثة . . ان الفريق مرتجى كان ضد الاعداد للحرب مع اسرائيل . .

● الرابعة . . ان الرجل من الناحية الفكرية والسياسية، كان يحمل عداء وكراهية للزعامة المصرية اي لعبد الناصر . . كما انه يشكك في كسر احتكار السلاح والاتجاه الى الاتحاد السوفياتي . ويلوم عبد الناصر على مواقفه من الامبريالية العالمية وخاصة الولايات المتحدة . .

● واخيرا . . وليس آخرا . . كان الفريق مرتجى مسؤ ولا عن الصفوف الاولى للجيش خلال المواجهة . وهو نفس الموقع الذي كان فيه الضابط الخائن « علي خنفس » في الحرب العرابية ، وسهل للجيش البريطاني التسلل الى صفوف الجيش المصري، فقام بمذبحته الرهيبة في التل الكبير . .

ويظل التاريخ وما تفرزه الوثائق التي لم تنشر بعد هي الحكم الاخير ! .

● الرجل الثالث !.

. . الرجل الثالث الذي حوكم ، وصدر عليه حكم الاعدام ، ثم خفف الى الاشغال الشاقة المؤبدة ، هو قائد الطيران . . الفريق اول صدقي محمود . .

فماذا نقرأ عن هذا الرجل ؟!

ان « امين هويدي » لا يصل الى ما وصل اليه « جاك كوبار » في ادانة صدقي محمود بالخيانة . . والاتصال بالمخابرات البريطانية . . ولكن امين هويدي يقول :

« . . في عام ١٩٦٢ ، بعد صدور الميثاق . . كان مجلس الرئاسة قد اتخذ قرارا بعزل قائد القوات الجوية الفريق محمد صدقي محمود الذي سبق ان تقرر

اخراجه عام ١٩٦١ ، نتيجة تأخره في إرسال امدادات لقوات اللاذقية التي ظلت تقاوم الانفصال حتى المغرب» !..

ولكن صدقي محمود ظل في منصبه مدعما بالحلقة المحيطة بالمشير عامر . . ولنا ان نتخيل وجود رجل اثيرت حوله الشبهات بشهادة الشهود . . وضبطه متلبسا بجريمة الاهمال العسكري في دعم قوات اللاذقية، مما أدى الى عرقلة الاهداف السياسية . . هذا الرجل نفسه يظل وسط القيادة العسكرية بل على رأس سلاحها الجوي ، ويجمع بذلك كل اسرار الدولة . . بل يتحكم في عصب قواها العسكرية . .

ولم يكن صدقي محمود وحده هو القائد العسكري الذي ثار خلاف بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر في توليه منصب قائد الطيران، بل اعترض عبد الناصر على وجود عدد من القيادات . . منهم اللواء انور القاضي » ، واللواء احمد زكي عبد الحميد ، والعميد احمد علوي ، والعقيد محمد استامبولي مدير المخابرات . . ومع ذلك كانوا جميعا يعملون خلال حرب ٦٧ . .

فماذا كان دور الفريق صدقي محمود في الهزيمة او المؤامرة ؟!

ما حدث في « ام بسيس » بشأن القوات البرية ، تكرر في القوات الجوية بحادث اشتهر بـ « اشارة عجلون » . .

ففي صباح ٥ يونيو . . ارسل الشهيد عبد المنعم رياض اشارة من الاردن من مواقع رادار « عجلون » ينبيء قيادة القوات الجوية في مصر بتحرك الطائرات الاسرائيلية .

ويقول اللواء طيار عبد الحميد الدغيدي : « لو وصلت اشارة عجلون لتغير الموقف » !

فماذا حدث لاشارة « عجلون » ؟ هل كان مصيرها نفس مصير الاشارة

الصادرة من « ام بسيس » ؟

ان مصير « اشارة عجلون » ما زال مدفونا بين الوثائق . . ولكن الذي لا شك فيه ان الطائرات المصرية لقيت مصيرها وهي قابعة على الارض . .

. . وقيل ان الميزانية والحالة الاقتصادية ـ وهي من مبررات القيادات العسكرية للهزيمة ـ هي السبب في عدم اعداد الجيش اعدادا سليما .

ويرد امين هويدي قائلا :

« . . ان القوات الجوية لو اصرت على بناء ٣٠ ملجأ فقط كل عام لتكلف ذلك مبلغ ٦٠٠ الف جنيه » .

ولكن القيادة الجوية تحجّجت بعجز الميزانية ، مع ان هذا المشروع الخاص بملاجىء الطائرات كان بمثابة حياة او موت . . وهذا ما اكدته الحرب ! .

لم يكن ما حدث في حرب ٦٧ « نكسة » او « هزيمة جيش » ، بل كان مؤامرة ، قام بها بضعة افراد ، ارادوا بها تحطيم معنوية المقاتل العربي ، وبث روح اليأس والهزيمة والاستسلام في العالم العربي . . ولعل ما عمدت اليه وسائل الاعلام الغربية والاميركية من اذاعة ونشر حالة جنود سيناء اثناء الانسحاب ، وما اثير من اشاعات ونكات ، يؤكد اهداف هذا المخطط اللئيم . .

يقول أمين هويدي :

«في يوم ٢ ـ ٦ ـ ٦٧ حدد الرئيس عبد الناصر تقديراته في الآتي :

١ ـ ان اسرائيل سوف تبدأ عملياتها خلال يومين او ثلاثة . . بل حدد يوم ٥ يونيو موعدا لبدء الهجوم الاسرائيلي .

٢ ـ ان اسرائيل سوف تبدأ عدوانها بالضربة الجوية .

٣ ـ ان اسرائيل تعتمد على المفاجأة والمرونة ، وان معركتها قصيرة . .

كل هذا حدده عبد الناصر للقيادات العسكرية ، وهذا ما اكدته الاحداث . . فلم يكن عبد الناصر يعتمد على الحظ او حسن الطالع او المنجمين، كما يدعى الفريق مرتجى . . ولم يكن عبد الناصر متآمرا ضد قيادات الجيش يريد التخلص منها . . بل كان عبد الناصر واعيا لابعاد المعركة ، ووضعها امانة في يد القيادات العسكرية . . فماذا فعلت هذه القيادات ؟

يقول الفريق صلاح الحديدي ، وهو كلام خطير . .

« . . ان الصورة الواضحة التي وضعها الرئيس الراحل عن توقعاته لم تخرج من جدران القاعة التي عرضت فيها . . » .

اي ان القادة العسكريين لم يبلغوا قواتهم بما قاله لهم الرئيس الراحل . . فهل كان هذا اهمالا ام تواطؤا ؟! .

يقول الفريق الحديدي . .

« فقائد الجبهة فوجىء بهجوم العدو يوم ٥ يونيو ، وقيادة العمليات في الاردن التي كان يمثلها ضابط مصري كبير نيابة عن رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة المصري، لم يحط علما بتصورات الرئيس للاحداث المتوقعة . . » .

ويكشف الفريق الحديدي دور الفريق صدقي محمود الذي حضر مؤتمرات الرئيس الراحل وسمع توقعاته . . قائلا :

« . . بل إن رجال القوات الجوية والدفاع الجوي لم يبلغهم ان قواتهم ستكون هدفاً للعدو بعد يومين أو ثلاثة ، حيث ان قائد القوات الجوية ومعاونيه الذين حضروا هذا الاجتماع التاريخي ، وجدوا ان من الأنسب لأسباب تعلّلوا بها ألا يعلنوا هذه التوقعات على قواتهم المقاتلة ، بل لم يخطر بها رئيس أركان القوات الجوية الذي لم يكن موجودا في هذا الاجتماع . . » .

ان موقف كل من الفريق مرتجى او الفريق صدقي محمود ليس في حاجة الى تعليق . .

ولكن حتى لا نشعر بالمرارة . . او ننساق وراء « الحرب النفسية » التي شنها العدو بعد هزيمة ٥ يونيو . . علينا ان نتذكر ، بعض مآسي الحروب . .

ففي الحرب العالمية الثانية ، كان القائد البريطاني « اوكنلك » يتمرغ في احضان النساء، عندما كانت القوات البريطانية تهرول على غير هدى في صحراء شمال افريقيا . . ووقع مئات الالاف من الاسرى في يد الجيش الايطالي والالماني بقيادة روميل . . واستبدل اوكنلك بمونتغمري . .

واذا كان صدقي محمود او مرتجى قد خذلا الجيش المصري ، فان الفريق عبد المنعم رياض استشهد في الخط الاول للقتال . . واستشهد قائد سلاح المهندسين اثناء العبور الى سيناء . . وسيظل اسم المشير احمد اسماعيل رمزا للجندي المصري . . ولقد سطر القادة قادة الجيوش العابرة للقنال في حرب اكتوبر، اروع صفحات البطولة والشجاعة والوطنية . . واستعاد الجيش المصري كل ما اراد ان يسلبه منه اعداؤه من روح الفداء والتضحية والرجولة . .

. . هذه القيادات وهؤلاء الجنود الذين خاضوا حرب اكتوبر، كانوا الابناء الحقيقيين لثورة يوليو . . بزعامتها الحقيقية . . ومبادئها . . ومثلها . . فكانوا ابناء تحالف قوى الشعب . .

أما هذه القيادات التي سقطت في وحل التخاذل خلال هزيمة ٥ يونيو، فكانوا بقايا عصر الاقطاع الملكي . . نشأوا في احضان البعثة البريطانية التي كانت

تهيمن على الجيش . . وفي احضان البرنس اسماعيل داود الذي كان على رأس سلاح الفرسان !.

ان تحليل ما حدث داخل الجيش خلال معركة ٥ يونيو ، لا ينفصل عن الصراع الطبقي او الفكري الذي كان يغلي داخل المجتمع المصري والعربي في هذه المرحلة . . والذي حاول عبد الناصر ان يحله بالاسلوب السلمي . . ولكن اسلوب « المؤامرة » الذي لجأ اليه العدو، لم يترك لهذا النهج الذي اراده عبد الناصر ان يسير في طريقه الصحيح . .

. . اننا نناقش اليوم انعكاس هذا الصراع داخل الجيش . . وتفصيل عناصره . اما ثورة يوليو فلها حديث آخر . .

لقد اراد الاستعمار منذ البداية، تحطيم كل التنظيمات والقيادات الوطنية والقوى الشعبية . . ولم يكن هناك سوى الجيش . . القـوة الوحيدة التي تملك التنظيم والقيادة . .

وقاد الجيش ثورة يوليو . . ولهذا أراد العدو ان يمزق هذه القيادة وهذا التنظيم ، وان يشوه دوره الوطني . . ولجأ الى المؤامرة . . والخداع . . والحرب الساخنة . . والحرب الباردة . . والحرب النفسية . .

وعندما حدثت هزيمة ٥ يونيو، أراد ان يجعلها « نكسة » ورمزا للاقدار المأساوية التي يعيشها العالم العربي . . وطريقا للاستسلام . .

وهذا ما ادركه الزعيم الراحل منذ الوهلة الأولى، وقال في خطاب ٢٣ يوليو ٦٧ :

« ان هدفنا المباشر لا ينبغي ان يكون ازالة العدوان فحسب، بل ينبغي ان

يكون ايضا حماية نظامنا الثوري وتعميق نظامنا الثوري وتدعيم حركة الثورة العربية . . » .

. .

والان . .

كيف تشكلت هذه المجموعة المناوئة للثورة داخل الجيش ، ؟ وما دور عبد الحكيم عامر ؟ ثم ما حقيقة هذا الرجل الغامض شمس بدران ؟



« إن الخطة أفشيت للعدو على يد يوسف خنفس الذي ارسل الرسم الاصلي الذي رسمته بيدي الى الجنرال ولسلي ، وكان هو وغيره من رجال الجيش قد افسدهم ابو سلطان الذي كان يعمل لصالح الانجليز . » .

من مذكرات
احمد عرابي

.. فجأة.. وسط « المأساة » ظهر شمس بدران .. مرشحا لرئاسة الجمهورية !.

أعلن عبد الناصر استقالته .. وعرض رئاسة الجمهورية على عبد الحكيم عامر .. وشمس بدران !.

فهل كان شمس بدران هو رجل المخابرات الامريكية في هذه اللحظة ؟. وهل كان اجتماع مجلس الامن القومي الاميركي ليلة ٩ يونيو لمدة تسع

ساعات . . ينتظر تنصيب شمس بدران رئيسا للجمهورية للاعتراف بالنظام الجديد ؟! .

. . لا جدال ان عبقرية الزعيم الراحل تتمثل في ذكائه الخارق ، وقدرته على ضبط الاعصاب ، ورؤ ياه البعيدة . . وكان صادق الحس عندما اعلن انه كان يرى منذ عامين ان شيئا ما يدبر . .

ففي هذه الفترة التاريخية استطاعت امريكا ان تخلع نكروما، وان تسقط سوكارنو بانقلابات عسكرية . . ولم يكن باقيا من قادة دول عدم الانحياز سوى عبد الناصر . . ولن يكون ناصر غافلا . .

. . وكانت مؤامرة ٥ يونيو ! .

كانت زعامة عبد الناصر عميقة الجذور في الشعب العربي . . . ولم يكن من السهل الاطاحة بعبد الناصر بنفس السهولة أو الوسيلة التي تمت في غانا او اندونيسيا . .

كان الهدف هو اسقاط عبد الناصر بصورة تدينه امام العالم العربي . . وتمحو كل انجازاته . .

واعدت حرب ٥ يونيو . . وكان الهدف المرسوم لها :

اولا : هزيمة مشينة للجيش المصري يتمثل فيها العار والمأساة لكل عربي .

ثانيا : يكون اسقاط عبد الناصر بهذه الصورة نتيجة طبيعية لانهيار النظام الثوري بكل ما يمثله . .

واذا تتبعنا « الحرب النفسية » ومذكرات القادة العسكريين الذين اطاح بهم عبد الناصر بعد النكسة ، نجد انهم ينسبون النكسة الى عاملين :

الاول : • العامل الاقتصادي . .

الثاني : العامل السياسي . .

. . تجد هذا في احاديث شمس بدران . . وفي مذكرات الفريق مرتجى ، الذي يعلن صراحة « ان سياسة مصر واقتصادها هما سبب الهزيمة » ! . ولم يحاول احد من هؤلاء القادة العسكريين او السياسيين ان يتحدث عن مسؤولية امريكا او مؤامرات اسرائيل ، بل العكس نجد في كلماتهم ما يشبه التبرير لتصرفات امريكا واسرائيل امام استفزازات ناصر!!

. . وهكذا نجد ان حرب ٥ يونيو ، التي لم يشترك فيها الجيش المصري ، بل كان من ضحاياها . . لم تكن حربا بالمفهوم العسكري . . ولكنها كانت مؤامرة اعدت خيوطها في الداخل . . والخارج . .

ويبرز دور شمس بدران كبديل لعبد الناصر . . فمن هو شمس بدران ؟ . وماذا كان دوره في احداث ٥ يونيو ؟ .

● البداية المؤلمة . .

كان اختيار عبد الناصر لصديق العمر ، عبد الحكيم عامر ، كقائد عام للجيش المصري مفاجأة ، فلم يكن « عامر » في السن او الرتبة العسكرية التي تؤهله لان يكون في هذا المركز الخطير ، اذا نظرنا الى الموضوع من الناحية العسكرية . .

اما من الناحية السياسية . . فلم تكن اعمار اعضاء ثورة ٢٣ يوليو تتجاوز الخامسة والثلاثين عند قيام الثورة . . فاذا اخذنا العمر مقياسا ، فمعنى ذلك ان يتنحى هؤلاء الضباط عن قيادة الثورة . . اما من الناحية العسكرية ، فلم يكن من المعقول ان يترك الجيش في ايدي قادة عاشوا وتربوا وتشبعوا بل ارتبطوا بالفكر السائد في ظل الاحتلال البريطاني ، بل تتلمذوا على ايدي اعضاء البعثة الانجليزية التي كانت تشرف على الجيش . . .

.. كان اختيار عبد الحكيم ضرورة سياسية .. فهو من ناحية، الصديق الامين لعبد الناصر .. ومن ناحية يمثل قيادة الثورة على رأس القوات المسلحة ..

.. ومنذ البداية، بدأت العناصر المضادة في الالتفاف حول الرجل الذي يتحكم في القوة الضاربة للثورة .. ولجأت هذه العناصر الى اساليبها القذرة المعروفة لدى المخابرات الغربية، فاغرت واغرقت عبد الحكيم في الملذات واشباع شهواته ليصبح طوع ارادتها ..

وكما يقول احمد حمروش في كتابه عن ثورة يوليو ..

« .. أحيط المشير بمجموعة كافية للاساءة اليه بالافراط في اللهو واسباب المتعة، وكان معروفا ومتداولا ما يتم في هذا الجو من تدخين، واتصال ببعض الفنانات وبذخ يصل الى حد السفه، ومن الملفت للنظر ان ثلاثة من القيادة العامة للقوات المسلحة تزوجوا من فنانات. المشير تزوج من برلنتي عبد الحميد (ممثلة) وعلي شفيق تزوج من مها صبري (مغنية) وعبد المنعم ابو زيد تزوج من سهير فخري (فنانة) ! . » .

وادرك عبد الناصر الهوة التي سقط فيها المشير عامر .. كان ناصر يضع « الطهارة الثورية » اساسا للعمل السياسي .. فحاول ابعاد عامر عن الجيش .. ولجأ عامر الى القيادات القديمة المشكوك في ولائها للثورة لتحميه .. فاصبحت هي التي تقوده وتوجهه بدل ان يكون هو القائد والموجه ..

.. وفي هذا الجو المليء بالدخان والضباب، ظهرت شخصية شمس بدران ..

● الرجل الغامض !

على الرغم من مرور احد عشر عاماً على النكسة، ما زالت شخصية « شمس بدران » غامضة ، رغم الدور الكبير والخطير الذي قام به هذا الرجل . . سواء في سيطرته على اجهزة الجيش . . أو تسلمه وزارة الحربية . . أو ترشيحه رئيسا للجمهورية . .

. . انتحر المشير . .

واغتيل علي شفيق . .

اما شمس بدران ، فقد صدر العفو عنه اثر الحكم الصادر ضده بعد النكسة . . واطلق سراحه مع مصطفى امين وبقية رفاقهما ! .

وفي خطاب علني، وجه فؤاد سراج الدين كلامه الى رئيس الوزراء . .

« . . شمس بدران . . كيف سافر من مصر وهو مقدم للتحقيق ومشكو في حقه ؟ واخيرا محكوم عليه ؟ اقرر لكم على مسئوليتي، واتحدى ممدوح سالم ان يكذبني : انه خرج بجواز سفر خاص ، يعطى للوزراء فقط ومعه جواب من ممدوح سالم لسلطات المطار بانه مصرح له بمغادرة البلاد . . » .

أليس في هذا ما يدعو الى الشك . . رجل يحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة في ظل الحكم الوطني . . ثم يفرج عنه وتعمل الدولة في شكلها الجديد على الافراج عنه وتهريبه . . وذلك بعد زيارة كيسنجر ونيكسون ! .

. كنا نتمنى ان تكون بين ايدينا التحقيقات التي حدثت مع شمس بدران في « قضيّة المؤامرة » . . فهي لا شك تكشف الكثير عن الدور الذي قام به . .

. . ومع الاسف . . نقف ايضا عاجزين امام ماضي الرجل او نشأته . . او تاريخه السابق للثورة . . وليس امامنا الا ما كتبه عنه الفريق الحديدي . . يقول :

« . . ليس المجال ترجمة لشمس بدران الا بالقدر اللازم . . فتحليل شخصيته، وتفنيد ما قام به من أعمال، ومسئوليته عن نكسة يونيو ٦٧، تحتاج الى الكثير من الشرح والايضاح . . ويكفي عمله الكبير في توجيه الامور، وربما كان حرصه وحرص المشير على ابعاد اسمه عن الصحف ووسائل الاعلام راجعا الى حداثة سنه . . أما حقيقة عمله ومواقفه، فكانت دون شك معروفة بين زملائه، ومن في طبقته من الضباط الاحرار . . ومن احتك بهم من السياسيين والمدنيين في كافة قطاعات الدولة . . » .

القى الفريق الحديدي هذه الظلال على شخصية شمس بدران دون ان يقف قليلا ليسأل . .

- من كان وراء شمس بدران ؟
- من كان يرسم له دوره . . ويخطط له ؟!

ان اي ضابط شاب في مثل سنه تستهويه الشهرة والمظهر . . ولكننا نجد انفسنا امام شخصية غامضة تحاول ان تعمل سرا وفي الظلام، على الرغم من سلطاته الواسعة في الدولة، وبلا حدود في القوات المسلحة، كما يروي الفريق الحديدي . . لم تدر به الجماهير . . او حتى القوى السياسية المتعددة، سواءكانت يمينا او يسارا . .

كانت هناك مجموعة علي صبري . . ومجموعة سامي شرف . . ومجموعة شعراوي جمعة . . ومجموعة المشير . . اما شمس بدران فكان يعمل وحده في هدوء وصمت . . ولم يظهر في الاتحاد الاشتراكي او التنظيم الطليعي . . او مجلس الشعب . . او مجلس الرئاسة . . ولم يكن عضوا في مجلس قيادة الثورة . .

لم يهتم « الرجل الغامض » بكل هذه الاشكال من التنظيمات السياسية،

او مراكز القوى . . حتى الصحافة اوالاعلام ،لم يظهر اهتماما علنيا بها . .
حصر شمس بدران نشاطه داخل القوات المسلحة . . فهي القوة القادرة على ضرب الثورة ، كما كانت القوة التي قادت الثورة !. .

● شمس يعمل . .

يظهر دور شمس بدران في حديث لرئيس ادارة المباحث الجنائية ،المقدم حسين عرفه . . يقول في حديثه الى احمد حمروش . .
« اتجه المشير الى تقوية المباحث الجنائية ، وجعلها خطا ثانيا للامن ،ولكن شمس بدران اقنعه بان الصاعقة هي السلاح او القوة التي يجب ان يعتمد عليها لشؤون الامن ، وبدأت تقويتها فعلا ، واغراء صغار الضباط فيها عن طريق توزيع عربات جيش انجليزي (فانجارد) عليهم . . ».
ثم يقول . .

« . . وقد حوصر مبنى المباحث الجنائية العسكرية بقوات من البوليس الحربي تحت قيادة قائده الذي قلت له « : لماذا تفعل هذا ونحن نخدم الرئيس جمال عبد الناصر ؟» ، ولكنه قال : « ونحن ننفذ اوامر المشير عبد الحكيم عامر . . » .
ان اقوال حسين عرفه تكشف سرين من اسرار شمس بدران .
الاول : انه كان يعتمد على قوات الصاعقة . . وهي القوات التي تساهم مع الطيران في غالبية انقلابات العالم الثالث ، لما تتمتع به هذه القوات من امتيازات وحقوق تجعلها في مستوى اجتماعي ارقى من بقية قوات الجيش .
الثاني : ان شمس بدران كان يسيطر بالفعل على عبد الحكيم عامر ويوجه الامور داخل الجيش في اتجاه مضاد لعبد الناصر . . واصبحت هناك اوامر

لعبد الحكيم يمليها شمس بدران .. واوامر لعبد الناصر ..

ويؤكد ذلك اللواء البدري بقوله :

« .. لم يكن عبد الناصر يحكم في الفترة الواقعة بين ٢٨ سبتمبر ٦١ وحتى ١٠ يونيو ٦٧ .. بل كان يحكم مصر في ذلك الوقت ، المشير عامر ومن كانوا حوله .. ».

ثم يقول ..

« .. كان شمس بدران في ذلك الوقت هو الامر الناهي فيما خص منصبه وما لا يخصه » !

.. ويروي الفريق محمد فوزي واقعة تكشف الدور الخطير الذي قام به شمس بدران ..

ففي عام ٦١ اقترح عبد الناصر تشكيل مجلس رئاسة من اعضاء مجلس قيادة الثورة تكون مهمته التخطيط والمتابعة ، وان تكون القوات المسلحة داخل الاطار الطبيعي لاجهزة الدولة .. ووافق المشير عامر ..

ويقول الفريق فوزي ..

« بعد ثلاثة ايام ، حضر شمس بدران الى الرئيس عبد الناصر ، وقال له : «موضوع مجلس الرئاسة الذي وافق عليه المشير .. لقد عاد المشير وقرر رفضه .. وهو يبلغك انه رجع في كلامه وغير موافق » ..

لم يكتف شمس بدران بالسيطرة الكاملة على اجهزة الجيش بل شكل تنظيما سري فيما بعد باسم التنظيم «س» ، هذا التنظيم « س » يضم الضباط المقربين والمتصلين والداخلين ، وهم من المحتم ولاؤهم للمشير ولشمس بدران . وقد وزعوا على القوات المسلحة كلها ، استكمالا لاجهزة الامن !.

● سياسي ام عسكري ؟..

هل كان شمس بدران يملك المؤهلات او الكفاءة العسكرية التي تؤهله لان يتبوأ المركز الخطير الذي وضع في يده كل مقدرات الجيش ؟..

يقول اللواء الحديدي ..

« .. لم تكن ثقافته العسكرية او خدمته الميدانية تساعدانه على التدخل في الشؤون الفنية للقوات المسلحة ، وما يتعلق بها من تدريب القوات واعدادها للقتال .. فهو لم يحضر دورة دراسية واحدة بعد الثورة ليزيد من معلوماته العسكرية التي ظلت واقفة عند الحد الذي كانت عليه منذ يوليو ٥٢ » ..

فماذا كانت مهمة شمس بدران ؟.. وماذا كانت اهدافه في السيطرة على الجيش ؟.. يقول الفريق فوزي :

« .. والوزير شمس بدران اخذ جميع الاختصاصات التي تخص المشير في القوات المسلحة، مما يحقق لشمس الولاء البشري من ضباط وجنود القوات المسلحة ، وكانت بيد شمس بدران سلطات الترقيات والاجازات ، والعلاج والشؤون القضائية ، والشرطة العسكرية والمخابرات ، والتوجيه المعنوي والشؤون المالية والميزانية » ..

كل هذا يكشف ان شمس بدران لم يكن يهدف العمل العسكري ، ولكنه كان يعمل للسيطرة على القوات المسلحة لتوجيهها في الاتجاه الذي يريده .. في الوقت المناسب ..

وكان شمس بدران كما اعترف باقواله، ضد السياسة العليا لعبد الناصر.. وضد الاجراءات الاقتصادية .. اي ضد التصدي للغرب الراسمالي.. وضد الاقتصاد الموجه ..

فهل كان شمس بدران يعمل لحسابه الشخصي ؟ ام كان يعمل ضمن اطار مرسوم ومخطط له في الخارج ؟

لعل اهم ما قاله الفريق فوزي عن قيادة الجيش في هذه المرحلة ، انها قضت على الانضباط العسكري داخل الجيش . . ولعلّ هذا العامل كان كافياً لإحداث أي هزيمة محققة !.

ولنا ان نضع الصورتين المتقابلتين امامنا . . في مصر . . وفي اسرائيل . .

بعد حرب ٥٦ اعلن موشي دايان انه يحتاج الى عشر سنوات لاعداد الجيش الاسرائيلي لجولة جديدة ليصل الجيش من ١٨ لواء الى ٣٥ لواء . .

. . وفي مصر كان شمس بدران . . يمنع التدريب . . ويقضي على الانضباط في الجيش . . بل نجد الاسلحة السوفياتية ، بعد هزيمة ٥ يونيو، مكدسة في صناديقها وما زالت مغلفة « بالشحم ». . وعندما يصل بعض الخبراء السوفيات الى القاهرة بعد ٩ يونيوويسالون عن الضباط الذين تلقوا التدريبات في الاتحاد السوفياتي ، يجدون انهم نقلوا الى وظائف مدنية !.

بعد هذا كله نستطيع ان نتبين ان هزيمة الجيش المصري في ٥ يونيو كانت معدة قبل المعركة . . لم تكن هناك حرب بالمعنى الحقيقي . . ولكن كانت هناك مؤامرة مرسومة ومخطط لها ،ساهمت فيهاعناصر من الخارج والداخل . .

. . ان سقوط « القوة الضاربة » للثورة في يد شمس بدران ، كان معناه ان « الثورة » اصبحت مهددة في اي لحظة بانقلاب مضاد . .

وكانت اميركا ترسم ايضا . . فمنذ ١٩٥٧ ،عندما اتضحت خطوات ناصر في سياسة « عدم الانحياز » اعلن دالاس بانها « غير اخلاقية » . . ورسمت اميركا لاسقاط عبد الناصر خلال عشر سنوات . . وهكذا تلاقت ثلاث قوى :

١ ـ الصهيونية .

٢ ـ اميركا .

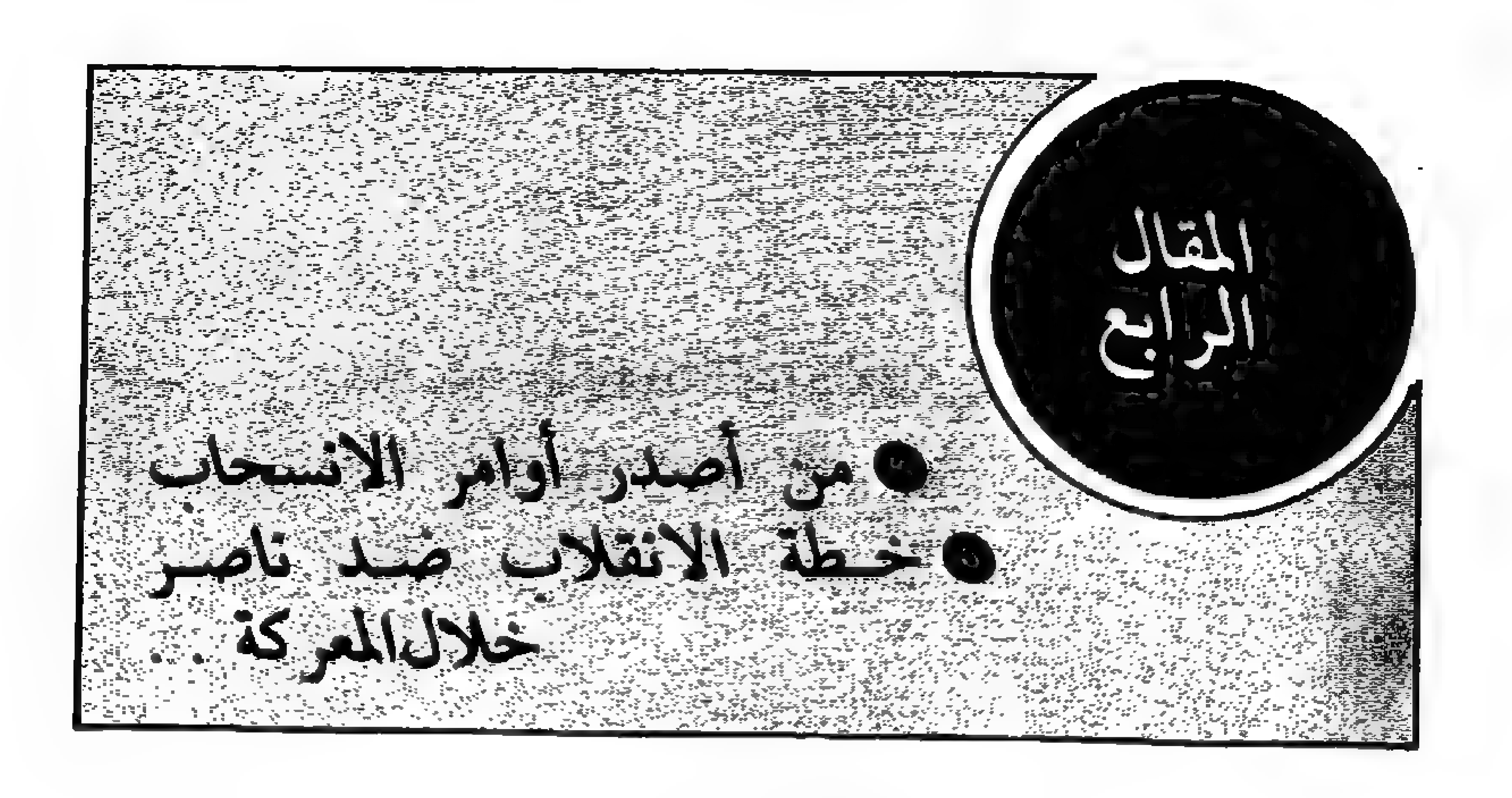
٣ ـ الرجعية . . والخيانة .

وتجنب عبد الناصر الصدام الداخلي . . واختار ان ينتظر . . فكما قال . .
« اما ان انتظر او احول البلاد الى ارجنتين او بوليفيا اخرى » . . رفض ان يشرك الجيش في الصراع الداخلي حتى لا تواجه مصر سلسلة من الانقلابات العسكرية . .

. . .

بعد هذا كله . . يبقى امامنا بعض الاسئلة . . الاول . . كيف نفذت المؤامرة على ارض سيناء ؟ الثاني . ماذا كان موقف عبد الناصر من هذه الاحداث ؟ . .

ولكن . . هل تجيب هذه الاسئلة عن العمق الحقيقي « لمؤامرة ٥ يونيو» ، ام اننا في حاجة الى نظرة شاملة لثورة ٢٣ يوليو . . وتقييم المرحلة التاريخية . . بدراسة القوى الاجتماعية وصراعاتها داخل مصر . . ودور الاستعمار الاميركي في تخريب حركة التحرر ، ولم يكن شمس بدران فردا بل كان ظاهرة تمثلت في شيلي واندونيسيا وغانا . . ولا زالت المعركة مستمرة .



« في معركة القصاصين كان الرسم كما ينبغي ، وكانت العساكر المصرية يجب ان تزحف في الساعة الثانية بعد منتصف الليل على الجيش الانجليزي ، وما راع القواد المصريين الا وجود الفرق الانجليزية زاحفة وآخذة جميع الطرق في الساعة الواحدة . كانت الخيانة وصلت والنقود وصلت الى قلب الجيش والى عدد من الضباط بسعي سلطان باشا ومراسله العربان . . » .

من مذكرات احمد عرابي

لن نتحدث هنا عن المعركة العسكرية ، من ناحية الفن العسكري او التكتيك الحربي . . فهذا نتركه للعسكريين ، وهم اقدر على تقييم ما حدث . . واكتشاف ابعاد الجريمة . .

. . ولكن السؤال الذي امامنا . . هل حدثت معركة عسكرية على ارض

سيناء في ٥ يونيو . . وهل حقا هزم الجيش المصري بهذه الصورة البشعة ، التي صورتها الاقلام ، واشرطة التلفزيون ، وظهرت في كل صحف العالم الغربي ، وكل اجهزة اعلامه . . وكان الهدف محاولة اذلال النفس العربية وتحطيم روح النضال . . والتمهيدللاستسلام! ام ان ما حدث لم يكن سوى « مؤامرة » قذرة راح ضحيتها الجيش المصري ؟!

● عود على بدء !.

ان التاريخ لا يكرر نفسه . . ولكنه يمدنا بتجارب تكشف لنا الرؤ ية . .

. . واذا عدنا الى دخول الانجليز الى مصر . . والمعارك الحربية التي حدثت بين المصريين والانجليز . . . نجد ان الجيش المصري استطاع ان يصد القوات الانجليزية في كفر الدوار وارغمها على التراجع والتقهقر . .

ولجأ الانجليز الى الخداع ، واخترقوا قناة السويس رغم المواثيق والمعاهدات التي تمنع ذلك . . وتصدى لهم الجيش المصري في معركة القصاصين الاولى . .

وهنا لا بد ان نتوقف لحظات امام كلمات من كتاب « احمد عرابي » الزعيم المفترى عليه . . يقول محمود الخفيف في كتابه هذا عن معركة القصاصين الاولى . .

« . . يتبين من هذه الروايات على كل حال، تكافؤ الجانبين في المعركة، ولا نجد احسن من هذا نرد به على الذين اضلهم الاحتلال ، فقالوا ان المصريين لم يحاربوا ، فما هو الا ان رأوا الانجليز حتى فروا هاربين ، وليت شعري ماذا يريد هؤلاء بترديد تلك الاباطيل عن جيش امتهم ؟ هل لكي

ينكروا الجهاد على عرابي ؟. الا ما اشد ما لقي هذا الرجل من نكران الجميل !. » .

ويقول . .

« . . خشي الانجليز التقدم دون ان يستعينوا بهذا السلاح الدنيء . . سلاح الرشوة والخيانة والغدر . . » .

ويقول الاستاذالخفيف في كتابه على لسان الزعيم احمد عرابي عن معركة التل الكبير . .

« . . ان الخطة افشيت للعدو على يد الضابط علي يوسف خنفس الذي ارسل الرسم الاصلي الذي رسمته بيدي الى الجنرال ولسلي ، وكان هو وغيره من رجال الجيش قد افسدهم سلطان باشا الذي كان يعمل لصالح الانجليز . . » .

. . المأساة الحقيقية ، ان الجيش المصري في الثورة العرابية تصدى للانجليز وصدهم لولا الخيانة . . وسجل التاريخ سقوط قادة كبار جرحى في المعركة . . كما استشهد الضابط الكبير محمد عبيد امام مدفعه . .

اما في عام ١٩٦٧ فان الخيانة بدأت قبل ان يتحرك الجيش المصري . .

وكما كان الهدف ، اسقاط عرابي وادانته بالهزيمة ، فان عبد الحكيم عامر ، لم يترددعن اعلان الهدف في ٩ يونيو ٦٧ ، عندما قال . . « المهم الان هو اسقاط عبد الناصر » !.

● التمهيد للهزيمة !

هل نقول. . من اقوالهم يدانون ! .

الفريق عبد المحسن مرتجى ، قائد القيادة العسكرية الشرقية اي جبهة « سيناء » . . يتحدث عن النقص في الاسلحة ومأساة الضربة الاولى . .

وقبل ان نتناول هذه الاقوال التي تعد استمرارا « للحرب النفسية » لا بد ان نحدد موقف الرجل من ثورة يوليو . .

- انه ضد الزعامة السياسية ويتهمها بالانفعال والتوتر العصبي .
- وهو ضد الدول الاشتراكية .
- وسوريا ـ في نظره ـ هي التي كانت تتحرش باسرائيل !
- وامريكا ضاقت بسياسة ناصر .
- ومصر هي التي شجعت الدول العربية على انشاء شركات بترول حكومية .
- **وعبد الناصر هو الذي تحرش بامريكا واسرائيل عندما هاجم واشنطن ، ورئيس وزراء اسرائيل بكلمات جارحة .**

. . اين كان يقف رجل يحمل مثل هذه الافكار ؟، هل كان يقف في صف الخديوي والانجليز ام في صف عرابي ؟ . . لم يكونوا الانجليز او الخديوي في هذه المرة، بل اسرائيل والامبريالية الامريكية !.

فمن الذي اختار الفريق مرتجي ليكون في نفس الموقع الذي اختاره الخائن « علي خنفس » من الجيش المصري في معركة التل الكبير ؟.

يقول الفريق صلاح الدين الحديدي :

. . « على الرغم من مرور بضعة اشهر على الحركة الواسعة التي تم فيها تعيين قادة جدد لتشكيلات ووحدات القوات المسلحة، فقد صدرت الاوامر بتغيير عدد كبير من هؤلاء القادة مرة اخرى لغير اسباب واضحة . . وعين بدلهم قادة جدد، بعضهم قليل الخبرة بطبوغرافية سيناء وبخططها الدفاعية ، والبعض الاخر انقطعت صلته بالتشكيلات التي كان يقودها من قبل . . والجميع لا تربطهم اية علاقة بقياداتهم الجديدة . . » .

ويضرب الفريق الحديدي الامثلة . .

● ضابط كبير كان يعمل في عاصمة المانيا الغربية ، قادته الصدفة للحضور الى القاهرة ، وعيّن قائدا لتشكيل في سيناء ، وطلب تعيين صديق له ليعمل رئيسا لاركان تشكيله، وكان هذا يشغل وظيفة تعليمية في القاهرة . . فأُجيب الى طلبه . .

● وقرار آخر ينقل قائدفرقة ليتولى قيادة فرقة اخرى قبل الاشتباكات بايام قليلة ، فلا هو استطاع الانسجام والتفاهم مع الفرقة الجديدة ، ولا الفرقة الاخرى تفاهمت مع قائدها الجديد ، . .

ولا ننسى ان « شمس بدران » كان الرجل المسئول عن التنقلات داخل صفوف الجيش ! . وهو الذي وضع عبد المحسن مرتجى في هذا الموقع المتقدم للحركة . .

عبد المحسن مرتجى يقول في « مذكراته » : كنا نعاني اوجه نقص في الطائرات . . ثم يعود ويقول ان الطائرات كانت مكدسة في مطارات غير مجهزة !!

. . ويقول . . ان الاتحاد السوفيتي كان يسلح مصر ضمن ، خطة يجعلها في موقف الاضعف بالنسبة لاسرائيل . .

ويعود ، ويقول في نفس المذكرات . .

« . . كان عدد الطيارين اقل بكثير من عدد الطائرات » ! .

فاذا علمنا ان عددا من الطيارين العائدين من التدريب في الاتحاد السوفيتي كانوا ينقلون من الجيش الى وظائف مدنية . . نستطيع ان ندرك ان حلقة شمس بدران والفريق صدقي محمود والفريق مرتجى كانت تعمل حسب خطة

محددة ومرسومة .

.. هناك اسرار ما زالت في طي الكتمان .. فلم يعرف احد حقيقة ما جرى في معركة « التل الكبير » او « عدوان ٥٦ » الا بعد نشر الوثائق السرية التي فضحت دور الخديوي وسلطان باشا والضابط علي خنفس .. كما تبين في العدوان الثلاثي تلكوء قائد الطيران صدقي محمودعن تنفيذ الخطة المرسومة ! »

● الضربة الاولى

تدور مذكرات « الضباط المتقاعدين » حول نقطة « الضربة الاولى » ويحملونها اسباب الهزيمة ..

.. لا يذكرون ان الولايات المتحدة طلبت عدم توجيه « الضربة الاولى » ولكنهم يحملون مسؤ وليتها للاتحاد السوفيتي ..

فهل كان الاتحاد السوفيتي حقا مسؤ ولا ، وهل كان قبول هذه النصيحة خطأ سياسيا او عسكريا من عبد الناصر ؟! وهل كانت « الضربة الاولى » هي سبب الهزيمة ؟! .

تكشف الوثائق التي بين ايدينا ان « الضربة الاولى » لم تكن ضد السلاح الجوي كما اشيع .. بل بدأت ضد « ام بسيس » ..

كما كشفت برقية « عجلون » ان التحرك الاسرائيلي الاول كان من السهل تلافي نتائجه ومواجهته ..

.. ولكن الهزيمة كانت معدة قبل « الضربة الاولى » .

يتحدث الفريق الحديدي عن « الفترة التحضيرية » والتي بدأت من ١٥ مايو ٦٧ حتى ٥ يونيو . ويكشف لنا أن قيادة الجيش بدل ان تستغل هذه الفكرة

في الاعداد للمواجهة،عملت كل ما في استطاعتها لتحقيق الهزيمة . .

اولا : عملت على تغيير القيادات .

ثانيا : اضطراب واضح في عملية التعبئة .

ثالثا : ولعلها اخطر ما حدث . . وهو تغيير « الخطة العسكرية » .

ويبدي الفريق الحديدي دهشته ، ويتساءل عن اسباب تغيير الخطة العسكرية، وهي التي بذل فيها القادة المصريون خلاصة فكرهم وثقافتهم العسكرية للوصول اليها ، ولم تكن هذه الخطة عفوية او انفرد بها شخص واحد او حتى جهاز واحد في القوات المسلحة ، بل كانت دراسة دقيقة لطبيعة الارض وخصائصها . . وسنة بعد سنة بل جيلا بعد جيل من كبار العسكريين .

فما الذي دعا الى تغيير « الخطة العسكرية » ؟ وهنا تعود بنا الذاكرة الى الخطة التي وضعها « احمد عرابي » في حربه مع الانجليز ، واذا بها قد سلمت الى العدو قبل المعركة !

بل حدث ما يثير اكثر من الشك . . ففي صباح ٥ يونيو اي صباح يوم المعركة ، تغيرت الشفرة المتفق عليها . . ويتساءل امين هويدي :

« . . تغيير الشفرة المتفق عليها فجر ٥ يونيو . . وهذه مسألة تستحق الدراسة . . لماذا تغيرت في هذا اليوم بالذات » !!.

ويضم امين هويدي عديدا من الاسئلة حول الاعداد للمعركة . .

. . ماذا كانت عليه حالة الاستعداد في المطارات وقتئذ ؟ ولماذا فوجئت المطارات في وقت واحد ؟ ولماذا لم يعمل ترتيب مظلات مستمرة في الجو لمواجهة اي طائرات مغيرة ؟ اين كان قائد القوات الجوية وقت الضربة وهو يتوقع الضربة الاولى من العدو ؟ واين كان قائد كل جبهة وقائد المنطقة

العسكرية الشرقية وقت الضربة الأولى، وكلهم يعلم بموعدها وتوقيتها ؟!

اسئلة لن يستطيع الاجابة عليها الا مجموعة شمس بدران واوراق الوثائق السرية في اقلام المخابرات !.

● المعركة . .

انتهت المعركة قبل ان يبدأ القتال !

ففي ١٧ مايو قام اللواء الدغيدي بالمرور على القوات في سيناء مع الفريق فوزي ويقول :

« . . رأيت سوء حالة القوات وسوء تجهيز مسرح العمليات . . » .

ثم يقول في مكان آخر . .

« . . انا لا احمل قرار الانسحاب شيئا لانه تحصيل حاصل ، لانه قبل الانسحاب كان وضع القوات سيئا . ولم يكن هناك سيطرة على القوات . . ولا توجد قيادة . . ولم تتمكن القيادة من ادارة المعركة . . » .

ويأتي السؤال التالي على ارض المعركة . . من الذي اصدر قرار الانسحاب بعد الضربة الاولى . . ولماذا صدر؟ وماذا كانت اهدافه الحقيقية ؟!

صدر قرار الانسحاب قبل ان تبدأ المعارك . . ويقول امين هويدي :

« . . لم يكن الموقف وقت صدور قرار الانسحاب ميئوسا منه . . القوات البرية في موقف جيد . . واغلب القوات في المحاور المختلفة لم تكن قد اشتبكت بعد مع العدو ، والاحتياطي العام من المدرعات كان سليما لم يمس . . وكانت الخطوط الدفاعية سليمة حتى ظهر ٦ يونيو ، وفيما عدا بعض الاختراقات التي تمت هنا وهناك ، والتي كان من الممكن صدها واستعادة

الموقف ثانية ، لو كان هناك اصرار على القتال . . » .

. . وهذا ما اجمع عليه العسكريون والمعلقون سواء من العالم الاشتراكي او من المعسكر المعادي !

اما من الذي اصدر قرار الانسحاب وادى الى هذه « النكبة » . .

يقول الحديدي . .

« . . التغيير السريع الذي طرأ على الموقف في الجبهة جعل المشير فقط وبمفرده ، مصدراً للقرارات دون الرجوع الى مستشاريه، بل في كثير من الاحيان لم يكن هؤلاء المستشارون يعلمون بهذه القرارات إلا عن طريق المصادفة . . ». ثم يقول . . .

« . . ان قرارا تاريخيا ضخما وهو قرار الانسحاب من سيناء والجلاء عنها بكافة القوات ، قد اتخذ دون الرجوع الى المستشارين والمحترفين . . » .

واذا علمنا ان شمس بدران كان الموجه الحقيقي للمشير، استطعنا ان ندرك كيف . . ولماذا صدر قرار الانسحاب ؟!.

كانت اوامر المشير التي وصلت الى القوات تنص على ان تكون كافة القوات غرب القناة قبل صباح يوم ٧ يونيو . . بينما كان رأي كبار العسكريين ان يتم ذلك في ثلاثة ايام واربع ليال متوالية . .

ومن الواضح ان قرار المشير كان مستحيل التنفيذ . . فكيف يمكن سحب مئات الالاف من الجنود ، والاف المركبات والاف الاطنان من المعدات والمهمات والمواد في ٢٤ ساعة . . .

وكانت النتيجة . . تلك الفوضى البائسة التي وجد الجيش نفسه في مواجهتها . .

. . وسؤال آخر يواجهنا . .

● هل كان هناك تدبير للقيام بانقلاب عسكري ضد عبد الناصر خلال المعركة ؟

.. عادت بعض القوات من الجبهة الى القاهرة يوم ٧ يونيو .. واختارت احدى الوحدات من سلاح المدرعات احدى دور الضيافة ـ قصر الطاهرة ـ لتعسكر في حدائقه..

ولم تكن العناصر المدرعة وحدها هي التي وصلت الى القاهرة خلال المعركة ، بل بدأت سيول من الوحدات بسياراتها ومعداتها تتدفق على العاصمة دون عمل اي ترتيب .. واتجهت من تلقاء نفسها الى معسكراتها القديمة .. واكتظت السيارات في الطرق الرئيسية،بل تجاوزتها الى شوارع المدينة ونزل منها الجنود ..

ان الفريق الحديدي ، رغم رؤياه العسكرية والميدانية ، ورغم ذهوله ودهشته مما حدث امام عينيه ، لم يستطع ان يربط الخيوط ليضع أيدينا على مأساة « الخيانة » التي حدثت .. كل ما يرويه، مشاهدمقاطع من فيلم طويل دون ان يصل الى اعماقه واهدافه ..

.. كانت الاوامر تصدر ثم يعدل عنها في دقائق .. وعندما تبدأ عملية لتصحيح الموقف او تلافي الانهيار .. تصدر اوامر مضادة ..

علمت هيئة الاركان العامة بقرار الانسحاب بعد صدوره ، وحاولت ان تتدخل لتغييره وتعديل بعض خطوطه ،وأرسلت ضابطا كبيرا ليقابل قائد المنطقة الشرقية .. فاذا بهذا القائد قد ترك جيشه وعاد الى الاسماعيلية .. وكان رد هذا القائد على قرار هيئة الاركان .. « ان الموقف لا يمكن ادخال اي تعديل عليه .. » !!.

● الطيران . .

المفاجأة التي يقدمها امين هويدي في كتابه . . ان القوات الجوية لم تفقد قواها بعد الضربة الاولى . . وعلى لسان الفريق صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي، في ذلك الوقت، يؤكد انه كان في يده مئات من الطلعات الجوية، كان يمكن استخدامها ، كما يؤكد ذلك اللواء الدغيدي قائد القوات الجوية في سيناء ، قائلاً انه كان في يده مئات اخرى من الطلعات ، وكان يلح على قيادة الجيش الميداني في استخدامها دون جدوى .

ويقول أمين هويدي :

« . . فاذا اضفنا الى ذلك ان الطائرات الجزائرية كانت قد بدأت في الوصول، فانه يمكن القول ان القائد العام كان ما يزال في يده مجهود جوي يمكنه من مداومة القتال . . ».

اما ما حدث فعلا خلال القتال بين رجال الطيران ، فهو لا يقل بشاعة عما حدث على الارض . .

تصدر الاوامر ثم تنسخ ! . .

تصدر الاوامر الى اللواء الدغيدي بتنفيذ العملية« فهد » ثم بعد عشر دقائق يلغى الامر . .

وتصدر اوامر من الفريق صدقي محمود الى اللواءالدغيدي ثم يتبين ان هذه الاوامر لا يمكن تنفيذها من الناحية الفنية . .

ماذا حدث في الجو وفي البر ؟!

ان كل شيء يذكرنا بمعركة التل الكبير ، عندما استعد الجيش المصري للهجوم ضد القوات الانجليزية . . فاذا بالقوات الانجليزية وسط معسكرات الجيش المصري قبل الموعد . . واذا بالجيش المصري في حالة

فوضى واضطراب . . ولم يحدث ذلك عفوا ، بل لقد تبين ان الضابط الخائن « علي خنفس » هو الذي قاد قوات العدو الى داخل صفوف الجيش المصري ، بينما كان مكلفا بالاستطلاع وحماية القوات المصرية !.

تواطأ « علي خنفس » مع الخديوي والقوات الانجليزية . . وكان سلطان باشا هو الوسيط . .

اما من الذي تواطأ مع اسرائيل ، والمخابرات الأميركية، فهذا ما تكشفه الأوراق والوثائق فيما بعد .

. . سقط بعض الخونة . . واستشهد الالاف . . والمعركة طويلة . .

فماذا كان موقف عبد الناصر من هذا كله ؟!



« .. الا ان تلك النصائح لم تؤثر في الذين يجهلون احكام الدين مثل احمد عبد الغفار قومندان السوارى ، وعبد الرحمن بك حسن جوار ، جي آلاي سواري ، وعلي بك يوسف ميرالاي جي بياده ، ولكنهم أظهروا قبول ما اوضحناه لهم واسروا الغدر والخيانة .. والحساب على الله ... » .

من مذكرات
احمد عرابي

● « كان الناس يتساءلون ايام النكسة : امال فين اصحابنا الروس ؟!. » .

كانت هذه الكلمات موجهة من عبد الناصر الى بودجورني في اول لقاء بينهما بعد ٥ يونيو ..

لقد حققت الهزيمة اهدافها ، سواء في شك العرب من مساعدات

السوفييت،او شك السوفييت من جدوى مساعدة الشعب العربي . .

وكان هذا مرسوما في فكر القيادات العسكرية « الخائنة » التي فتحت الطريق امام اسرائيل للوصول الى ضفة القناة . .

وبعد اكثر من عشر سنوات ، نجد هؤلاء « الخونة » الذين نحاهم عبد الناصر ، يكشفون عن حقيقة موقفهم من عبد الناصر . . ومن ثورة يوليو . . ومن الصداقة المصرية ــ السوفيتية . . قبل وخلال ما يسمى « بالنكسة » وبعدها . .

● الاسلحة السوفيتية كانت دفاعية وليست هجومية ! .

● وقيل ان اسباب الهزيمة هي نصيحة السوفييت بعدم توجيه الضربة الاولى !

● وقيل ان السوفييت نهبوا اقتصادنا . وارادوا ان يسيطروا على بلادنا . .

فما هي الحقيقة . . وما هو الخداع في كل ما قيل بالنسبة لموقف السوفييت ؟!

● السلاح السوفياتي !. .

كان الغرب في صراعه مع الاتحاد السوفيتي يحاول ان يحصل على كل ما لدى السوفييت من تطورات حديثة في السلاح .

فماذا فعلت مجموعة «شمس بدران » الرجل الذي يعيش اليوم في لندن ؟ .

كانت هناك ٨٠٠ دبابة سوفيتية حديثة و ١٥٠٠ مدفع ثقيل على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية ، ظلت في مكانها غنيمة لاسرائيل دون ان تطلق قذيفة واحدة . . وقد تركت باوامر صريحة من مكتب المشير . .

وفي لقاء بريجنيف مع الرئيس الجزائري بومدين . قال بريجنيف :
« . . اننا متألمون لاننا وجدنا احدث طائراتنا واحدث صواريخنا في مراكز بحوث الولايات المتحدة الاميركية ، كما ارسلت احدث دباباتنا الى المانيا الغربية . في الوقت نفسه نتألم اكثر عندما نسمع ان ضباط اسرائيل يقولون عن دباباتنا وطائراتنا التي تركتموها ، انها من افضل انواع الاسلحة . . » .
وهكذا حققت المخابرات الغربية صفقة العمر ، فهل تم ذلك عفويا ام باتفاق مسبق مع العناصر المناوئة لعبد الناصر وللسوفييت ، وكذلك العناصر العميلة للمخابرات الغربية ؟!

فهل كانت هذه الاسلحة دفاعية ام هجومية كما رددت الاشاعات ؟ . ولا نجد ردا مفعما مثل الرد الذي نطق به عبدالناصر نفسه ، وهو الرجل العسكري الذي كان في قمة المسؤولية . . قال . . « فنسأل انفسنا » ، ما هو الدفاع ؟ وما هو الهجوم ؟ وما هي اسلحة الدفاع وما هي اسلحة الهجوم ؟ . عندما تبدأ الحرب ليس هناك مايسمى بأسلحة للهجوم واسلحة للدفاع » . ! .

● السلاح . . السلاح ! .

فهل حقا ان الاسلحة السوفيتية كانت تصل بكميات قليلة وبدون قطع غيار او ادوات تكميلية ، كما يقول الفريق مرتجى في مذكراته ؟!
ان الفريق مرتجى رد بنفسه على هذا التساؤل عندما قال ان عدد الطيارين كان اقل بكثير من عدد الطائرات ! .

ومسألة السلاح تحتاج الى وقفة طويلة . .
لنعد الى الوراء قليلا ، كان ذلك في فبراير (شباط) عام ١٩٥٥ عندما

شن الاسرائيليون غاراتهم على غزة، كانت قواتنا العسكرية تفتقر الى كل شيء . . في وقت الغارة على غزة ، كان لدى مصر ست طائرات صالحة للطيران ، بينما كانت حوالي ٣٠ طائرة اخرى جاثمة تفتقر الى قطع الغيار، اذ كانت بريطانيا قد اوقفت تجهيزاتها . وكانت التقديرات تشير الى ان ما لدى مصر من عتاد للدبابات، يكفي لقتال امدّه ساعة واحدة. كان حوالي ٦٠٪ من دباباتنا في حاجة الى تصليحات كبيرة والمدفعية في وضع بائس مشابه . . لم يكن عندنا ما يكفي حتى من الاسلحة الصغيرة . .

وحاول عبد الناصر شراء السلاح من بريطانيا وامريكا بدون جدوى . .

كان الغرب وما زال يستخدم اسرائيل كتحد دائم . . كانت الدول الغربية تعلم اننا إذا كنا مواجهين بالخيار بعد الهزيمة امام اسرائيل أو الخضوع للغرب، فاننا سنأخذ بالخيار الثاني . .

وحصلت مصر على السلاح من الدول الاشتراكية . . فهل كان اتجاه عبد الناصر الى السوفييت خطأ سياسيا أو عسكريا، كما يحاول القادة المعزولون ان يقولوا ؟ ان العقلية التي تربت في « سانت هيرست » وتحت سيطرة « البعثة البريطانية العسكرية »، لم تستطع ان تستوعب هذا التطور الجديد الذي اراده عبد الناصر من أجل خلق جيش وطني . . .

لقد حصلت مصر بالفعل قبل حرب ٦٧على اسلحة لم يحصل عليها اي بلد خارج مجموعة الدول الاشتراكية . .

ولعل ما حدث بعد النكسة يوضح لنا حقيقة مشكلة السلاح . .

من اوراق عبد الناصر السرية التي تنشر اليوم ، نقرأ في الحوار الدائر بين بودغورني وعبد الناصر وزاخاروف ، الذي جرى في اعقاب النكسة . .

ـ عبد الناصر : بعد المعركة مباشرة وصلنا منكم ٢٥ طائرة ميغ ٢١ و٩٣ طائرة ميج ١٧ .

ـ زاخاروف: عن الاعداد العسكرية ستصلكم خلال يومين او ثلاثة، اربعون ميج ٢١ بالاضافة الى ست طائرات ميج ٢١ من النوع المجهز للتدريب ، كما توجد ٢٨ طائرة سوخوي ، سيصبح لديكم في وقت قريب جدا عـدد من الطائرات المقاتلة ، اكثر مما كان موجودا لديكم قبل العدوان . . اما بالنسبة للمدرعات فستصلكم قريبا مائة دبابة، ونحن على استعداد لارسال المزيد من المدرعات كلما توفرت اطقم الدبابات عندكم . .

. . قبل المعركة . . وبعد المعركة . . كانت الطائرات والدبابات اكثر من القوى المدربة . .

فهل يمكن اتهام الاتحاد السوفياتي بانه تعمد ان تكون قواتنا العسكرية اقل من اسرائيل ؟!

. . في هذه الجلسة من المفاوضات التي عقدت في يوليو عام ٦٧ . . نقرأ كلمات عبد الناصر في الجلسة ، وهو يقول :

« . . لقد تم تعويضنا بالاسلحة والمعدات التي فقدت في الحرب، بالمجان. . » .

وبالفعل تنازل السوفيات عن ثمن الاسلحة التي فقدت في اليمن او في حرب ٦٧ . .

● اين الخبراء ؟

وسؤال آخر طرح خلال « النكسة » . .

● اين كان الخبراء السوفيات من الهزيمة ؟ وهل كانت الخطة العسكرية التي ادت الى المأساة من وضع هؤلاء الخبراء ؟ . .

ويرد على ذلك الفريق الحديدي قائلا :

« . . أما عن موضوع الخطط الحربية او الاشتراك في تخطيط الاستراتيجية، سواء في مسرح العمليات باليمن او في سيناء ، فلم يتدخلوا اطلاقا في هذه الموضوعات ولم يطلب منهم التدخل ، ولم يطالبوا به ولم تعرض عليهم اي خطط لإبداء الرأي فيها في يوم من الايام . . » .

فماذا كان عمل هؤلاء الخبراء ؟

يقول الفريق الحديدي . .

« . . كان موقف الخبراء السوفيات، منذ وصول عدد منهم في اواخر عام ١٩٥٧ حتى حزيران (يونيو ١٩٦٧) ، فوق كل شبهة ترمي الى اتهامهم بالتدخل فيما لا يعنيهم . . كانوا تحت قيادة المناطق والقيادات، يلبون اية مهمة يكلفون بها ويشرحون ما يطلب منهم ابداء الرأي فيه » .

. . هذه كلمات من رجل ظل في مركز قيادي في القوات المسلحة حتى اعتزاله الخدمة العسكرية في منتصف عام ٦٨ ،ولم ينشر هذه الشهادة الا بعد حرب اكتوبر . . فلا يمكن الشك في اقواله او اتهامه بالانحياز الى السياسة الناصرية او تملق القيادة السياسية . . بل لعل شهادته تعد من اصدق الاقوال التي يمكن الركون اليها والاعتماد عليها في تقييم موقف السوفيات او الحكم على الخط السياسي الذي انتهجه عبد الناصر لانشاء جيش وطني . .

لقد ظل الجيش المصري محصورا في عمل التكتيكات التي تنتهي بقتال فرق المشاة او المدرعة ،في مراحل الحرب المختلفة ،وهو المستوى الذي كان يقف عنده الجيش المصري منذ البعثة العسكرية البريطانية . . فلما جاء السوفيات تغير

الحال . . ونترك للفريق الحديدي الكلام . .

« عملوا ـــ اي الخبراء السوفيات ـ على توسيع افاق القادة والضباط الى ما هو اعمق من الموضوعات التكتيكية ، وبدأنا في تفهم العمليات التعبوية والاستراتيجية التي يشترك فيها جيش ميداني او اكثر والمدعوم بعناصر من القوات البحرية والجوية وعناصر من الدفاع الجوي ، كما وضع الخبراء اساسا سليما وقويا لتدريب كبار القادة . . » .

كان هذا هو موقف الخبراء السوفيات منذ عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٦٤ ، ولكن رؤي بعد عام ٦٤ ـ وهو التاريخ الذي سيطرت فيه مجموعة شمس بدران على الجيش ـ رؤي تخفيض عدد الخبراء السوفيات . وفعلا تناقصت اعداد الخبراء عاما بعد عام ، حتى كانت الاشهر الاولى من عام ١٩٦٧ . . اي قبل المأساة ، حيث وقعت إتفاقية في موسكو يخفض بمقتضاها عدد الخبراء السوفيات الى اقل عدد ممكن !.

● الضربة الاولى

. . وياتي بعد ذلك موقف السوفيات من « الضربة الاولى » . . وكل الاتهامات توجه الى الاتحاد السوفياتي لانه نصح بعدم القيام بالضربة الاولى . .

فهل كان الاتحاد السوفياتي حقا مسؤولا عن الكارثة التي حدثت لانه طلب بالا تكون مصر هي البادئة بالضربة الاولى ؟!

وهل اخطأت القيادة السياسية ـ اي عبد الناصر لأنه قرر عدم القيام بالضربة الاولى ؟،

أولا ـ اجمعت الدول العظمى وليس الاتحاد السوفياتي وحده ، بل اميركا وفرنسا على مطالبة مصر بألا تبدأ القتال . .

ثانيا ـ صرح ديجول في ذلك الوقت ، بأن فرنسا سترسم سياستها المقبلة على ضوء من الذي سيكون البادىء بالقتال . .

ثالثا ـ كل الاتصالات السياسية نصحت بذلك بل كانت تطالب به وتؤكد على التمسك به . .

. . لو ان عبد الناصر تجاهل مواقف الدول الكبرى ، وتحدى اجماع الشرق والغرب على عدم توجيه الضربة الاولى ، لقلنا ان طبيعته « الديكتاتورية » هي التي دفعته الى تجاهل الأعراف الدولية وأدّت الى عزلنا دوليا . . وبعد الهزيمة نقول ان طبيعته الفردية في اتخاذ القرارات هي التي أدّت الى هذه المأساة .

والسؤال ايضا . .

● هل لو وجه الجيش المصري الضربة الاولى ، هل كان يملك عوامل الانتصار ؟

يقول الفريق مرتجى :

« . . اتخذت الزعامة السياسية المصرية اخطر قرار يعتبر العامل الاساسي في نكبة ٦٧ ، بالا تكون مصر هي البادئة بالضربة الاولى . . رغم توضيح القادة المسؤولين وعلى رأسهم قائد القوات الجوية ـ الذي استخدم كبش فداء بعد الحرب ، والصقت به تهمة نكبة القوات الجوية ، بأن انتظار الضربة الأولى سينزل الوبال على القوات الجوية . . » .

واول ما يلفت النظر في كلام الفريق مرتجى ، هو دفاعه عن الفريق صدقي

محمود . . وهو بذلك يكشف نفسه ويوضح انه كان يقف في نفس الصف الذي كان يقف فيه قائد القوات الجوية ، الذي حامت حوله الشبهات في الاتصال بالمخابرات البريطانية كما جاء في كتاب « جاك كوبار » ، ثم أدين صدقي محمود وصدر الحكم عليه بالاشغال الشاقة ، وكانت الجماهير تطالب باعادة المحاكمة وتطلب تطبيق عقوبة « الخيانة العظمى».

ثانيا . . هل حقا ان قائد القوات الجوية قال بان انتظار الضربة الاولى سينزل الوبال على القوات الجوية ؟

والاجابة تاتي من الفريق مرتجى نفسه ، الذي يقول في مجال آخر ان الفريق صدقي محمود أجاب بأن خسائرنا من الضربة الاولى ستكون في حدود من ١٠ الى ١٥ بالمائة من القوات . .

واذا انتقلنا الى « كبش الفداء » نجد امين هويدي يوجه بعض الاسئلة التي لم تجد اجابة حتى اليوم ، من قائد القوات الجوية او قائد جبهة سيناء . . يسأل .

« . . فيما يخص القوات الجوية ، ماذا فعلت قيادتها لمواجهة ذلك (اي الضربة الاولى) هل تم توزيع الطائرات على المطارات ؟ هل عمل ترتيب مظلات مستمرة في الجو لمواجهة اي طائرات مغيرة ، خاصة وان الرادار المتيسر لا يصلح للكشف عن الطيران المنخفض ؟ كيف كانت حالة الاستعداد في المطارات في ذلك الوقت ؟ ولماذا فوجئت جميع المطارات في وقت واحد ؟ اين كان قائد القوات الجوية وقت الضربة وهو يتوقع الضربة الاولى من العدو ؟ اين كان القائد العام وقائد الجبهة وقائد المنطقة الشرقية وقت الضربة ؟ هل كانت القيادات جاهزة للعمليات في ذلك الوقت ؟ هل عمل ترتيب لاصلاح

المرات اذا خربت عند الضربة الاولى ؟ هل كانت وحدات اصلاح المطارات او الممرات جاهزة ومدربة .. بل هل كانت موجودة اصلا ؟ .. » .

ويعلق امين هويدي الذي شغل منصب استاذ بالكلية الحربية ، ثم بكلية اركان الحرب قائلا :

« .. ان التاريخ يحدثنا عن ان الضربة الاولى ليست ابدا هي مفتاح النصر او الهزيمة في الحروب .. » .

● والموقف العربي ؟!

يبقى اتهام اخير معلق فوق رؤوس السوفيات .. ويعيد الفريق مرتجى نشره في كتابه ، متهما الاتحاد السوفياتي بانه ابلغ عبد الناصر كذبا بالحشود الاسرائيلية على حدود سورية ويقول ..

« .. في الحقيقة ان منبع المعلومات كان هو الملحق العسكري الروسي في لبنان ، الذي ابلغ سوريا وجود هذه الحشود ، وفي الوقت نفسه ارسلت روسيا الى مصر نفس المعلومات ، وهذا يوضح لنا أن روسيا هي المخطط لهذه المعلومات لتحقيق هدف معين .. »!!

ومن الواضح ان القائد العسكري يتحدث سياسيا وليس عسكريا .. فالفريق مرتجى يتجاهل المعارك العنيفة على الحدود الاسرائيلية السورية في ٧نيسان (ابريل) ، وتحليق الطائرات الاسرائيلية فوق دمشق .. وادعاء تل ابيب ان السوريين اطلقوا نيرانهم على مزرعة اسرائيلية .

وفي ١١ نيسان (ابريل) اذاعت وكالة الصحافة الفرنسية في القدس ان الاسرائيليين سيتخذون كافة الاجراءات الحاسمة لمنع دخول الرعاة السوريين وقطعانهم الى المناطق المجردة من السلاح ..

ولا يشك انسان على درجة بسيطة من الوعي ، ان هذا كان تحرشا مقصودا . . فاذا استعدنا تهديدات اسرائيل باسقاط الانظمة في سوريا ومصر ، ، ! وما قاله عبد الناصر من ان « الذي يبتدىء بسوريا لا بد ان يثني بمصر . . » نجد ان « قصة الحشود » لم تكن مختلقة ! . .

وكلام الفريق مرتجى يوحي ان اسرائيل لم تكن تنوي العدوان ، ولكن عبد الناصر هو الذي تحرش بها بناء على« مخطط روسي لتحقيق اهداف معينة » ! !
ويتجاهل الفريق مرتجى تهديدات اميركا واسرائيل باسقاط عبد الناصر ، ووضع الخطط العسكرية والمؤامرات الداخلية لتنفيذ هذا المخطط، منذ قرار دالاس وايزنهاور التخلص من ناصر، بعد تأميم قناة السويس .

ولكن الفريق مرتجى لا يتوقف عند هذه الحدود، بل يشكك في موقف السوريين ، وبالتالي ارتباط مصر بسوريا . . والانتماء العربي لمصر . . وهو الخط الذي يحمله اليوم كل اعداء الناصرية . . وكل عملاء المخابرات الاميركية في المنطقة .

فاذا كان الاتحاد السوفياتي هو الذي رسم لهذه الحرب ، ونقل اخبارا كاذبة عن حشود اسرائيلية . . فلماذا كان الخط الاحمر بين موسكو وواشنطن ؟ ولماذا سارع بتعويض مصر بالاسلحة ؟
ان كلمات الفريق مرتجى لا تلقي ظلالا من الشك على السوفيات ، ولكن تلقي كثيرا من علامات الاستفهام على موقف الفريق مرتجى قائد جبهة سيناء خلال المعركة! . . هل كان هذا الموقف عفويا ، أي مجرد إهمال واستهتار ، أم كان بناء على مخطط مرسوم ساهم فيه منذ طلب من اللواء البدري عدم تدريس خطط مواجهة اسرائيل ! .

● وأخيرا

قد لا نجد ردا على هؤلاء القادة الذين تقاعسوا متخاذلين او متعمدين ، الا كلمات زميل عسكري عاصر عبد الناصر .. ثم عاصر المرحلة الحالية في بدايتها .. ثم انتقل الى منطقة الظل بعد ذلك .. يقول حافظ اسماعيل السفير المصري حاليا ، وأول من عقد صفقات السلاح السوفياتي عام ١٩٥٥ :

« .. في الفترة ما بين اوائل عام ١٩٥٧ وحتى عام ١٩٦٠ (عندما تركت القوات المسلحة الى العمل السياسي) ، كانت القوات المسلحة كلها قد دخلت في مرحلة من اكبر مراحل التطوير، بالتعاون مع الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا .. وتم احداث تطورات جوهرية فيها جعلتها اكثر قدرة في ميادين القتال .. ونجحنا في اقامة القاعدة الفنية للقوات المسلحة مع تشيكوسلوفاكياعام ١٩٦٠ ، وهي ورش ومؤسسات الاصلاح والصيانة .. وهي اقرب الى الانتاج والتصنيع . كما انها تعزز قاعدة انتاج الذخائر .. » .

ليس الهدف الدفاع عن السوفيات ، فان هذه مسؤولية السوفيات انفسهم .. ولكن السؤال لماذا يختلف تقييم حافظ اسماعيل عن تقييم عبد المحسن مرتجى للصداقة العربية السوفياتية.. ثم لماذا نقل حافظ اسماعيل من الجيش الى المستويات السياسية بجانب عبد الناصر ، بينما ظل أعداء الصداقة المصرية ـ السوفياتية والمناؤ ون لثورة يوليو في هذه المراكز الحساسة من الجيش ، يدورون حول المشير عامر ويصدرون الأوامر بأسمه .. ويتلقون التوجيهات من شمس بدران ؟!.

ان مناقشة جنرالات الهزيمة، طويلة.. ولكن الأهم من ذلك كله كشف ما حدث في ٥ يونيو، حتى يمكن مواجهة الحرب النفسية التي تتحول اليوم الى مخطط رجعي استعماري، يدخل مرحلة التنفيذ بهدف القضاء على حركة التحرر العربي واسقاط مصر في مخالب القوى الاستعمارية العالمية وضمها الى مخططات الاحلاف العسكرية.. وهو المخطط الذي تصدى له عبد الناصر بعنف منذ عام ١٩٥٦، ولم تجد القوى الاستعمارية سوى اسرائيل والمخابرات الاميركية لتنفيذ هذه المخـططات، والتي يقوم العملاء اليوم باستكمالها بعد فشل مؤامرة ٦٧..

ويبقى امامنا بعض الاسئلة :

اولا : من اشعل حرب ٦٧.

ثانيا : ما هي الجذور الطبقية والارتباطات الفكرية للعناصر المناوئة لعبد الناصر داخل الجيش، والتي تعمدت الهزيمة !.

ثالثا : ما هي مسؤولية عبد الناصر الشخصية في كل ما حدث..

ولكل منها مقال..



« .. وثمة صورة اخرى من صور الخيانة احاطت بعرابي ، الا وهي حقد بعض رجاله عليه ، اذ رأو، وقد كان دونهم رتبة يغدو رجل الامة ومناط رجائها ولعل ذلك ما أحفظ عليه سلطان باشا وجعل يسعى سعيه ضده .. » .

محمود الخنيف مؤلف
كتاب الزعيم المفترى عليه

الشعب في تحليلاته بسيط .. ولهذا يصل الى الحقيقة من اقصر الطرق .. وعندما خرج الشعب في ٩ و ١٠ يونيو وكان يريد ان يحمي الثورة .. وعندما خرجت الجموع من الطلبة والعمال في فبراير ٦٨، كان خروجهم للمطالبة باعدام عناصر الخيانة التي تسببت في الهزيمة .. كان احساس الجماهير صادقا عندما ادركت ان الجناح اليميني في السلطة يتستر على الخيانة ويحمي الخونة ..

. . ومن الصعب ان ندرك ما حدث من خيانة في معركة ٥ يونيو ، ما لم نعد الى الوراء .

● **موقفان !. .**

ان الرؤ ية التاريخية وحدهاتستطيع ان تكشف لنا جذور المعركة . . وأصل الخيانة . .

. . كانت ثورة ٢٣ يوليو ، امتداداً للثورة العرابية ،فكل منهما قامت من اجل تحرير الوطن من التدخل الاجنبي والتغلغل الاقتصادي . .

بدأت الثورة العرابية بتجمع واسع للقوى السياسية ، والقوى الشعبية من اجل التصدي للحكم الاقطاعي المطلق . . ومواجهة الابتزاز الاجنبي لثورة مصر .

وخلال مسيرة الثورة . . وارتفاع المد الثوري بين الفلاحين،انسحب كبار الملاك الزراعيين من جانب الثورة خوفا على املاكهم . . كما انسحب المثقفون الذين ارتبطوا بالاسرة الخديوية فكريا وماديا ، وفي نفس الوقت تدفقت
الذين ارتبطوا بالأسرة الخديوية فكريا وماديا، وفي نفس الوقت تدفقت
الجماهير الغفيرة من الطبقات الكادحة وابناء الطبقة الوسطى والمثقفين الشرفاء ، يؤيدون عرابي وينصرونه . .

وحاولت القوى الرجعية ان تستغل القيادات الرجعية داخل الجيش للقضاء على عرابي وحركة الضباط ، والقي القبض على عدد من الضباط الكبار في اكثر من مؤ امرة لاغتيال احمد عرابي ، وكان اشهر هذه المؤامرات ، مؤ امرة الفريق رفقي باشا وزير الحربيةوالتي القي فيها القبض على ٤٨ ضابطا اعترفوا جميعا بمن فيهم وزيرالحربية، بتدبير مؤ امرة لاغتيال عرابي ورفاقه . . وصدر الحكم بادانتهم وتجريدهم من القابهم العسكرية .

وتدخلت انجلترا . . ورفض الخديوي التصديق على الحكم ، وعمد الى التخفيف من العقوبات . . وهكذا لم يستطع عرابي ان يطهر الجيش من بقية العناصر الرجعية والتي كانت تدبر له الخيانة . وخاصة العناصر التي تظاهرت بتأييدها للثورة . .

فعندما طلب عبد الله النديم من احمد عرابي، تنحية القائد العسكري علي يوسف خنفس بعد ان ظهر تردده . . رد عرابي قائلا :

« احاف ان يقال عاوناه فخذلنا . . » !

وكان هذا الضابط هو القائد العسكري الذي سلم العدو خطة عرابي العسكرية . .

كانت انجلترا تدرس خطة غزو واحتلال مصر منذ اوائل عام ١٨٨٢ اي قبل تنفيذها بنحو ستة اشهر . . وبدأت في توزيع الرشوة على نطاق واسع بين البدو ، كما استعانت باستاذ الدراسات الشرقية في كمبردج والحقت به ضابطا بريطانيا للاتصال بكبار مشايخ البدو . . واشار عليهما الخديوي بمقابلة مسعود والطحاوي ومحمد البتلي، من مشايخ البدو والتنسيق معهم . .

. . وفي الاسكندرية اجتمعت القيادات البريطانية بسلطان باشا، احد كبار ملاك الارض . .

وكتب سلطان باشا ـ الذي انتقل من جانب الثورة الى صفوف الاعداء ـ كتب الى عدد من اصدقائه في القاهرة يشرح لهم ليقنعهم بان التحالف بين الخديوي والانجليز انما هو ضرورة مؤقتة !.

ويقول احد الانجليز الذين عاصروا وصاحبوا عملية الغزو . .

« . . وكان بجانب الامناء في جيشنا بالشرقية فريق من الخونة يسوقهم الانجليز ويمدونهم بالمال ، ويحرضهم توفيق باشا . . وفريق من الشراكسة

الباشوات الذين يحقدون على الفلاحين المصريين ، ومن هؤلاء علي يوسف الشهير بخنفس ، وقد زعم البعض انه من صميم المصريين، والحق انه من حثالة الاتراك ، وكان مع الاسف الشديد قائد قلب الجيش المصري ، وهو الذي اشترى سلطان باشا ذمته للانجليز ، فانسحب بفرقته فافسح الطريق لجيش ولسلي . . » .

ان المصالح الطبقية والجذور الفكرية، تكشف لنا اسرار هذا التحالف الطبقي الذي ادى الى هزيمة الثورة الوطنية الاولى في مصر، ضد الاستعمار والاحتلال البريطاني . .

اولا . . الانجليز كحماة للمصالح المالية الاجنبية في مصر . .

ثانيا . . الخديوي توفيق ممثلا للاقطاع وحاميا لملاك الارض .

ثالثا . . مشايخ البدو الذين يتمسكون بنفوذهم القبلي على افراد القبائل . .

رابعا . . كبار ملاك الارض وكان يمثلهم سلطان باشا . .

ثم استطاعت انجلترا بنفوذها ان تؤثر على سلطان تركيا ليصدر « قرار العصيان » . . واصبح من يحارب مع عرابي « كافرا » لا يموت شهيدا ولا يدخل الجنة !.

وهكذا، استغلوا حتى الدين لضرب الشعب والقضاء على الثورة الوطنية !.

وفي احضان هذا التحالف نشأت الخيانة . . وعمل افرادها على هزيمة عرابي . .

الطبقية والجيش !.

كانت الثورة الوطنية في مصر في تلك المرحلة ،هي ثورة فلاحية في المرتبة

الاولى . . فأبناء الفلاحين الذين انفتح امامهم الطريق لدخول الجيش، وجدوا انفسهم في مواجهة سافرة مع رجال الجيش الذين كانوا في الاصل من ابناء الشراكسة الذين يمثلون التبعية لتركيا . . وحدث التصادم بين ابناء الفلاحين والضباط من ابناء الاتراك او بقايا المماليك . .

وعندما بدأ الغزو لمصر انعكس على حالة الفلاحين الاقتصادية من سلب اراضيهم وارهاقهم بالضرائب لسداد الديون وفوائد القروض . . ووجد هؤلاء الضباط من ابناء الفلاحين، انهم مسؤولون عن حماية اهاليهم من هذا الغزو. . والحكم الاستبدادي المطلق الذي فرضه الخديوي . .

. . انتهت الثورة العرابية الى الهزيمة بفضل الخيانة. . ودخل القائد الانجليزي القاهرة في صحبة الخديوي . . وتقدم عمداء العائلات التي عاشت على استغلال الفلاحين وخدمة الخديوي، بهدية «سيف من الذهب» قدمه عمداء العائلة الاباظية وعائلة سليمان بالصعيد والسيوفي بالقاهرة ! .

ولم تنس القوى المضادة ما حدث . . وتم تسريح العناصر الوطنية داخل الجيش ، وخفض عدده ونزع سلاحه . . وتولى قيادته ضباط من التحالف الرجعي . . ضباط انجليز . . جنرالات من السلالة التركية وابناء كبار الاقطاعيين ! . .

وظل هذا الوضع سائدا حتى تم توقيع معاهدة ٣٦ . . وعلى الرغم من دخول ابناء الفلاحين . . وابناء الطبقة الوسطى الى الكليات العسكرية . الا ان القيادة والتوجيه ظلا في يد البعثة البريطانية العسكرية ، وظل امراء البيت المالك على رأس القوات المسلحة ، فتولى البرنس اسماعيل داود قيادة سلاح الفرسان ـ اهم اسلحة الجيش في ذلك الوقت .

وكان اختيار الطلبة للكلية العسكرية حتى عام ١٩٥٢، يتم بعد « كشف

الهيئة » الذي يحدد وضع الطالب الطبقي . . فكانت الغالبية تختار من بين ابناء الاقطاعيين او كبار الماليين او كبار الموظفين، وكان يشترط في ابناء غير كبار الموظفين ان يكون اباؤهم ممن يملكون خمسين فدانا على الاقل ! .

وعندما استطاع بعض ابناء الطبقات الفقيرة، التسلل الى صفوف طلبة الكلية الحربية ، بدأت الاصوات ترتفع احتجاجا على نزول اوهبوط المستوى الطبقي للضباط . .

. من المضحك في ذلك الوقت ان الاصوات التي ارتفعت احتجاجا على انحدار المستوى الطبقي ، لم تحتج على وجود قائد لسلاح الفرسان اشتهر بالشذوذ والانحطاط الاخلاقي !

وقامت ثورة ٢٣ يوليو لتجد الوضع داخل الجيش انعكاسا للوضع الداخلي في مصر . .

فعلى الرغم من تنحية القيادات السياسية ، الا ان هذه القوى ظلت تتعايش مع الثورة عن طريق ابنائها او بوجودها المباشر . . تتظاهر بتأييد الثورة وتتعايش معها .

وكذلك ظل الوضع داخل الجيش، على الرغم من تنحية القيادات العسكرية العليا ، الا ان العناصر التي تلقت تعليمها او ثقافتها العسكرية على يد الضباط الانجليز سواء في بعثات الى لندن او توجيهات واشراف البعثة البريطانية ، والذين كانوا اساسا من ابناء العائلات التي ارتبطت بالسراي وكبار الاقطاعيين . . هؤلاء الضباط ظلوا في اماكنهم يحملون نفس الفكر الذي نشأوا عليه ، ويضمرون عداء موروثا وطبقيا لأبناء الشعب من الفلاحين والعمال . .

ولم يكن من السهل ان يتخلص من كل هؤلاء الضباط الا بمرور السنين . .

● المؤامرة . .

كان الاستعمار يدرك ان القوة الاساسية التي تحمي الثورة هي الجيش . . كانت الطليعة من بين صفوفه . . وهو القوة الوحيدة المنظمة التي تستطيع ان تحسم اي صراع داخلي . .

. . وعندما تكشفت للقوى المعادية للشعب، طبيعة ثورة ٢٣ يوليو التحررية ، بدأ التخطيط لضرب الثورة . . ووضعت الجيش كهدف اول لعملياتها . .

واختار عبد الناصر اوثق العناصر واكثرهم ولاء للثورة، ليتولى المسؤولية السياسية للقوات المسلحة ، واعتقد ان خط السير السياسي للثورة كفيل للسيطرة على العناصر المعادية او المترددة داخل الجيش . .

. . سرعان ما تحركت القوى المضادة ، وكان هناك خبراء من المانيا الغربية . . واخذت القوى الاستعمارية في تحريك عملائها لتنظيم هذه القوى المضادة داخل القوات المسلحة . . واعتمدوا على خبراتهم وعلاقاتهم القديمة . . فهناك رصيد من الضباط الكبار الذي يحملون العداء لابناء الفلاحين، بالوراثة . . كما ان عددا من هؤلاء الضباط كانوا من عائلات مستهم قوانين الاصلاح الزراعي ثم التأميم . . كما ان غالبيتهم كانوا من اصل شركسي او ابناء كبار الملاك الزراعيين . .

وفي نفس الوقت ، جاء تحديث الجيش ضربة لهؤلاء الضباط الذين عاشوا في سلك الجيش في استرخاء وكسل . . ولم يحاولوا تطوير ثقافتهم العسكرية ، بل اكتفوا بما تلقوه من مبادىء اولية في الكليات البريطانية او تحت اشراف البعثة البريطانية ، فقد ظل الجيش طوال فترة الاحتلال ، جيشا استعراضيا لا يتحرك الا في الاعياد او الاحتفالات الرسمية . . وعندما تحرك لاول مرة في حرب ٤٨ ، لم يدخل تجربة حقيقية . . وظلوا يرفضون اصلاح وتوجيهات الخبراء السوفيات . .

والتفّت العناصر المعادية حول المشير عامر واغرقته فيما عرف عن ابناء هذه الطبقات من انحلال وتفسخ ، وانهمكت هذه المجموعة من القيادات العسكرية في التجارة غير المشروعة وعقد الصفقات . . وهكذا تشكلت فئة « المحظوظين » من الضباط الكبار . . واصبحت مصالحها الذاتية والشخصية تتعارض مع الاتجاه نحو الاشتراكية . .

وكما اعلن عبد الناصر بعد النكسة . .

« . . قلت لكم ان مراكز القوى القديمة بتتمثل في طبقة من العسكريين السياسيين ، بعضهم تجاوزت الثورة قدرتهم ، وتجاوزت مصالحهم واستعدادهم للتطور . . » .

ثم قال . .

« . . قلت لكم ان هذه الطبقة العسكرية السياسية كانت قد وصلت الى حيث اعتبرت نفسها وريثا شرعيا للثورة ، او بمعنى أدق ، وريثا للحكم أو بمعنى اكثر تحديداً ، أن الثورة بالنسبة لهم أصبحت هي الحكم ، والحكم بالنسبة لهم اصبح مظاهر ومغانم . . » .

لم تكن المشكلة في القيادات السياسية فحسب ، او القيادات التي ارتبطت

فكريا وتاريخيا بالاستعمار . . بل ان هذه العناصر استطاعت ان تجذب اليها عناصر البرجوازية الصغيرة التي جذبتها الاضواء وشدتها المغريات والتطلعات واستهوتها حياة اللذات والشهوات التي هيأتها لها عناصر القيادات القديمة والمغريات المادية التي قدمها لها العملاء . . ان هذه العناصر دفعتها التطلعات الى الانتقال من مستواها الطبقي الى مستوى اعلى . .

واخذ اغراء الاستعمار طريقه الى هذه الفئة من الضباط يستهويها بشهوة الحكم والتسلط . . يبث فيها العداء لعبد الناصر وللثورة وكل ما حملته من تغييرات في طريق التقدم ومن اجل الجماهير . .

وهكذا فتح الطريق امام « الخيانة » . .

● اعترافات ! . .

. يقولون في القانون . . « ان الاعتراف سيد الادلة . . » .

واليوم ، اصبح امامنا اعترافات صريحة لبعض هؤلاء الضباط الذين خانوا الثورة في المعركة . . واعترافات مضادة من الضباط الوطنيين والشرفاء . .

ضباط الخيانة ، يحاولون ان ينسبوا ماحدث في ٥ يونيو الى عبد الناصر شخصيا ، وانفعالاته وتوتره العصبي الذي يرتبط بحالته الصحية ! . .

ورد الضباط الوطنيون ، بأن اسباب الهزيمة هي اهمال الاستعداد بجدية ، واهمال التدريب بجدية ، واهمال التخطيط بجدية ، واهمال متابعة العدو بجدية . . ثم اهمال القتال بجدية . .

. . ان هذا الخلاف الذي نقرأه في مذكرات كبار الضباط ، يكشف طبيعة

الصراع الطبقي الذي كان موجودا في الجيش . . صراع بين قوى وطنية وقوى رجعية . . قوى كانت وما زالت تحمل لواء الدفاع عن عبد الناصر . . وقوى خائنة تدين عبد الناصر وتشجب خط التحرر الوطني . .

وصدق من قال . .

« ما أشبه الليلة بالبارحة . . » .

ضباط خانوا عرابي وانضموا الى اعداء الثورة واعداء الشعب . . وضباط ظلوا على ولائهم حتى الاستشهاد او النفي . . وضباط يدينون عبد الناصر وتهجمه على الغرب . . وضباط ظلوا على ولائهم ، استشهدوا على ضفاف القنال او شردتهم القوى المعادية للشعب . .

الفريق مرتجى يتجاهل تاريخا طويلا من النضال والحرب ضد اسرائيل ومحاولات التدخل الاميركي . ويقول ان قصور تفكير المسؤ ولين - ويقصد عبد الناصر - شوه صورة عدالة قضيتنا مع اسرائيل . . ويدعي انه لم تكن هناك حشودا اسرائيلية على حدود سوريا . . ويقول ان الاقتصاد المصري المنهك كان من عوامل الهزيمة !!

ويكشف اللواء البدري ، ما هدد به رابين واشكول بغزو سوريا بل ان الفريق مرتجى نفسه يعود ويقول ان سوريا كانت تستفز اسرائيل !

هذا هو موقف الفريق مرتجى قائد جبهة سيناء من عبد الناصر ، ومن الثورة العربية وليس فحسب ثورة يوليو ! .

ويذكر اللواء البدري ما يذكرنا بمعركة عرابي في التل الكبير ، فبينما انسحب ثلاثة قادة من الجيش المصري امام القوات المعادية لتسمح لها بتدمير جيش عرابي ، ظل الاميرالاي محمد عبيد أمام مدفعه حتى استشهد بين

جنوده ، وثبت اللواء راشد حسني حتى جرح ، كما جرح اللواء علي فهمي في المعركة . .

وفي سيناء يقول اللواء البدري :

« . . بمجرد ان علم نائب رئيس هيئة العمليات بقرار الانسحاب الانهزامي ،حتى اندفعوا الى حجرة المشير في لهفة . ونطقوا في صوت واحد يستحلفونه بحق مصر وحق العروبة . . وبكل القيم السامية ان يلغي هذا الامر المنكود، ثم راحوا يقنعونه بالادلة العلمية والعملية ان كافة الظروف الميدانية والمحلية والدولية لا تبرر اصدار مثل هذا القرار . . » .

لا جدال ان كلمات اللواء البدري تستدعي وقفات طويلة لنتساءل .

● هل خاف العسكريون المحيطون بالمشير ان يستغل عبد الناصر وجودهم في سيناء او نهاية المعركة بالهزيمة او النصر فيتخلص منهم،كما اشار الى ذلك الفريق مرتجى ؟

● ام ان قرار الانسحاب جاء بايحاء من العناصر التي ثبت تآمرها ضد عبد الناصر ، وارادت ان تقدم الهزيمة كمبرر للتخلص منه ؟ . .

. . ان هذه العناصر الخائنة والمتآمرة التي خانت وطنها وتخلت عن شرفها العسكري لعدائها لثورة يوليو ، لا يمكن ان تحجب صور البطولة التي قدمها الضباط الوطنيون . .

فكما سقط الاميرالاي محمد عبيد امام مدفعه في الثورة العرابية ، ظل الشهيد البطل العميد علي جمجوم صامدا في خندقه مع قلة من جنوده الابطال، الى ان نفذت ذخيرتهم فاقتحمتهم مدرعات العدو وسقطوا تحت جنازيرها . .

● اين الخونة ؟!

كان نصيب الخونة في ثورة عرابي ، الحصول على اكراميات من ملكية الاراضي الزراعية . . كما حصلوا على مبالغ نقدية من الخديوي . . وكان مصير الابطال الاستشهاد او النفي والتشريد . .

واليوم من حقنا ان نتساءل اين اصبح هؤلاء القادة الذين تخلوا عن جنودهم في صحراء سيناء وعادوا الى الاسماعيلية او القاهرة ؟ .

البعض نال حق توكيلات شركات اميركية . . والبعض الاخر يساهم في شركات غربية . . واخرون خرجوا من الجيش او السجون ليتولوا رئاسة اندية وجمعيات معروفة بانها قلاع للرجعية . .

واذا كان بعض هؤلاء القادة قد جبنوا عن مواجهة العدو، فلا اقل من ان يتمسكوا بالشرف العسكري ليواجهوا عبد الناصر ايام حياته، باخطائه او يستقيلوا . .

اما ان نجد هؤلاء القادة كما وصفهم الفريق الشاذلي ، كانوا يقبلون حذاء عبد الناصر ايام حياته ثم يهاجمونه اليوم . . ان هؤلاء القادة يثبتون كل يوم انهم لم يكونوا اهلا لحمل الشرف العسكري ،بل كان يجب ان تنفذ فيهم احكام الاعدام ،كما طالب الشعب . .

ان المأساة الحقيقية ان هؤلاء القادة ، لم يجدوا المجال لنشر مذكراتهم ، الا بعد دخول نيكسون الى القاهرة ووصول بيغن الى الاسماعيلية . . وكأنهم كانوا على موعد !



« أما ما يهددنا به كبار أصحاب المصارف ورجال المال في اوروبا ، فانا سنحمل ذلك في ثبات وحكمة ، ففي رأينا أن ذلك الوعيد لن يضر الا انفسهم وانه ليؤذي تلك الدول التي يضللونها . . » .

من مذكرات
احمد عرابي

. . من الذي اشعل حرب ٦٧ ؟! .

سؤال غريب يثار اليوم . . وكأن الحرب ضد اسرائيل . . ضد العدو الذي اغتصب الارض . . ويهدد عالمنا العربي ، جريمة تستوجب السؤال ؟! .

. . ومن المؤلم ان الذين يثيرون هذا السؤال ؟! . يضعون اسرائيل في موضع المعتدى عليه ، وذلك في سبيل ان ينالوا من عبد الناصر ، وان يطعنوا

حكمه . . وان يشوهوا ثورة ٢٣ يوليو !.

ومن المزري حقا ، ان يصل الامر بهؤلاء، لان يضعوا انفسهم في نفس الجانب الذي يقف فيه الاعداء، سواء داخل اسرائيل او خارجها !.

بل لعل المذهل ، ان يرددوا نفس الحجج . . ونفس الإتهامات التي رددها العدو ضد عبد الناصر . . ويصمون انفسهم بالجهالة والامية السياسية . . او الخيانة . !

● حرب وقائية !.

يقول الفريق مرتجى في مذكراته . .

« . . ان الاستنتاج المنطقي السليم خلال هذا العام ـ ١٩٦٧ ـ كان يؤكد ضرورة تجنب اي حرب مع اسرائيل وبالتالي ضرورة تجنب تأزيم الموقف معها، حتى لا نعطي لها مبرر القيام بحرب وقائية أو ما تطلق عليه الهجوم المضاد . .

. . من خلال هذه الأسطر ، يتبين لنا رؤية الفريق مرتجى لحرب ٦٧ ، فهو يرى . .

اولا : ان ما قامت به اسرائيل من عدوان عام ٦٧ كان حربا وقائية !.

ثانيا : ان عبد الناصر اعطى لها المبرر للقيام بهذا العدوان . .

وليس هناك رد على كلام الفريق مرتجى ، ابلغ من تصريحات احد جنرالات اسرائيل الذين اشتركوا في حرب ٦٧ ، والذي نشر واذيع في صحافة واذاعات العالم اجمع . . والتي اعلنها عام ١٩٧٢ . .

قال الجنرال « متتياهو بيليد » . .

« . . انني ارفض تماما القول ان الاسرائيليين كانوا معرضين لخطر الابادة كافراد وجماعة . . انني مقتنع تماما بأن الحكومة لم تسمع قط من هيئة الاركان أن التهديد العسكري المصري كان يشكل خطرا بالنسبة لاسرائيل . . لقد اختلقت كل هذه الروايات بعد مرور بضعة اشهر على الحرب ، ولم يكن لها اي وزن على مجمل تقديرات تلك الايام ، وكذلك الرواية القائلة ان اسرائيل تواجه خطرا رهيبا بسبب حدودها الضيقة . . »

. . ان الجنرال بليد ، ليس من « الخونة الذي فضحوا العدوان الاسرائيلي ، فهو لم يقف ابدا ضد الحكومة الاسرائيلية وكان عضوا في حزب جولدا مائير وموشي ديان . . وميوله لامريكا معروفة ،. . وكان عضوا في هيئة الاركان الاسرائيلية التي هيأت لحرب ٦٧ . .

. . ولكن الفارق . . ان الجنرال بليد بعد تقاعده من الجيش ،اصبح استاذا في جامعة «بارايلان»، بينما اتجه الفريق مرتجى الى النادي الاهلي ليكسب معركة الدوري والكأس !.

اما النقطة الثانية التي يثيرها الفريق مرتجى ، وهي ان عبد الناصر اعطى لاسرائيل المبرر لعدوان ٦٧ .ـ. فيبدو ان الفريق مرتجى لم يسمع عن قصة « الذئب والحمل » . . وبالتالي لم يسمع ان اطماع اسرائيل تمتد من النيل الى الفرات . .

● من أشعل الحرب !.

. . بعد اسبوعين من تصريحات الجنرال « بيليد » اعلن الجنرال وايزمان قائد الطيران في حرب ٦٧ في صحيفة هاآرتس قائلا : « انه موافق بانه لم يكن

هناك خطر ابادة بالنسبة لوجوداسرائيل ، ولكن ذلك لا يعني انه كان بمقدورنا تجنب ضرب المصريين والسوريين والاردنيين . فلو لم نفعل ذلك لما استمرت دولة اسرائيل بالعقلية نفسها وبالطابع ذاته . . » .

ونعود الى تصريحات الجنرال « بيليد » . فنجد انه يشير بانه لم تكن هناك ادلة على ان مصر تنوي مهاجمة اسرائيل . .

. . هذه التصريحات صدرت عام ١٩٧٢ . . اما في عام ١٩٦٧ ، فاننا

نجد تصريحات تتوافق تماما مع ما يردده قادة الهزيمة الذين نحاهم عبد الناصر . .

كانت الجوقة الصهيونية تعزف في العالم اجمع نفس المقطوعة التي يرددها اعداء العرب . . . واعداء ثورة يوليو . .

« الفرانس سوار » الصحيفة الفرنسية اليمينية ، تخرج صباح ٦ يونيو تحمل في صدر صفحتها الأولى عنواناً ضخماً ، عن عدوان مصر على اسرائيل . . « مصر تهاجم اسرائيل . . »!.

وينشر دايان امرا يوميا يقول فيه « نحن لا نريد غزو الاراضي ، ما نريده ببساطة هو تأمين سلامتنا . . » !

ويعلن ليفي اشكول . .

« . . اليوم سترى اسرائيل من هم اصدقاؤها الذين سيساعدونها في مقاومة العدوان الذي نشب بفظاظة على الحدود . . ان اسرائيل تريد السلام ، وهي لن تهاجم ايا من البلاد العربية الموجودة على حدودها . . وكل ما ستفعله هو الدفاع عن نفسها . . » .

وفي اميركا . . يعلن الرئيس جونسون في الساعات الاولى للحرب ،أن

كلا من الطرفين يتهم خصمه بانه هو الذي بدأ العدوان . . « الامور ليست واضحة . . » !

اما الحقيقة في موقف أميركا، فيرويها ابا ايبان في مذكراته . . فيقول . .

« سألت دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة عما اذا كانت لديه اية تحفظات على قيام اسرائيل بعمل عسكري ، فأجابني بايجاز: وهل من واجب الولايات المتحدة ان تمنع كائنا عن ان يعمل ما يشاء ؟!

فهل بعد ذلك يمكن ان يثار سؤال . . من اشعل حرب ٦٧ ؟!

ان التواطؤ الاميركي الاسرائيلي لم يعد خافيا . . ومع ذلك نجد اصواتا كان مفروضا فيها الالتزام بالشرف العسكري ، تردد اليوم ما رددته ابواق الدعاية المعادية خلال العدوان . .

. . ولقد اجابت احدى الصحف الفرنسية على ما قيل من ان اغلاق خليج العقبة في وجه السفن الاسرائيلية هو الذي اشعل الحرب، فقالت :

« في الحقيقة ان اقفال خليج العقبة بوجه السفن الاسرائيلية لم يكن سبب النزاع بالقدر الذي لم تكن فيه ضربة مروحة « الداي » سببا لاحتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ » . .

وكشفت صحيفة « لومانيتيه» الفرنسية صباح العدوان، الدوافع الحقيقية لعدوان ٦٧ الصهيوني الامبريالي ، فنشرت . .

« . . ان المسؤوليات الرئيسية للتوتر الذي نشأ، تقع مرة اخرى على عاتق الامبريالية الاميركية . . ان عزمها على المحافظة على الامتيازات الهائلة للاحتكارات الاميركية، والتي تشمل الموارد الاقتصادية لبلدان الشرق الاوسط ، ومحاولاتها المستمرة لضرب حركة التحرر الوطنية والديمقراطية لشعوب هذا الجزء من العالم . . » .

● المفاجأة !.

.. هل كانت حرب ٦٧ مفاجأة للجيش المصري ؟!

.. يقول احد قادة الهزيمة والذين صنعوا المأساة .. « فوجئت القوات المصرية بالأزمة السياسية في ١٤ مايو .. » .

ثم يقول ..

« اندلاع الحرب يوم ٥ يونيو، كان مفاجأة على المستوى التكتيكي والفكري .. » .

ان المغالطة هنا لا تحتاج الى دليل .. فالقادة العسكريون ، لا يقفون في انتظار اتجاه الريح السياسية .. بل تقف الجيوش على اهبة الاستعداد لمواجهة اي نداء للقتال، في اي مكان او زمان ..

ولكن القيادة العسكرية التي سقطت في ٦٧ . هذه القيادة التي احاطت بالمشير عامر وعزلته عن ثورة يوليو وعن عبد الناصر ليكون طوع ارادتها ويلبي توجيهاتها .. تحاول اليوم ان تحمل عبد الناصر مسؤولية الهزيمة ! وهي بذلك تسير في نفس المخطط المرسوم لها والذي سلكته خلال المعركة والذي أدى الى مأساة ٥ يونيو .. فهي تقف موقف المعاداة من ثورة يوليو .. وهي تعمل على ضربها في كل الاتجاهات وتشارك اليوم في تصفيتها ..

والسؤال ..

● هل فوجئت القوات المصرية بالازمة السياسية في ١٤ مايو ؟!

.. في ١٢ مايو اعلن اسحاق رابين من اذاعة اسرائيل .. « اننا سوف نشن هجوما خاطفا لنحتل دمشق ، ونسقط الحكم القائم فيها .. » .

وقبل ذلك في ٧ ابريل ٦٧ ، قامت الطائرات الاسرائيلية بابشع هجوم على دمشق . .

. . فاين المفاجأة ؟ . .

هل كان القادة العسكريون يتوقعون ان يقف عبد الناصر موقف المتفرج من عدوان اسرائيلي على سوريا ؟!

ثم . .

هل كانت سوريا هي الهدف أم كان الهدف الحقيقي هو ضرب الثورة في مصر ؟!

ان كل الحقائق والادلة تؤكد ان عدوان ٦٧ ، قد اعد منذ انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء .

ففي عام ٥٦ ، اعلن جون فوستر دالاس وزير خارجية اميركا، عقب تاميم القناة . .

« . . لا يهمني عدد كلمات ميثاق الامم المتحدة التي تحث على عدم استخدام القوة . . » .

كما صرح دالاس لوزير خارجية بريطانيا سلوين لويد : « ان تعليماتنا لدوائرنا المختلفة تؤكد عليهم ضرورة التخلص من عبد الناصر خلال ستة اشهر . . » !

اما سلوين لويد ، فيقول في مذكراته . .

« . . اما في بريطانيا ، فقد كنا نرغب في وضع حد لعبد الناصر، لاننا كنا نعتقد ان ما كتبه في « فلسفة الثورة » انما يعبر عن نواياه . لقد كان عدونا وعدو النفوذ الغربي في الشرق الاوسط وافريقيا . . » .

ويكشف سلوين لويد مزيدا من نوايا الغرب قائلا :

« . . كان املنا منصبا على امكانية حماية مصالحنا النفطية . . والعمل على خلق نظم مواليه لبريطانيا . . وكان لا بد من استمرار وجودنا العسكري في الخليج . . وقد اصبح واضحا في هذه الاثناء، ان عبد الناصر هو العدو اللدود » .

. . لم يحقق عدوان ٥٦ اهدافه ، وان كانت اسرائيل قد انتزعت حق المرور في خليج العقبة . .

. . كل مصري . . وكل عربي يعرف ان مصر مستهدفة للعدوان في اي لحظة . . لاسقاط عبد الناصر . . وضرب حركة الثورة الوطنية . .

. . فكيف يمكن ان يقال . . ان حرب ٦٧ كانت مفاجأة للقوات المسلحة . .

● مغامرة « علي بابا » !.

يقول « جاك كوبار » في كتابه « اوراق جديدة عن حرب الايام الستة » . .

« يقدم القادة الاسرائيليون انفسهم ، ومنذ نشأة دولتهم ، كحراس لمغارة علي بابا الخاصة بالمصالح الاميركية ، وتتم عملية النهب على حساب رفاهية الشعوب التي ما تزال تعيش في البؤس الموروث من الاستعمار ومن الطغمة الاقطاعية . . بينما حصل الدركي الاسرائيلي وما يزال يحصل على ما هو ضرورة للقيام بمهمته : المال والسلاح ، كما انه يقبض حصته من الارباح . . » .

. . ولسنا في حاجة الى الاستشهاد بكاتب فرنسي ، فلم يكن عدوان

٥٦ ، سوى محاولة لاعادة ارباح شركة القناة الى المساهمين الفرنسيين والانجليز . .

اما بالنسبة لاميركا ، فان الدراسة التي نشرها معهد الشرق الاوسط في واشنطن ، تكشف لنا اهداف عدوان ٦٧ . . ففي عام ١٩٦٩ ، اشارت هذه الدراسة الى المصالح الاميركية في الشرق الاوسط . . . . قائلة . .
« التجارة والتوظيفات الاميركية في شمال افريقيا تدر اكثر من ملياري دولار في السنة على الولايات المتحدة ، تاتي بمعظمها من انتاج البترول وتكريره وتسويقه . ولقد استثمرت الشركات الاميركية حوالي ٢٨٥ مليون دولار في الشرق الاوسط و ١٥٠٠ مليون في افريقيا . ان هذه الاستثمارات وغيرها، تشجع بطريقة غير مباشرة تصدير الانتاج الاستهلاكي ، بالاضافة الى الادارة وسائر الخدمات . ثم ان الموظفين الاميركيين العاملين في الشرق الاوسط يرسلون قسما رئيسيا من اجورهم الى الولايات المتحدة . . ويأتي نصف الدخل الاميركي من الاستثمارات المباشرة ، في البترول الاجنبي من الشرق الاوسط . . ويمثل هذا خمس الدخل الاجمالي الذي تجنيه الولايات المتحدة من استثماراتها المباشرة في الخارج . . » .
وكما قيل . .

« . . ان حرب يونيو (حزيران) هي ايضا حرب بترول . . » فاذا ادركنا هذه البديهية ، يصبح من السهل ان نحدد من الذي اشعل حرب ٦٧ . .

● صيحات الحرب ! .

. . ان صيحات حرب ٦٧ ، لم تنطلق من اسرائيل او الولايات المتحدة

فحسب، بل ان اليمين الفرنسي لم ينس انه خسر اسهم وارباح شركة القنـاة . .

فنشرت « الفيجارو » في ٣٠ مايو . . ما نصه .

« . . ان مبادرة وضع النار في البارود او على الاقل قريباً منه بشكل خطر ، قد جاءت من الدكتاتور المصري » ! . .

وقالت صحيفة فرانس سوار . .

« . . مليونان ونصف اسرائيلي محاطون ، محاصرون ، بمئة مليون عربي ! » .

وتقول « النوفيل اوبسرفاتـور » . .

« . . هل اسرائيل مهددة بالموت ، نعم دون شك ! » .

فهل من الممكن ان تخفي هذه الصيحات ، استعدادات اسرائيل منذ ١٩٥٧ حتى ١٩٦٧ . .

فلم يعد خافيا اليوم أن بن‌جوريـون اصـدر توجيهـاته السيـاسية الاستراتيجية لعام ١٩٥٧ ، وتضمنت الهجوم على كل الجبهات . . اي كل جبهات المواجهة دون استثناء . . مع ترك تحديد يوم الهجوم وساعة الصفر لرئيس الاركان العامة . . وعندما تولى ليفي اشكول الوزارة عام ١٩٦٢ اعتمد هذا التخطيط . .

وهكذا أعد التخطيط لحرب ٦٧، وهو ما تم تنفيذه بالفعل . .

كان عبد الناصر يعمل في وضوح ، ، وفي ضوء النهار . . كان امامه الدفاع عن الثورة . . والدفاع عن الالتزامات العربية . . بينما كان موشي دايان يذهب الى البيت الابيض ليقابل جونسون فيدخل من الباب الخلفي . . ثم

يضغط جونسون على يد موشي دايان مؤيدا ومدعما . . وفي لندن يلقى دايان نفس التأييد .

ولم يكن وضوح عبد الناصر ، سذاجة . . بل كان يدرك ان المعركة اكبر من مجرد مواجهة عسكرية ، ولهذا اراد ان يجمع التأييد العالمي . . اراد ان يخرج بالمعركة من ظلام السراديب الاستعمارية والمؤامرات المرسومة الى ضوء النهار . .

. . وكان كل ما يطلبه عبد الناصر من القيادة العسكرية هي المساندة في تحركه السياسي . . ولكن القيادة العسكرية خذلته منذ الساعات الاولى . . تماما كما فعلت في نكسة الانفصال . . وفي تخاذلها ايام ٥٦ . .

لقد كانت صيحات الحرب في اسرائيل تدوي ، بينما كان القادة العسكريون من جماعة المشير وعملاء المخابرات ، يعيشون في عالم آخر من المباذل والمؤامرات . .

وكما كتب احد المفكرين الفرنسيين :

« . . بعد بضع ساعات من القتال الشجاع ، ولكن بدون نتيجة ، تم التخلي عن الضباط والجنود المصريين الشبان الذين خانتهم هيئة اركانهم من الجنرالات ذوي الامتيازات . . » .

● أسئلة محيرة !

. . أهداف التوسع الصهيوني واضحة . . والاهداف الاميركية محددة في اسقاط النظم التقدمية ، وضرب الثورة في مصر . . والاعداد للحرب مرسوم منذ عام ٥٧ . . ومع ذلك يضع الفريق مرتجى اسئلة تثير الدهشة . . بل

وتدعو الى التساؤل عن موقفه خلال الحرب . .

يتساءل الفريق مرتجى :

« . . لماذا اختارت القيادة السياسية ـ وهو يعني عبد الناصر ـ يونيو ٦٧ ، لتقوم بمغامرتها الكبرى التي انتهت هذه النهاية المفجعة ؟ ولماذا اندفعت من غير ترو بحيث شربت الكأس حتى الثمالة ؟ هل هو الزهو ؟ ام الخديعة غير المحسوبة ؟ ام الاعتماد على حسن الطالع الذي يشير به المنجمون ؟ ام الشعور بأن الحظ حليف ابدي لها ؟ ام هو التخلص من بعض عناصر القوات المسلحة والتي يتعذر استبعادها في جو سلمي عادي ؟ » .

ان اعداء عبد الناصر لم يرموه . . ولم يتهموه بمثل هذه الاسئلة . . وهذه الكلمات التي دونها قائد جبهة سيناء في مذكراته . .

. . وهي إن كانت تدلّ على الجهالة السياسية ، الا انها تجعل كثيرا من الشبهات تحوم حول كل تصرفاته منذ كان مديرا للتدريب ثم قائدا للقوات البرية . . ثم قائدا لجبهة سيناء . .

. . ان القائد الذي تولى مسؤولية الدفاع عن سيناء ، لم ير في المعركة سوى انها مغامرة او لعبة حظ . . او محاولة للتخلص من بعض القيادات . . اما العدوان الصهيوني . . والتآمر الامبريالي . . ومحاولات احتلال الارض العربية منذ عام ٤٨ ، فهذا كله لم يخطر على باله . .

ولكنها احدى محاولات تشويه الثورة الوطنية . . وبعد . .

اذا كانت هذه هي نوعية الرجال الذين تصدوا للمعركة ، اليس من حق عبد الناصر ان يعلو حيا وميتا بهامته فوق كل الرؤوس . .

ولكن . . من حق عبد الناصر ، ان نذكر ماذا فعل . . وماذا قدم لملاقاة المأساة . . وماذا عمل لانقاذ مصر . .



« وليت شعري ماذا تكون الزعامة اذا لم تكن هذه زعامة ؟ السنا نرى الآن في عرابي شخصيتين :شخصية الجندي الذي يسير بمطالب الجند على راس الجند ثم شخصية الزعيم الفلاح الذي بدأ الفلاحون يرفعون به رؤوسهم وقد خفضوها أجيالاً طويلة ؟ » .

من كتاب

« أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه » .

أسئلة كثيرة . . وعلامات استفهام ، ما زالت تثار حول مسئولية عبد الناصر عن النكسة . .

. . وهذه الاسئلة لا تطرح من الاعداء والمتآمرين للتشكيك في الثورة الوطنية او طعن عبد الناصر . . بل كثير من الشرفاء ، يتساءلون في حيرة . .

● لماذا لم يحسم عبد الناصر هذا الصراع داخل الجيش قبل المعركة ؟.

● لماذا لم ينحِّ عبد الناصر هذه القيادات والعناصر المهترئة او الخائنة، من قيادة الجيش..

● او ما مدى مسئولية عبد الناصر عن رئاسة عامر لقيادة الجيش ؟.

أسئلة كثيرة، ولكن الاجابة عليها تتطلب نظرة شاملة للثورة.. والظروف التي احاطت بها.. وابعادها التاريخية.. وواقع القوى السياسية والاجتماعية في مصر.. وفي العالم العربي..

ولن نستطيع الان الا ان نتحدث عن علاقة عبد الناصر بالجيش.. ومدى مسؤوليته عما حدث في ٥ يونيو..

● عبد الناصر والجيش

كان الجيش احدى مؤسسات الدولة التي اسقطتها ثورة ٢٣ يوليو.. وعندما اعيد تشكيل الجيش قام على انقاض هذه المؤسسة القديمة.. القديمة..

لم تكن ثورة ٢٣ يوليو، ثورة تغيير جذرية شاملة.. ولم يكن في استطاعتها ان تكون غير ذلك، في ظل الظروف التاريخية او الموضوعية لواقع الثورة..

القوات الانجليزية رابضة في القنال.. والقوى السياسية في الداخل، اكدت عجزها عن حمل عبء العملية الثورية ضد الاحتلال..

.. وتبدو قدرة «الزعيم» في تشكيل القيادة الثورية من العناصر المختلفة التي تمثل مختلف التيارات.. فالموقف يتطلب اوسع تحالف لطرد قوى الاحتلال..

وضمت قيادة « الضباط الاحرار » عناصر من الاخوان والوفديين واليساريين والفاشيين . من اقصى اليمين الى اقصى اليسار . . ولم يطلب عبد الناصر منهم الا الالتزام بولاء واحد . . هو الولاء لتنظيم الضباط ، وقطع علاقاتهم بأي تنظيمات اخرى . . ورفض البعض وتمسك بولائه القديم وترك التنظيم . . ووافق اخرون . .

كان « عبد الناصر » زعيما وقائدا لثورة وطنية . . وكان الجيش احد مؤسسات الدولة . .

لم يكن عبد الناصر قائدا للجيش . . كما لم يكن مسؤولا عن الامن الداخلي . . ولم يكن رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة او شركة ! . . لم يكن عبد الناصر مسئولا عن جمعية تعاونية او دار صحافية . .
كان عبد الناصر زعيما وقائدا لثورة . . وكان الجيش مؤسسة من مؤسسات الدولة . . وكان امام عبد الناصر احد امرين . . اما ان يمسك بيديه زمام الجيش . . وبذلك تقف الثورة عند الحدود التي ارادها الاخرون . . اي ان تكون مجرد حركة جيش . . او ان ياخذ مكانه كزعيم وينطلق بالثورة . .

واخذ الجيش مكانه الطبيعي داخل النظام الجديد . . وكما تولى كمال الدين حسين وزارة التعليم ورئاسة الاتحاد الاشتراكي . . وصلاح سالم مسئولية وزارة الداخلية . . تولى عبد الحكيم عامر مسئولية الجيش . .
هكذا ، قامت ثورة يوليو ، وانطلقت وراءها كل القوى الثورية الكامنة في اعماق الشعب . . ولكن كانت هناك ايضا القوى المناوئة التي عاشت في ظل الاستعمار ، وارتبطت به ماديا وفكريا . .
. . وفي ظل ثورة وطنية ، لم يكن ممكنا التخلص من كل العناصر

المعارضة . . ولم تشهد اي ثورة وطنية تطهيرا شاملا او اسقاط طبقات باكملها . .

بل لعلنا نذكر كيف حاولت الثورة الوطنية في الصين، العفو عن « تشانج كاي شيك » لضمه الى صفوفها بعد القبض عليه وأسره في معركة حربية . . وأفرجت عنه على اساس المصالحة الوطنية في مواجهة عدو خارجي . .

في ظل هذه الاسس والقواعد التي تحكم الثورات الوطنية . . كان الجيش مثل بقية مؤسسات الدولة ، ، تتنازعه قوى ثورية تريد ان تدفعه الى الامام . . وقوى مضادة تتمسك بالقديم وتصارع كل جديد . .

وكان الجيش هدفا . . سواء من القوى الداخلية المناوئة او القوى الخارجية المتآمرة ضد مصر . .

كان الجيش طليعة الثورة . . وكان من الطبيعي ان يتولى احد اعضاء مجلس قيادة الثورة، رئاسة الجيش حتى تلتزم قياداته بخط سير الثورة. . واختار عبد الناصر صديقه الوفي والعضو الاساسي في تنظيم الضباط الاحرار، عبد الحكيم عامر ، ليتولى هذه المسؤولية . .

ولكن القوى المضادة كانت تتربص بهذه القيادة الجديدة . . ومنذ معركة ٥٦ ، ظهر الموقف المتخاذل لبعض قيادات الجيش .

كان صدقي محمود قائدالسلاح الطيران ، وترك الطائرات امام العدوان ليقضي عليها العدو في يوم واحد .

وكان القائمقام عبد المحسن مرتجى ، مديرا لمكتب عبد الحكيم عامر . . وكان واضحا قصور او تقصير هذه القيادات خلال معركة ٥٦ . .

وكما قيل . .

لم تكن مواجهة عبد الحكيم عامر للعدوان ايجابية ولا ديناميكية . .

وشخصيته الطيبة المحبوبة ، لم تكن ذات تاثير نافذ في ظروف المعركة . . ولم يكن تحريكه للقوات واعداده للخطط ، رغم استعانته في مكتبه بعدد من الضباط اركان الحرب . . متناسبا ، مع خطورة الموقف . .

. . والحقيقة ، ان اختيار عبد الحكيم عامر في هذا المركز ، كان اختيارا سياسيا ، فالمسؤولية الحقيقية تقع على الضباط الكبار من رجال مكتبه . . ولكن عامر تمسك بهؤلاء الضباط ، واعتبر تنحيتهم تدخلا في رئاسته . . وهكذا بدأت اول واخطر مراكز القوى . . وسيطرت على الجيش . .

● بداية الصراع . .

لم يلق عبد الناصر بالا لموقف عبد الحكيم ، فقد كان صديق عمره وكان يسكن معه في سكن واحد قبل الزواج . . واعتقد عبد الناصر انه يستطيع ان يقنع عامر بعد الانتهاء من المشاكل الكبرى . .

هل كان في استطاعة « الزعيم » ان يدخل في حوار مقنع او يعزل عبد الحكيم عامر ويسبب انقساما حادا للثورة ، بينما العالم كله يتطلع الى مصر بعد تاميم القناة . . وبعد هزيمة العدوان ؟ .

ووجدت القوى المضادة فرصتها لتحدث الشرخ الاول في علاقة عامر وعبد الناصر . .

ثم جاءت « نكسة الوحدة » والتي تأكد فيها مسؤولية المشير عامر عن احداثها . . سواء بتصرفات الضباط المحيطين بعامر في سوريا . . او تقاعس قائد الطيران عن نجدة قوات الوحدة ، وبدأ عبد الناصر خطواته الفعلية لحسم

الموقف في الجيش . ورأى تشكيل مجلس رئاسة لايجاد قيادة جماعية .

بدأ المجلس جلساته الاولى بالبحث في اختصاصات المشير والحد من سلطاته بالنسبة للنواحي العسكرية بعد تجربة ٥٦ ، وبعد ما حدث في الانفصال . . واعد قرار تحديد اختصاصات المشير، بما يجعل سلطات تعيين قادة الاحداث في القوات المسلحة ، من مسؤولية مجلس الرئاسة وليس من مسئولية المشير . . ووافقت اغلبية المجلس على القرار، ما عدا عامر وكمال الدين حسين ، وخرج المشير غاضبا وكتب استقالته . . واذا بقادة القوات البرية والجوية والبحرية وبعض كبار القادة يقدمون استقالتهم ايضا . . كان معنى ذلك ، اما عودة عبد الحكيم عامر بسلطاته ، أو انقلاب عسكري !! فقد حدث بالفعل ان قادة القوات المسلحة المقربين من المشير، اجتمعوا في القيادة واصروا على عودته الى موقعه . .

وصدر قرار من مجلس الرئاسة بعزل الفريق صدقي محمود قائد القوات الجوية ، واعترض المشير .

وحدث خلاف ايضا بين عبد الناصر وعامر حول عودة بعض القيادات المصرية العسكرية من سوريا الى الجيش . . ولكنهم ظلوا في اماكنهم حتى النكسة ! .

ماذا كان في قدرة اي زعيم . . او قائد ثورة في مثل هذا الموقف ؟ .
هل كان المطلوب من عبد الناصر ان يتخلى عن مكانه للمشير واقرانه ؟ .
ام كان مطلوبا من الزعيم ان يدبر عمليات اغتيال ؟! .

لم يكن أمام عبد الناصر إلا الرضوخ، ليحفظ للجيش وحدته وليجنب البلاد معارك داخلية، كما أعلن ذلك بعد النكسة . . قائلا :

« . . قلت لكم انا كنت شايف من وقت طويل بعض مظاهر الانحرافات ،

ولكن ذلك كان لا بد من علاجه باسلوب ياخذ في اعتباره الكثير من الملابسات والاوضاع ، قلت لكم ان هذه الطبقة العسكرية كانت قد وصلت الى حيث اعتبرت ان الثورة بالنسبة لهم اصبحت هي الحكم والحكم بالنسبة لهم اصبح مظاهر ومغانم » .

ظل عبد الناصر رغم زعامته التي نالها بعبقريته ونضاله وكفاحه السياسي . . ظل رغم كل ذلك يحتفظ في اعماقه بولائه العسكري ، فلم يشأ ان يلوث الشرف العسكري بأن يشير الى ارتباط بعض هؤلاء القادة بالمخابرات الاجنبية .

بل ان ولاء عبد الناصر للجيش يبدو لنا واضحا من تعيين الضباط الذين حاولوا قتله او التآمر عليه ، في مناصب مدنية بعد تخفيف الاحكام عليهم او انتهاء عقوباتهم .

. . ومن المؤلم . . ان يكون من بين اعداء عبد الناصر بعد وفاته ، عسكريون تولوا قيادات مدنية او عسكرية طوال حياة القائد .

● عبد الناصر والمعركة . . .

ان قصة عبد الناصر مع الجيش ، تعد من اروع انجازات الزعيم القائد .

. . كان البند الخامس من مبادىء الثورة المشهورة هو « اقامة جيش وطني قوي » .

وعندما حدث العدوان على غزة لم يتردد عبد الناصر في تحطيم احتكار السلاح ، وخاض معركة من اعنف المعارك ، حتى استطاع ان يزود الجيش المصري بأحدث الاسلحة وتحمل مسؤولية وجود الخبراء السوفيات . . وقبل

معركة ٦٧ كانت مخازن الاسلحة مكدسة بالسلاح السوفياتي الحديث . . .
واصبح القادة العسكريون في ارقى مستويات القتال . . . كماأدخلت على
الجيش احدث اساليب القتال .

ولكن مع الأسف ظلت القيادة العليا المتآمرة، حاجزاً بين الانجازات
التي حققها عبد الناصر وان يخلق داخل القوات المسلحة تنظيماً سياسياً
يرتبط بالاتحاد الاشتراكي ويكون وسيلة لارتباط الجيش بأهداف الثورة
الوطنية .

. . ومن جديد، وقف القادة الكبار ضد «تسييس» الجيش . . بل عملوا في
خط معاكس بتدعيم اجهزة الامن داخل الجيش . . وبذلك اتاحوا للعناصر
المضادة ان تتحرك داخل القوات المسلحة ، بينما ألقي القبض على كثير من
العناصر الوطنية ، كما استبعد كل من لا يدين بالولاء « للعصابة » اما بالنقل الى
وظيفة مدنية او التشريد .

وهكذا حطمت هذه القيادات الخائنة كل محاولات عبد الناصر في تطوير
الجيش . . سواء بتخزين السلاح وحجبه عن الجنود او ابعاد الخبراء
السوفيات قبل معركة ٦٧ . . . اوعدم القيام بالمهام الموكولة اليهم من تدريب
واعداد الجنود للقتال . .

وقد يطرح البعض سؤالا :
● وما دام هذا هو حال الجيش . . فماذا دفع عبد الناصر الى المعركة ؟! .
والسؤال ليس في حاجة الى جواب . . فالمعركة فرضت على عبد الناصر .
وكان هدفها اسقاط عبد الناصر وضرب كل المنجزات الاقتصادية

والاجتماعية التي حققتها . وبدأ اعداد العدو لها منذ ١٩٥٧ . .

ولم يكن امام عبد الناصر الا احد امرين . . . اما مواجهة العدو وكشف العدوان امام العالم . . . واما الاستسلام في تخاذل . .

ولم تكن من طبيعة عبد الناصر التخاذل او الاستسلام .

● في المعركة

حمل عبد الناصر مسئولية المعركة سياسيا ، وعسكريا، كان يجري الاتصالات السياسية . . . ويعقد المؤتمرات الصحفية . . ويلتقي بالقادة العسكريين . .

وفي يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ جدد عبد الناصر تقديراته كالاتي :

١ ـ ان اسرائيل سوف تبدأ عملياتها خلال يومين او ثلاثة بل حدد يوم ٥ يونيو موعدا لبدء الهجوم الاسرائيلي .

٢ ـ ان اسرائيل سوف تبدأ عدوانها بالضربة الجوية .

٣ ـ ان اسرائيل تعتمد على المفاجأة والمرونة وان معركتها قصيرة .

ويعلق الفريق صلاح الحديدي في كتابه « شاهد على حرب ٦٧ » على المؤتمر الذي اعلن فيه عبد الناصر تقديراته قائلا :

« . . لا شك ان هذا المؤتمر قد رسم الطريق امام العسكريين ليسلكوه . ولكنه كان طريقا تملؤه الاشواك والمخاطر، كما كان عبد الناصر صائبا في توقعاته للاحداث كما لو كان يقرأ المستقبل من كتاب مفتوح . وكان من الطبيعي ان تتخذ عدة قرارات عسكرية في اعقاب هذا المؤتمر تنفيذا للوضع السياسي

الاخير . وكان ضمن هذه القرارات ضرورة اخلاء المطارات الامامية في سيناء من الطائرات، حتى لا تكون لقمة سائغة لطائرات العدو عند قيامها بالضربة الاولى ، وحتى هذا القرار المنطقي لم يكتب له التنفيذ . بل ان الصورة الواضحة التي وضعها الرئيس الراحل عن توقعاته لم تخرج من جدران القاعة التي عرضت فيها » .

ثم يقول الفريق الحديدي . وهو احد الشهود

« . . قائد الجبهة فوجيء بهجوم العدو يوم ٥ يونيو، وقيادة العمليات في الاردن التي كان يمثلها ضابط مصري كبير نيابة عن رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصري، لم يخطر عمدا بتصورات الرئيس للأحداث المتوقعة، بل ان رجال القوات الجوية والدفاع الجوي لم يبلغهم ان قواتهم ستكون هدفا للعدو بعد يومين او ثلاثة، حيث ان قائد القوات الجوية ومعاونيه الذين حضروا هذا الاجتماع التاريخي، وجدوا من الانسب، لأسباب تعللوا بها، ألا يعلنوا هذه التوقعات على قواتهم المقاتلة، بل لم يخطر بها رئيس اركان حرب القوات الجوية الذي لم يكن موجوداً في الاجتماع » . .

. . ان الطبقة العازلة التي وقفت بين الزعيم والقاعدة العريضة . . او بين الثورة وجماهير الشعب . . . كان لها امتدادها داخل الجيش وقامت فعلا بعملية عزل رهيبة بين انجازات الثورة وبين القوات المسلحة . . .

لقد كان بين صفوف جيش عرابي، خائن واحد هو علي يوسف خنفس الذي سلم الجيش المصري للعدو. ولكن في حروب عبد الناصر، كان هناك أكثر من « خنفس » . . عملوا على طعن الثورة من الخلف . . واذا كان بعضهم قد استطاع ان يخفي نفسه ايام عبد الناصر ، فانهم اليوم يسفرون عن وجوههم بالطعن في الثورة وزعيمها، والذين خانوا الشرف العسكري على أرض

المعركة، لا يصعب عليهم ان يخونوا شرف الكلمة .

لقد ادى عبد الناصر رسالته الوطنية .. وقدم حياته وهو واقف وسط المعركة كجندي شريف .. لم يعط للعدو ظهره .. ولم يصافح العدو .. ولم يستسلم .

.. وعندما حدثت « مؤامرة النكسة » كان عبد الناصر في حاجة الى ان يريح جسده المنهك ... وما كان اسهل عليه من ان يتنحى ويغادر مصر طلبا للراحة والعلاج والاستجمام .

.. ولكن الزعيم القائد، ظل مرفوع الهامة ينفخ من روحه كل معاني القوة والمقاومة والصمود ...

« .. مفيش جيش في العالم خسر كل المعارك ما دام ابناؤه يحملون في قلوبهم العزم والتصميم والايمان » .

« خسرنا معركة عسكرية ولكننا لم نخسر ارادتنا » .

« .. ان شعبنا اثبت ان رقعة من ارضه قد تسقط تحت احتلال العدو ، ولكن أي رقعة من إرادته ليست قابلة للسقوط تحت أي احتلال .

« .. ان نار المحنة لا تحرقها .. وانما تساعد على نضوجها .. » .

« والصدمة لا تحطمها .. ولكن تكسر اغلالها وتحررها » ..

« ومن وسط الظلام الكثيف ينبثق شعاع الامل . » .

.. هكذا كانت كلمات عبد الناصر بعد النكسة، وعمل بعد ذلك على استبعاد العناصر التي اثبتت التخاذل في المعركة .. او التي كانت الشكوك تحوم حولها .. واعاد بناء الجيش .. وعاش التدريبات العسكرية على العبور مع الجنود .

ورغم مرضه ظل يتنقل بين القوات المسلحة العربية على طول جبهة القتال . .

ثم خاض معركة الاستنزاف . .

. . اعد كل شيء . . واعاد للشعب والجيش الثقة . . وحذر من عناصر الثورة المضادة . . ومن المؤامرة الاميركية . .

ورفع يده كما عودنا عليه . . وهو يقول :

« . . ان سجل نضالنا يشهد لشعبنا ان الشعب الذي غير بكفاحه خريطة الشرق الاوسط وازال من فوقها سيطرة الامبراطوريات الاستعمارية القديمة وتصدى في وسطها لمحاولات الاستعمار الجديد ، وتحمل تبعات الوحدة العربية سلما وحربا ، وفجر عصر الثورة الاجتماعية ، وبنى اعظم السدود وقهر الصحراء ، واقام اول قاعدة عربية للصناعة المتقدمة ، هذا الشعب يملك المقدرة ويملك التجربة لتجاوز هزيمة عارضه في تاريخه وتاريخ امته . . .

« . . اننا سوف ننتصر كما انتصرنا . ولتعلو ارادة الحق فوق كل ارادة ، لانها جزء من ارادة الله . . » .

وغادرنا الزعيم القائد . . وانتصرت قواته في حرب اكتوبر . .

ولكن عناصر القوى المضادة تحركت

وبعد ان تبين لنا دور عبد الناصر . يبقى سؤال . . هل كانت ثورة ٢٣ يوليو هي سبب المواجهة . . ام انها كانت الرد الطبيعي على الاعداء .



« وعلى الذين ينكرون اقدار الرجال ان يتدبروا في موقف عرابي ، ثم لينظروا بعد ذلك هل كان صنعه ضئيلا كما يزعمون ، ولكننا لا نوجه القول الى هؤلاء وامثالهم ممن يكتمون الحق وهم يعلمون . . » .

محمود الخفيف تولت
كتاب الزعيم المفترى عليه

. . لم يكن عبد الناصر هو « الهدف » . . ولكن تجسمت في عبد الناصر ثورة . . وحققت زعامته امال شعب . . وارتفعت راية القومية العربية . . وانطلق العالم العربي الى آفاق الثورة العالمية . .

اما في بريطانيا . . فكما قال سلوين لويد في مذكراته . .
« اما في بريطانيا ، فقد كنا نرغب في وضع حد لعبد الناصر » .

لم يكن موقف بلجيكا أو دول غرب اوروبا يختلف . . فان هنري سباك وزير خارجية بلجيكا كان يحث بريطانيا على توجيه ضربة قاصمة لعبد الناصر ! .

اما موقف امريكا ، فقد حددته مشروعات ايزنهاور . . ومشروعات الدفاع المشترك التي كانت تستهدف سيطرة امريكا على العالم العربي . . وتصدت لها ثورة يوليو . .

ويدأ الهجوم على الثورة بالحرب النفسية . .وحرب الدعايات . . وكما صرح سلوين لويد في مذكراته . .

« . . كان لا بد من بذل الجهود الممكنة لخلق رأي عام عالمي معاد للرئيس عبد الناصر . . »-

. . . .

ان ما عجز الغرب عن تحقيقه في حياة عبد الناصر ، يحدث اليوم بعد رحيله . . رجال عملوا مع عبد الناصر. . . بل لقد امتدت الايدي الى الانجازات التي حققها الشعب خلال حياة الزعيم الراحل . . . واخذوا يهدمون كل شيء . . ويلوثون كل مقدس .

فهل كانت هزيمة ٥ يونيو نتيجة للتغيرات التي احدثتها ثورة يوليو؟ .

● مأساة رجل

. . يقول الفريق مرتجى :

« . . اختيار الزعامة المصرية ليوم ٥ يونيو لتصعيد الموقف ، لم يكن التوقيت المناسب . . » .

الفريق مرتجى ينتقل بحملة الهجوم من عبد الناصر الى الزعامة المصرية . . وهو بذلك يحاول ان يتجنب سخط الرأي العام العربي الذي ما زال يحمل للزعيم الراحل كل التقدير . . كما انه بذلك يوجه ضرباته للثورة . . وليس عبد الناصر وحده . .

ويخرج الفريق مرتجى من حدود معارفه العسكرية الى مناقشة الاوضاع الاقتصادية والسياسية التي سبقت الحرب والتي ادت الى الهزيمة . .

يقول ان الاقتصاد المصري لعب دورا كبيرا في النهاية التي انتهت اليها حرب ٥ يونيو ٦٧ . .

فهو يتهم الاقتصاد المصري بأنه كان ضعيفا، مما اثر في قدرات الجيش ! .

وهو بذلك يهاجم الخطوات الاشتراكية التي تمت عام ١٩٦١ . .

وينتقل الى علاقة مصر بالعالم العربي ، فيرسم صورة قاتمة للدول العربية . . صراع حزبي في العراق وسوريا . . وانقلاب داخل العائلة في الجزائر . . ويشكك في مسألة الحشود الاسرائيلية على حدود سوريا . بل يتهم سوريا بانها كانت تستفز اسرائيل ! .

ثم يتحدث عن علاقة مصر بالغرب . . فيرى ان مصر اتخذت موقفا لا يعطي لها اي ميزة استراتيجية في موقفها مع اسرائيل . .

ويخرج من هذا كله بأن « الزعامة المصرية » كانت قاصرة التفكير . .

قاصرة التفكير في التأميم !.

قاصرة التفكير في ارتباطاتها العربية ! .

قاصرة التفكير في اعتمادها على الدول الاشتراكية . ! .

. . ويرى ان هذه هي الاسباب التي أدّت الى الهزيمة . . فهل هذا صحيح ؟!.

● الاقتصاد العربي . .

يرد الدكتور اسماعيل صبري عبد الله في ضوء الوقائع والارقام واحترام العقل . .

● هل خربت الثورة اقتصاد مصر ؟.

يقول الرجل الاقتصادي بالارقام . .

١ ـ في مجال الطاقة . . زاد انتاج البترول من ٢,١ مليون طن عام ١٩٥٠ الى ١٢,٥ مليون طن عام ٧٣ . .

٢ ـ زاد نصيب الصناعة من الإنتاج القومي الاجمالي من ٩٪ عام ١٩٥٠ الى ٢٤,٢٪ عام ١٩٧٣ . . وزادت الصادرات من ٩,١٪ الى ٣٤,٧٪ . .

٣ ـ الزراعة ، اضاف السد العالي الى الرقعة الزراعية مساحات جديدة تقدر بحوالي ١٦٪ من المساحة المزروعة . .

ونقول . .

« . . حققت الخطة الخمسية الاولى ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ معدل نمو يبلغ في المتوسط ٦,٧٪ خلال عشر سنوات . .

وحتى بعد هزيمة ٦٧ ، كان بوسع الاقتصاد المصري ان يواجه في وقت واحد المجهود الحربي ومجهود التنمية ، وان يحافظ في الوقت ذاته على مستوى معيشة الجماهير . . وتمكنت مصر من :

١ ـ بناء جيش جديد قاتل بكفاءة رائعة في حرب ٧٣. ـ

٢ ـ الانتهاء من بناء السد العالي عام ١٩٧٠ .

٣ ـ بدء مجمع الصلب في حلوان والانتهاء من المرحلة الاولى .

اما البنك الدولي ، فيقول في تقرير له عن مصر صدر في عام ١٩٧٧ بالحرف الواحد . .

« كان للقطاع العام السيطرة في الاقتصاد المصري حيث شمل منذ ١٩٦١ معظم القطاع المنظم من الصناعة والتجارة الخارجية والبنوك والمرافق العامة . . وقد عمل هذا النظام بدرجات متفاوتة من النجاح خلال الستينات . ولكن تزايدت عليه الضغوط بسبب الحرب ، وفقدان ايرادات قناة السويس ، وهبوط معدلات السياحة ، والاختفاء شبه الكامل للمعونات من الدول الغربية والمنظمات الدولية . .

ويتساءل الدكتور اسماعيل صبري . .

« . . ان هذا البنك الذي تسيطر عليه الرأسمالية العالمية وبصفة خاصة امريكا يقر بصريح العبارة بان « اقتصادنا كان يعمل بنجاح متفاوت حتى عدوان ٦٧ . . وهذا ما يثير التساؤل حول اهداف ذلك العدوان ، وهل كان بالدقة، ضرب هذا النجاح واجهاض التجربة ؟!. » .

● الموقف العربي . .

المسألة الثانية . .

● هل كان موقف الثورة من القضايا العربية هو سبب هزيمة ٦٧ ؟ وهل تورطت مصر في انتمائها العربي ؟ وهل اندفعت مصر في دفاعها عن سوريا فخسرت سيناء ؟.

الحقائق تقول . .

بدأت اسرائيل في الاعداد لحرب ٦٧ منذ ٥٧ . . اي بعد انسحابها من سيناء اثر العدوان الثلاثي ، وكشفت هذه الحقيقة مذكرات ابا ايبان . . كما كشفتها اعترافات العسكريين الصهيونيين الذين اشتركوا في عدوان ٦٧ . .

ولم يعد موقف امريكا وتحريض جونسون في حاجة الى اثبات . .

فلم يكن استفزاز سوريا . . او اندفاع عبد الناصر هو سبب العدوان ، فكما قيل «سواء استفززت النمر ام لم تستفزه فانه سيفترسك . . » .

وكان الرد الطبيعي لمواجهة «النمر الامبريالي» هو توسيع جبهة النضال . . لم تكن وحدة التاريخ او اللغة او المصالح هي التي ربطت ثورة يوليو بالعالم العربي فحسب . . بل هي تجربة الكفاح المصري ، فعندما واجهت مصر العدوان البريطاني عام ١٨٨٢ ، ارتفع صوت عرابي يناشد العالم العربي والعالم الاسلامي ،الكفاح ضد الاستعمار . . وتحركت الجماهير العربية في كل انحاء العالم العربي . .

ولم تكن ثورة ٢٣ يوليو الا امتدادا لهذا الكفاح والنضال العربي ضد عدو مشترك . .

فالثورة لم تخلق القومية العربية ، وان كانت قد دعمتها فالوحدة العربية قديمة قدم النضال العربي ضد الصليبيين وضد الاتراك . . وضد الانجليز . .

كما ان محاولات الغزو الصهيوني لم تكن وليدة تحدي ثورة ٢٣ يوليو . . بل بدأت محاولات الصهيونية منذ ايام محمد علي . . وقامت اول حرب بين مصر والصهيونية عام ١٩٤٨ . . اي قبل ثورة ٢٣ يوليو . .

وكان الهدف من خلق اسرائيل وسط العالم العربي ، هو ضرب حركة التحرر الوطني العربي . . وهذا ما ادركته ثورة يوليو . . وجاء نص الميثاق . .

« . . ان قطعة من الارض العربية في فلسطين لحركة عنصرية عدوانية

ارادها المستعمر لتكون سوطا في يده يلهب به ظهر النضال العربي . . » .

فسواء اندفعت مصر للدفاع عن سوريا او وقفت صامتة ، فان العدوان على مصر كان معدا . . ولم يكن التصدي للعدوان على سوريا الا دفاعا عن مصر . .

ولقد لمست مصر معنى التضامن العربي منذ عدوان ١٩٥٦عندما، نسفت سوريا انابيب البترول ، وهب العالم العربي كله يهدد مصالح دول العدوان . .

وخلال ثورة ٢٣ يوليو، سقط حلف بغداد . . وتم طرد جلوب باشا من الاردن . . وتحررت الجزائر . . وسقط ابشع نظام للحكم شهده العالم العربي في اليمن . . وبدأت مراحل تأميم البترول . . واستعاد العالم العربي كثيرا من ثرواته المنهوبة .

وكان المفروض ان تدرك القيادات العسكرية ابعاد هذه الانجازات . . وان تعمل من اجل حمايتها . . وبالفعل قام الضباط الشبان ببطولات خارقة، رغم خيانات وتواطؤ القيادات العليا . .

● الموقف من الغرب !.

. . يقول الفريق مرتجى . . (والفريق مرتجى كما هو واضح لا يتحدث عن نفسه بل يمثل اتجاها اصبح سائدا في دوائر معينة) :

« . . ان العلاقات المصرية مع الدول العربية ، والدول الغربية وامريكا ، لم تكن على ما يرام ، بل اتخذت اتجاها محددا لا يعطي مصر اي ميزة استراتيجية في موقفها مع اسرائيل . . » .

ويبدو ان الفريق مرتجى كان من انصار « تحييد امريكا » . . او التسليم بانها تملك ٩٩ في المائة من حل المشكلة . .

. . ومع ذلك . . هل كانت المشكلة مع الغرب واميركا . . والتي ادت الى حرب ٦٧ . . هو موقف عبد الناصر مع الغرب واميركا . . ام هي العلاقات العربية الاميركية ؟

وهل ثورة يوليو هي التي افتعلت هذا الصدام ؟ . ام هو صدام حتمي املته مصالح كل من الطرفين ؟!

. . من المعروف ان ثورة يوليو، بدأت بعلاقات طيبة مع اميركا . . وكان السفير الاميركي هو الرجل الاجنبي الوحيد الذي شارك في توديع فاروق عند مغادرته الاسكندرية، بعد طرده . . وكان الاتهام الموجه الى ثورة يوليو في سنواتها الاولى انها « من صنع اميركا » ! .

لم يبدأ الصراع الحقيقي بين ثورة يوليو والغرب الا بعد عدوان اسرائيل على غزة ، والتجاء مصر الى الدول الاشتراكية للحصول على السلاح . .

. . ثم تصاعد الخلاف على اثر تأميم القناة . . وحاجة مصر الى دخل الشركة . .

فهل أخطأت ثورة يوليو عندما حطمت احتكار السلاح ؟ . وهل كان تاميم القناة حقا ام اغتصابا ؟! .

فماذا كان موقف امريكا ؟ .

اميركا سلحت اسرائيل باحدث الاسلحة التي تهدد الامن العربي . . وما زال التفوق الاسرائيلي مستمرا رغم المهادنة التي قامت منذ عام ١٩٧٤ . .

اميركا تهدد كلما اظهر العرب رغبتهم في السيطرة على مواردهم واستغلالها للقضاء على التخلف الذي ورثوه من عهد السيطرة الاستعمارية .

فهل عبد الناصر هو الذي أثار الغرب واميركا، مما أدّى الى الحرب، أم ان اميركا هي التي دبرت وتواطأت مع اسرائيل لشن حرب ١٩٦٧ ؟! .

بل لعل السؤال الهام . .

ـ هل كان في استطاعة عبد الناصر ان يتجنب هذه المواجهة مع اميركا ؟!

ام كان المطلوب هو التسليم لاميركا ؟

ان ثورة يوليو لم تبن علاقاتها الخارجية الا من خلال التجربة ، وعلى اساس مصالح الشعب العربي المشروعة في التحرر والسيادة .

ولم يكن موقف النضال الذي اتخذته ثورة يوليو ضد الاستعمار الا امتدادا لكفاح الشعب المصري . .

« ان شعبنا دفع خلال عشرات السنين بل مئاتها،ثمنا غاليا لانتصاره على الاستعمار ، لكنه في النهاية حصل على النصر الذي برر امام التاريخ كل التضحيات وشرف مقدارها . . » .

. . قاوم الاستعمار العثماني رغم التحايل بالخلافة الإسلامية.

. . قاوم الغزو الفرنسي ايام نابوليون . .

. . وقاوم الاحتلال البريطاني وتصدى للاحتكارات الدولية . .

فهل كان المطلوب من ثورة يوليو ان تسلم مقادير الشعب للشركات الاحتكارية والسيطرة الاميركية ؟ .

وهل كان المطلوب من ثورة يوليو ان تسلم بأن الاقدار حكمت بان تتولى اميركا قيادة العالم ، كما صرح بذلك احد قادتها ! .

ان نضال الشعب المصري ضد الاحلاف العسكرية والاستعمار الاميركي بدأ قبل ثورة يوليو . . ويستمر بعد ثورة يوليو . .

ولم تكن معركة ٦٧ الا حلقة من حلقات التآمر الاستعماري . . وكانت مرحلة من مراحل الكفاح الوطني . .

● الاتحاد السوفياتي

هل كانت علاقات مصر بالاتحاد السوفياتي من اسباب الهزيمة ؟. او كانت دافعا لعدوان الغرب على مصر عام ٦٧ ؟.

اولا : لم يكن الاتحاد السوفياتي موجودا عندما صدر وعد بلفور . . ولم تكن هناك علاقات عربية ـ سوفيتية في ايام عدوان ٤٨ . .

ثانيا : قامت العلاقات المصرية ـ السوفياتية على اثر العدوان الاسرائيلي عام ١٩٥٦ . . او العدوان على غزة عام ١٩٥٥ . .

والسؤال . .

● هل ادت العلاقات المصرية ـ السوفياتية الى اضعاف مصر والعالم العربي امام العدوان الاسرائيلي . . ام كانت دعامة له ضد العدوان ؟.

والحقائق عنيدة . .

واذا كان هنا من يشكك في قيمة الانذار السوفياتي لدول العدوان الثلاثي . . فلا نظن ان هناك انسانا واحدا يستطيع ان ينكر الجسر الجوي الذي اقيم خلال أيام ، بعد ان فقدت مصر كل سلاحها في سيناء .

ومع ذلك فان قضية العلاقات المصرية ـ السوفياتية ، طرحت من قبل وادلى ، فيها المختصون شهاداتهم . . وهؤلاء الشهود لا يمكن اتهامهم بالانحياز الفكري او العقائدي . . كما انهم يدلون باقوالهم من واقع التجربة والعمل . .

.. يقول حافظ اسماعيل .. الرجل العسكري والذي مارس السياسة مع ثورة يوليو : -

« .. في اعتقادي انه لولا وجود الاتحاد السوفياتي بثقله السياسي في المنطقة لكان الغرب قد انتهى من مشاكل الشرق الاوسط بالطريقة التي تلائمه منذ شهور ان لم يكن منذ سنين ، وحتى الوجود غير المستقر للاتحاد السوفياتي في المنطقة كان بمثابة المظلة التي غطت كل العمليات ، سواء التي قمنا بها ضد العدوان الاسرائيلي او لاستعادة السيطرة على موارد البترول .. » .

ويقول الدكتور عزيز صدقي ..

« .. ان العبور الذي تم في ٦ اكتوبر (تشرين الأول) ببطولة الجنود وشجاعة الرجال، لم يكن ليتم بدون الاسلحة والدعم السوفياتي . انني استطيع ان اقول هذا الكلام لانني كنت طرفا في جميع الاتفاقيات التي تمت في هذا الشأن ، واعلم مدى الاستجابة والمساعدة التي قدمها الاتحاد السوفياتي .. » .

وفي سؤال الى دكتور عزيز صدقي عن الحجم الحقيقي لما انجزته مصر من تصنيع بمساعدة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ..

اجاب ..

- لقد تضاعف حجم الصناعة المصرية منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن ثماني مرات ..

ثورة يوليو ..

« .. ان اسباب عدوان ٦٧ كما يوضح الدكتور مراد غالب :

« . . السبب في رأيي ان تلك القوى كانت قداستهلكت تماما كل الفرص لاعادة السيطرة مرة اخرى على مصر . . وبالتالي انتهت محاولات احتواء الثورة وتصفيتها من الداخل وقررت ان توجه لها ضربة مباشرة . . » .

اسباب العدوان واضحة . . ولكن السؤال :

- هل ادت ثورة يوليو الى ضعف مصر داخليا وخارجيا مما ادى الى هزيمتها ؟.

قال المشير احمد اسماعيل بعد انتصارات اكتوبر في ذكرى قيام ثورة ٢٣ يوليو . .

« . . ان انتصار القوات المسلحة في حرب العاشر من رمضان، انتصار لثورة ٢٣ يوليو التي حرصت منذ اليوم الاول لقيامها على بناء جيش وطني قادر على مواجهة جميع التحديات والاخطار التي تهدد مسيرة الثورة نحو اهدافها من اجل رفاهية الانسان المصري وتقدمه . . » .

وقال . . « ان انتصار قواتنا المسلحة في حرب اكتوبر هو انتصار لارادة ثورة يوليو . . »

. . هذه كلمات رجل عرف معنى الشرف العسكري وصدق الكلمة . .

كما اعلن الفريق محمد علي فهمي ،أن انتصارات اكتوبر كان يدعمها القطاع العام الذي ساند القوات المسلحة في كل طلباتها سواء في الانشاء او التموين . .

. . ولكن قادة اكتوبر ، كانوا غير قادة الهزيمة الذين نحاهم عبد الناصر . .

كان قادة اكتوبر من ابناء مصر . . وابناء الثورة . . عاشوا لها . . وامنوا بها . . واخلصوا لها . . .

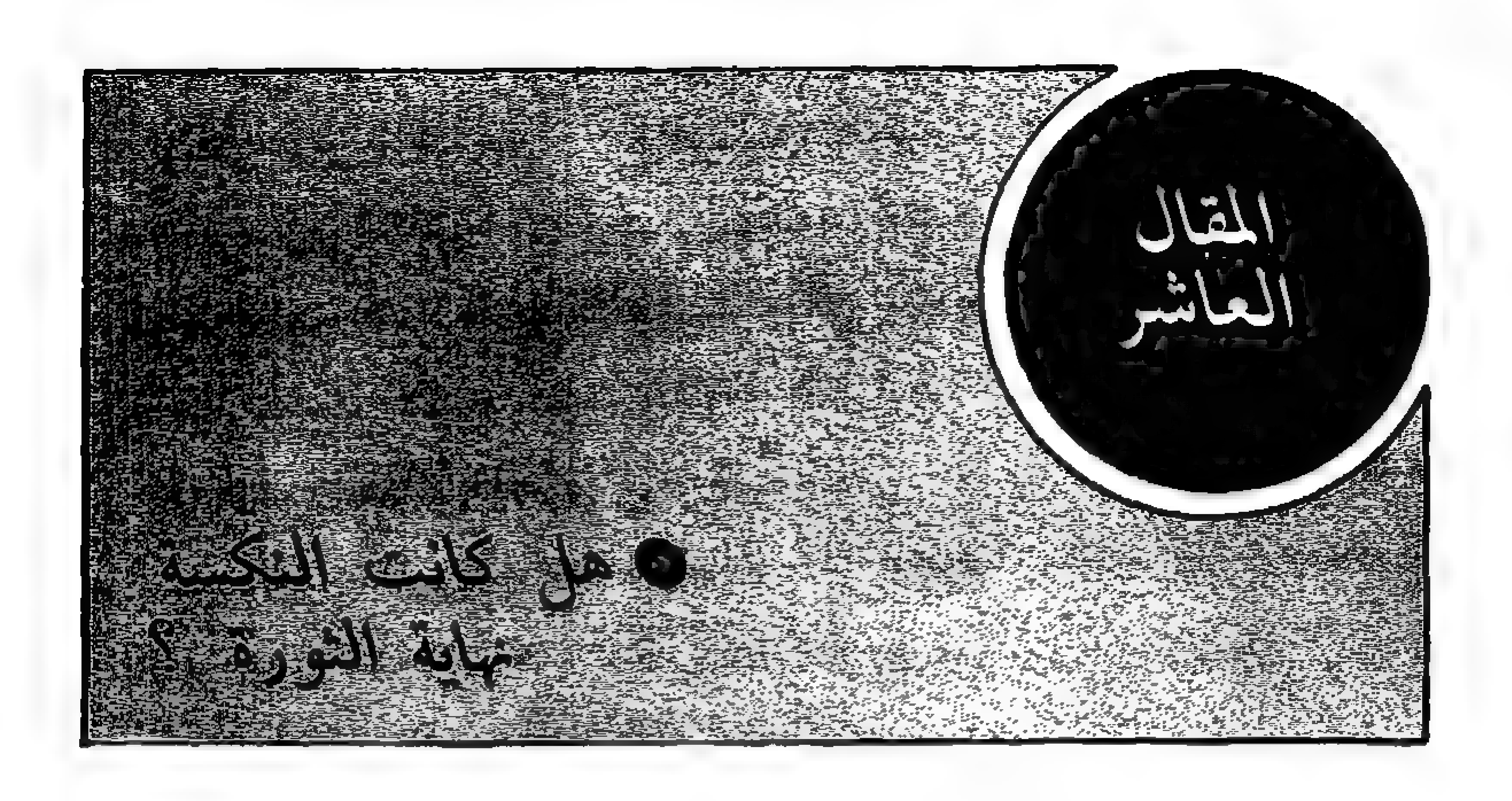
ولم تكن ثورة يوليو قاصرة التفكير في التأميم .. او رفع راية القومية العربية .. او التصدي للغرب الاستعماري ..

وبعد ..

لم يبق الا كلمة واحدة ..

لماذا كانت هذه المقالات وقد انتهت النكسة ؟.

نعم .. انتهت النكسة ببطولات جنود اكتوبر .. ولكن ما زال « ابطال الهزيمة » ينفخون نارها ويشيعون اليأس وروح الاستسلام .. » .



« كانت نهاية الحرب والخسارة عظيمة بسعي الخديوي ومن انحاز اليه من المصريين الذي نشأوا تحت ضغط الاستبداد ، واستمرأوا الاستعباد وبمساعدة المنافقين من عمد واعيان المنوفية وعرب الهنادي بالشرقية الذين كافأهم الخديو ، فاقطعهم خمسة آلاف فدان في رأس الوادي مكافأة لهم على خيانتهم للدين والوطن الذي نشأوا فيه . . » .

من كتاب . .

« الزعيم المفترى عليه »

. . عندما بلغت القاهرة ، انباء هزيمة الجيش المصري امام القوات البريطانية . . خرجت الجماهير الشعبية من احياء بولاق والدرب الاحمر وباب الشعرية والحسينية تحمل الاسلحة البدائية من عصي وسكاكين تريد ان تتصدى للعدو . .

وأسرع اعيان القاهرة يهدئون ثورة الجماهير . .

وكان عرابي ، قد حاول جمع قواته في بلبيس ، وان يدعم جيشه بالقوات المعسكرة في العباسية ، واراد ان يقطع الخطوط الحديدية الى الزقازيق ، ونسف قناطر الشرقية على العدو . . ولكن زملاءه من القادة رأوا العودة الى القاهرة لبحث الاستعدادات اللازمة لاستئناف القتال . .

واجتمع المجلس العرفي ، ووقف عرابي يطالب باستمرار القتال ، فما زالت هناك حامية القاهرة بمدفعيتها . . وحامية دمياط . . وحامية كفر الدوار . .

وتوالت كلمات الحاضرين . . وأكدوا استعداد الشعب للدفاع عن البلاد . . والمخازن مليئة بالاسلحة والمؤن والذخائر . . وكانت هناك ذكريات الثورات التي اشعلها اهل القاهرة ضد نابليون وكليبر خلال الحملة الفرنسية . .

ولكن الخيانة كانت قد أدت دورها . . واستسلم عرابي وسلم نفسه . . .

* * *

. . وعندما تقدمت قوات العدوان الثلاثي عام ٥٦ صوب الاسماعيلية ، اجتمع اقطاب العهد البائد ليطالبوا عبد الناصر بالذهاب الى السفارة البريطانية وتسليم نفسه ! . . وألقى عبد الناصر عليهم القبض ، واستمرت المقاومة . .

. . في عام ١٩٦٧ . . خلال ايام « النكسة » . . انطلقت ابواق الاستعمار والرجعية ، تصور المعركة على انها معركة بين عبد الناصر والاستعمار . . وان المطلوب هو اسقاط عبد الناصر لتعود المنطقة الى الهدوء . . وبالتالي تعود سيناء !

وقدم عبد الناصر استقالته ليؤكد ان المعركة ليست ضد عبد الناصر . .
وأعلن هذا في اول خطاب له في ٢٣يوليو ٦٧ . .

«وكنت اريد ان اتحمل المسؤولية وامضي ، وكنت اريد ان يعرف اعداء الشعب المصري واعداء الامة العربية ان المسألة ليست عبد الناصر ولا مطامع عبد الناصر كما يقولون . . » .

وخرجت جماهير الشعب . . لم تخرج من الاحياء الشعبية في مصر وحدها . . بل خرجت من كل ركن من أركان العالم العربي . .

ولم تنته الثورة . . ولم يستسلم عبد الناصر . . وحالت الجماهير بينه وبين القوى التي ارادت ان تسلمه حيا . .

● الثورة مستمرة . .

سقط الخونة والمتخاذلون . . ولم تسقط الثورة ، بل مضت اقوى مما كانت في اتجاهاتها السليمة . .

- الاول . . اعادة بناء الجيش الوطني . .
- والثاني . . تدعيم الوحدة العربية . .
- الثالث ـ اقامة العدالة الاجتماعية . .

ولكن . . هل كان الطريق مفروشا بالورود، بعد سقوط القيادة العسكرية المهترئة والمتخاذلة ؟! .

ادركت الثورة المضادة ، انها فقدت اقوى اسحلتها بعد تطهير الجيش من عناصر المخابرات الاجنبية . . والعناصر المضادة طبقيا لاتجاهات الثورة . . .
وشهدت القاهرة حربا نفسية رهيبة . . انطلقت فيها « النكات » ضد اعز

المقدسات . . وتترك جراحا عميقة في كرامة الانسان المصري . .

وعقدت ندوات غريبة بأسماء متعددة ولأهداف ظاهرها الصداقة . . في البيوت وفي الاندية . . ثم تدور المناقشات تندد بثورة ٢٣ يوليو . .

وكان ذلك تمهيدا لحركة طلابية اشبه بالحركة التي اطاحت بالرئيس سوكارنو . .

وادرك عبد الناصر ،بحس القائد الواعي . . ولم يتردد ـ رغم انشغاله باعادة تشكيل الجيش ـ وواجه العمال والطلبة الذين خرجوا في مظاهرات ٦٨ .

واذا بعبد الناصر يضيف اضافات جديدة للثورة ويؤكد استمرارها . . في مؤتمر العمال بحلوان . . اعلن . . .

« . . وفي الحقيقة انه بدون فلاحين وبدون عمال لا تكون هناك ثورة . . ولا يكون هناك نظام ثوري . . وانما الثورة والنظام الثوري كل منهما يفقد مبرر وجوده » . .

ثم رد على شعار « حل الاتحاد الاشتراكي » قائلا في نفس المؤتمر :

« . . ان شعار حل الاتحاد الاشتراكي شعار وراه نوايا اخرى ، ووراه نوايا غير سليمة . . »

ثم اطلق سؤاله .

ـ ما م هو مفهوم الحرية ؟ ما هو مفهوم الحريةبالنسبة للعامل ؟ ما هو مفهوم الحرية بالنسبة للفلاح ،؟ ما هو مفهوم الحرية في الثورة الاشتراكية ؟

كان القائد عملاقا . . استطاع ان يمتص السخط الذي بثته الثورة المضادة . . ولكن التيارات التي تصدت لقيادة العمال والفلاحين ، لم تستطع ان تصل الى هامته . ، ولم تضع الإجابات المطلوبة لمعنى الحرية في مفهوم العمال والفلاحين . . على الرغم من ان عبد الناصر صرح قائلا . .

« . . كلنا نفهم شعارات الثورة بالنسبة للديمقراطية وبالنسبة للحرية . . والفرق بين الديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية الرجعية » . .

ولكن هذه الاسئلة . . وهذه المفاهيم التي اعلنها عبد الناصر، ظلت معلقة دون ان تبذل القيادات السياسية من الوسط أو اليسار أي جهد لتعميقها . . حتى حدثت « النكسة الحقيقية» بعد وفاة القائد . .

كان هدف عبد الناصر الاول هو « الجيش » . . وقامت القوى المضادة بحركة الالتفاف لتضرب الجبهة الداخلية . .

● الجيش . .

كانت المعركة مستمرة بين الثورة . . والثورة المضادة . . واستطاعت الثورة المضادة ان توقع الجيش في مؤامرة ٦٧ الرهيبة . . ارادت ان تؤكد فشل الثورة . . وخطأ مسيرتها في اتجاهها الوطني والقومي . . وفي مبادىء عدم الانحياز التي اعلن « دالاس » وزير خارجية اميركا انها مبادىء « لا اخلاقية » ! .

وكما اعلن القادة المتآمرون ان اسباب « النكسة » هي اتجاهات القيادة السياسية في علاقاتها العربية والخارجية . . وضعف الاقتصاد بعد التأميمات . . وكانت الهزيمة كما افتعلوها، خير برهان لديهم لتأكيد فشل ثورة ٢٣ يوليو . .

بل لعلهم ارادوا بالهزيمة كما افتعلوها خير برهان لديهم لتأكيد فشل ثورة ٢٣ يوليو .

بل لعلهم ارادوا بالهزيمة تشكيك القوى الصديقة في جدوى الصداقة مع الثورة . .

ولكن عبد الناصر مضى بالثورة اقوى مما كان قبل النكسة . . وكانت اعادة بناء الجيش هي المعجزة التي أذهلت اعداءه .

مارس عبد الناصر سلطاته بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة . . وأخذ في اعادة تنظيم القوات المسلحة . . ومنذ صباح ٩ يونيو اقام الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية جسرا جويا لنقل الدبابات والطائرات والمدافع والاسلحة والذخائر، بالطائرات في بادىء الامر ثم بالسفن . .

ويقول امين هويدي في كتابه حروب عبد الناصر . .

« . . ومما يذكر للاتحاد السوفياتي انه سحب الكثير من المعدات من يد الافراد في وحداته، وذلك لإعادة تسليح قواتنا تسليحاً كاملاً ، بعد أن فقدنا كل شيء تقريبا على أرض سيناء ».

وكما قال « السادات » في خطاب اول مايو ٧١ .

« الاتحاد السوفياتي في الايام حالكة الظلام ، كان الانسان يضبط ساعته على كل دقيقتين ونصف، طيارة من يوم ١٠ و ١١ . . طيارة نازلة شايلة ١٠ طن سلاح . . كوبري جوي اقاموه بين موسكو والقاهرة ، خلاف السفن . . » .

. . وهكذا اكد عبد الناصر الحقيقة التي اراد صناع الهزيمة ان يطمسوها . . وهي ان قرار تحطيم احتكار السلاح الذي اتخذته ثورة يوليو . . كان خطا جديدا في حركة التحرر الوطني . . بل قراراً حاسما لانتصار الثورة الوطنية . .

ومع اعادة بناء الجيش، بدأت المعارك . . واخرست الثورة المضادة . . فكانت معركة رأس العش . . ثم غارات الكومندوز داخل سيناء . .

ثم كانت معركة اغراق « المدمرة ايلات » التي احدثت المفاجأة في التكتيكات الحربية عالميا . . وأكدت ان الاتحاد السوفياتي يزود مصر بأحدث

الاسلحة . . وفي ذلك الوقت أنشئت عشرات المطارات واراضي النزول ، كما انشئت ملاجيء الطائرات . .
كما تم وضع الخطط للعبور وتحرير سيناء . . وعدلت تلك الخطط اكثر من مرة، لتنفيذها في الوقت المحدد .

وعندما مات عبدالناصر، كان حيش مصر قد اعيدبناؤ ه، وكان خط الدفاع غرب القناة قد اصبح من الصعب اختراقه . . وكان الدفاع الجوي قد عزز . . وكان حائط الصواريخ قد انتقل الى ابعد مكان يمكن ان يصل اليه . . وكانت الطائرات قد استبدلت بأحدث طائرات . . وكان عدد الطيارين قد تضاعف . .

. . وهكذا . . كان رد عبد الناصر على القوى المضادة التي ارادت التشكيك في الصداقة المصرية ـ السوفياتية . . وارادت ان تدين خط سير الثورة ، وان تحملها مسؤولية الهزيمة !

كان أحد اهداف مؤ امرة ٦٧، تقليص دور مصر العربي ، والتشكيك داخل مصر من جدوى العلاقات العربية . ثم ضرب القومية العربية . .
. . ووسط غبار المعركة . . اكد عبد الناصر على الاتجاه العربي . . وخلال الايام المظلمة ، التقى برؤ ساء الجزائر والعراق وسوريا والسودان . . فكان اشبه بمؤ تمر قمة مصغر . .
وما حدث في الخرطوم ، اذهل العالم . . وأكد زعامة عبد الناصر . . وأعلى معاني القومية العربية ، وأثبت حقيقة وفاعلية « القومية العربية » كما

خططت من اجلها ثورة يوليو . .

كان استقبال عبد الناصر وسط بحر هائج من البشر . . فقد خرجت الخرطوم كلها تستقبل عبد الناصر . . فأكد الشعب العربي في السودان ما اعلنه الشعب في مصر . . كان العالم العربي اكبر من الهزيمة . .

وجاء « مؤتمر الخرطوم » قمة لثورة القومية العربية . . اجتمع فيه الملوك والرؤساء العرب . . ولم تتخلف سوى سوريا التي حضر وزير خارجيتها الى الخرطوم دون مشاركة . .

وفي هذا المؤتمر قال الملك فيصل . .

« . . اقترح ايها السادة ان تكون كلمة الرئيس عبد الناصر هي ورقة العمل الخاصة بالمؤتمر ، وان تكون هي اساس القرارات التي ستصدر عنه في المستقبل . . . » .

. . وهكذا اكد الملوك والرؤساء زعامة عبدالناصر، كما اكدتها الجماهير العربية قبل ذلك . . فلم تشكك هزيمة ٦٧ في عبدالناصر، كما اراد القادة العسكريون المتخاذلون . .

وفي مؤتمر الخرطوم اكد على اتجاه الصمود ، قال عبد الناصر . .

« . . التصفية النهائية للقضية تعني الجلوس مع اسرائيل حول مائدة المفاوضات . . وهذا بالفعل ما تريده اميركا . . » .

وقال . .

« . . اكرر ما قلته من قبل ، وهو ان الضفة الغربية اهم عندي بكثير من سيناء . . حتى ولو بقوا فيها عشرسنوات . . . » .

وصدرت قرارت مؤتمر الخرطوم . .

« لا مفاوضات . . ولا استسلام . . ولا علاقات » . .

واكد مؤتمر الخرطوم مدلول القومية العربية في الواقع العملي ، عندما اعلنت دول البترول دعمها الاقتصادي لدول المواجهة . . .

. . وهكذا دخلت « القومية العربية » مرحلة جديدة ، اكدت صحة تقييم خط ثورة يوليو لمفهوم التضامن العربي . .

فلم تكن ارتباطات ثورة يوليو العربية هي سبب هزيمة ٦٧ ، بل العكس كانت عاملا من عوامل الصمود والتصدي للاعداء . .

● مزيد من التضامن . .

كان تصاعد خط التضامن العربي ، تأكيدا بان الهزيمة لم تكن نكسة ثورة . . بل انتكاسة افراد خانوا او تخاذلوا . .

وشاركت قوات من السودان . . والكويت . . والعراق . . والجزائر . . وقوات فلسطينيه . . ووقفوا في الخطوط الامامية للقتال . . .

وكان عبد الناصر يتنقل بين هذه القوات في مواقعها يؤكد مضمون القومية العربية . .

في كلمته للقوات الفلسطينية والجزائرية . قال . .

« . . علمت ان بينكم هنا مجموعة من كتائب فلسطينية . . وفلسطين هي قضيتنا جميعا . . وهي قضية مقدسة . . وحقوق شعب فلسطين لا يمكن بأي حال من الاحوال ان ننساها . . » .

. وفي القوات الكويتية والعراقية مع القوات المصرية في موقع مشترك . . قال الزعيم الراحل . .

« . . نحن ندافع عن القومية العربية . . نحن ندافع عن الارض العربية . . ونحن ندافع عن الوطن العربي . . ونحن ندافع عن الانسان العربي .

« . . ماذا يحدث الان للانسان العربي . . وماذا تفعل اسرائيل في الانسان الفلسطيني . . ماذا تفعل اسرائيل من اجل ابادة القومية العربية . . اذا كانت اسرائيل قد استطاعت ان تنجح في العشرين سنة اللي فاتت ، للقضاء على القومية العربية في اماكن معينة من الوطن العربي، فان ذلك سيشجعها ان تتوسع وتقضي على القومية العربية في اماكن اخرى من الوطن العربي . . » .

وهكذا لم تنل « النكسة » من اتجاه ثورة يوليو نحو القضية الفلسطينية او ناحية القومية العربية . . بل تأكدت الكلمات التي جاءت في « الميثاق » وازدادت صلابة . .

ولم تكن « النكسة » هزيمة للثورة، بل كانت هزيمة للقوى الرجعية والامبريالية التي تـآمرت لصنع الهزيمة . .

وبدأ عبد الناصر يدعو الى وضع خطة عربية موحدة بالنسبة للبـلاد العربية سواء في النواحي السياسية او النواحي العسكرية . . وطالب بحشد كل الطاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية . .

ومضت الثورة في خطها السياسي العربي ، كما مضت في اعادة بناء الجيش الوطني . . فلم تكن النكسة هزيمة للثورة . . بل كانت الثورة هي الدرع الواقي في مواجهة المؤامرة والمتآمرين . . وسقط اعداء الثورة . . ومضت الثورة في طريقها . .

● الثورة الاجتماعية !. .

. . هل ادت النكسة الى تراجع عبد الناصر عن الثورة الاجتماعية ؟ . .

وهل ارغمت النكسة عبد الناصر على مراجعة موقفه من التغييرات الاجتماعية التي احدثتها الثورة ؟ . .

لقد سمح عبد الناصر بالفعل، برفع بعض الحراسات، ولكن ذلك لم يكن تراجعا عن الثورة الاجتماعية ، بل كان تدعيما للحرب الوطنية التي تتطلب مواجهة العدو باوسع جبهة وطنية . . وعربية . .

وعلى الرغم من اتساع هذه الجبهة داخليا وعربيا الا ان عبد الناصر لم يتردد في تأكيد خط تحالف قوى الشعب . . فأكد في خطاب عيد الثورة على الحل الاشتراكي . .

« . . الحل الاشتراكي هو اللي يخلي الوطن ملك لابنائه . . » .

وقال على اثر مؤامرة النكسة . .

« الهدف هو القضاء على الثورة الاجتماعية . . الثورة الاشتراكية . . » .

فلم ير عبد الناصر في « الثورة » مبررا لما حدث في المعركة . . ولم ير في الهزيمة مبررا للنكوص عن الثورة الاجتماعية . .

ولكن اميركا لم تيأس . . اعتقدت ان ضربة ٥ يونيو هزت عبد الناصر . . وهزت النظام . . وأرسلت احد مبعوثيها ، يحمل مشروعا لتحسين قناة السويس بتوسيعها وتعميقها وانشاء « مناطق حرة » على الضفتين عازلة بين مصر واسرائيل . .

لم يعد المهم عند اميركا اسقاط عبد الناصر، بعد هذا الاجماع الشعبي والعربي . . فأرادت اسقاط النظام عن طريق تغيير افكاره ومبادئه ومعتقداته ! .

. . وعاد المبعوث الاميركي الى اميركا يائسا . . ومضت الثورة في طريقها

ودعمت الصناعات الثقيلة . . وبدأ في اقامة مشروع صناعة « الالمنيوم » . . وغيره من المشروعات . .

. . وهكذا مضت الثورة في طريقها رغم ثقل اعباء المعركة . . فلم تتوقف عملية التغيير الثورية في سبيل انتقال مصر من بلد زراعي متخلف الى بلد صناعي متطور . .

وتعمق خط تحالف قوى الشعب العامل . . وبدأ عبد الناصر في خطاباته يسقط « الرأسمالية الوطنية » من هذا التحالف . . كما بدأت الخطوات في سبيل سيطرة الدولة على تجارة الجملة . .

ففي الواقع لم تكن الهزيمة « نكسة » للثورة . . بل مضت الثورة في طريقها . . وحدث التغيير الجوهري في الجيش ، بفتح الأبواب واسعة امام ابناء العمال والفلاحين الذين سوف يصنعون النصر على خط برليف . .

● قمة الانتصارات

كان رفع « العلم المصري » فوق قلاع خط برليف ، قمة انتصارات ثورة يوليو التي قادها عبد الناصر . .

فمنذ ٩ يونيو ٦٧ حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠،عمل عبد الناصر بجهد خارق، ليزيل صورة اليأس التي خيمت بعد الهزيمة . . وفي خطوات متتالية . . وعلى اسس ثورية . . اعد كل شيء ليوم الثأر . . وتحرير الارض . .

وفي الخط الأمامي للمواجهة، استشهد الفريق عبد المنعم رياض، ليغسل بدمه عار الضباط الخونة الذين تركوا جنودهم في سيناء وعادوا مهرولين الى الضفة الغربية للقناة . .

واقام القطاع العام قواعد الصواريخ . . كما امد القوات العسكرية بكل احتياجاتها . .

وعلى خط برليف إستشهد ابناء العالم العربي من الكويت والعراق والسودان والجزائر، ليؤكدوا وحدة الدم في الدفاع وتحرير الارض . .

وكان « صيادو الدبابات العرب الذين يحملون الصواريخ « ارض - ارض » السوفياتية . . . والقواعد التي اطلقت سام ٦ . .يمثلون أروع صور الصداقة التي حققتها ثورة يوليو . .

لم تكن « النكسة » نهاية الثورة . . بل كما عبر احد الصحفيين العرب . .

بعد اربع سنوات كاملة اطمأنوا فيها الى ان الجسد المكفن بالثوب الابيض لن يخرج من قبره ـ فتحوا افواههم وتكلموا » ! . .

. . والحقيقة ان الثورة ظلت مستمرة اربع سنوات بعد وفاة القائد . . مما يؤكد ان « النكسة » لم تكن سوى كبوة في طريق الثورة وليست نهاية لها . .

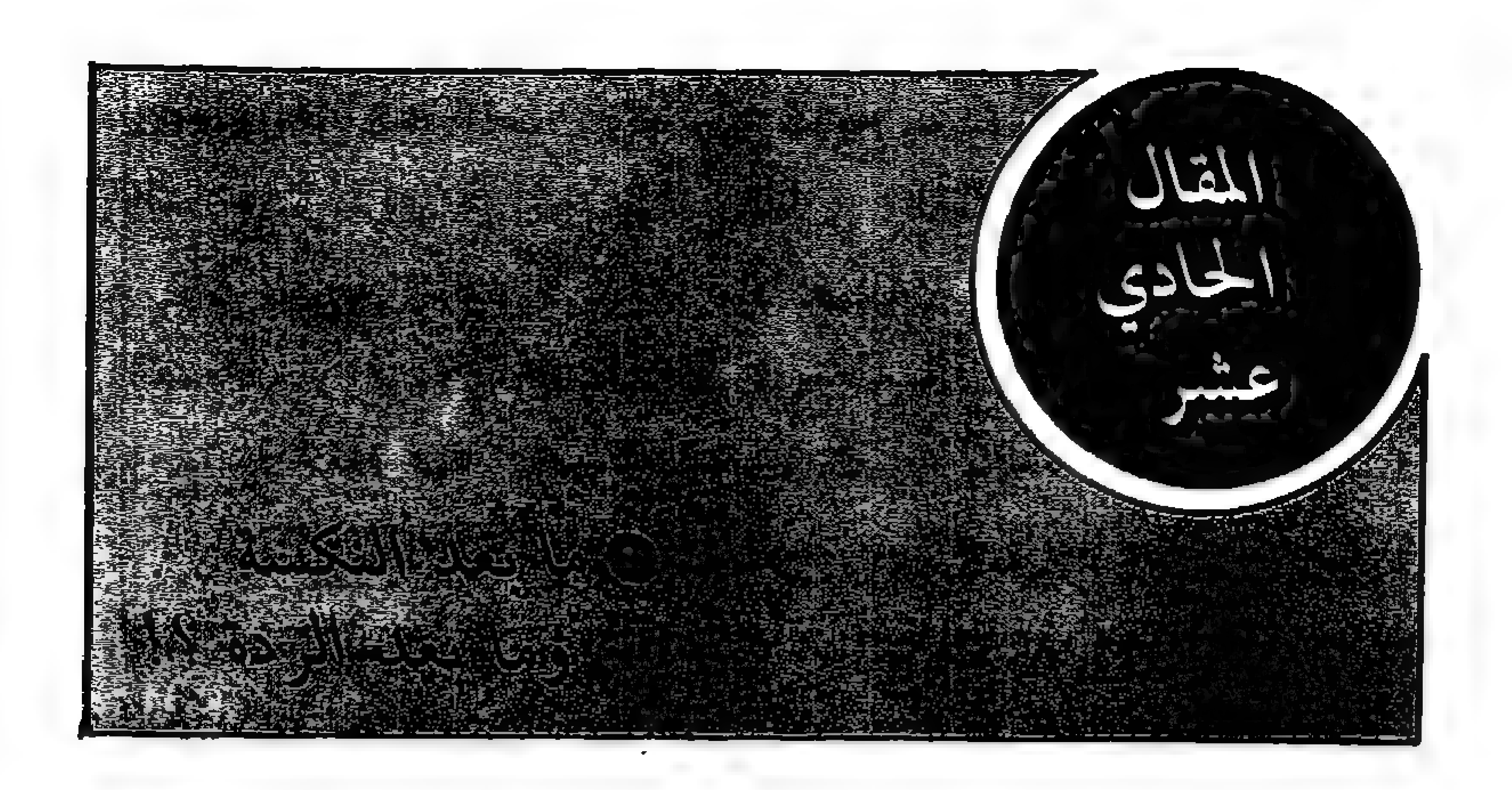
. . ولكن الذين صنعوا الهزيمة ،ودبروا المؤامرة، ظلوا ينفخون فيها لتبدو وكأنها النهاية . . واخذوا يفرضونها فكرا . . وعملا . . حتى تضخم عدد اصحاب الملايين . . وبدأت خطوات السير الى الوراء . .

سؤال اخير . .

لماذا نعود الى الوراء . . الم تنته الهزيمة او النكسة بانتصارات اكتوبر ؟

المؤلم ، ان الذين صنعوا الهزيمة . . والذين وقفوا في صف العدو خلال عدوان ٦٧ . . هم انفسهم الذين يفتحون صفحات الماضي الأليم . .

انهم يريدون ان يفرضوا ما صنعوه من مأساة هزلية في سيناء، على العالم العربي . . هل ينجحون ؟



« ... وإن غرضنا الاوحد هو ان تتخلص بلادنا من العبودية والظلم والجهل ، وان نرفع بنى مصر الى مستوى يستطيعون معه ان يحولوا دون اي رجعةللاستبداد ، الذي كان يضع مصر فيما سلف من الازمنه في زوايا الاهمال ... » .

.. لم تكن الهجمة الشرسة ضد عبد الناصر بعد « النكسة » .. في عنف الهجمات المتلاحقة ضد ناصر وثورة يوليو بعد انتصارات اكتوبر ..

.. استطاع عبد الناصر ان يلوي عنق الهزيمة ، وان يضعها في حجمها الحقيقي ..

.. اما المتآمرون ، فانهم يعملون على وأد انتصارات اكتوبر .. لضرب الثورة العربية ..

فلم تكن انتصارات اكتوبر سوى تتويج لمسيرة . ثورة ٢٣ يوليو . . سواء السلاح او الرجال . . أو التضامن العربي والعالمي . .

ان عبقرية القائد، لا تتحقق بالانتصارات فحسب . . بل عندما يواجه الصعاب او الهزيمة ، ويستطيع ان يخرج من وسط الركام مرفوع الرأس . . وهذا ما حققه عبد الناصر حيا . . وميتا .

واجه مؤامرة الهزيمة بقلب شجاع . . ونفخ الحياة في كل ما تهدم ، حتى تحقق نصر اكتوبر . .

● قال للشعب

. . والسؤال :

ـ ماذا لو عاش الرجل . . وحقق النصر حيا ؟ .

وقبل الإجابة على هذا السؤال، لا بد من الرد على الذين ينسبون النصر لغير عبد الناصر . او يرون النصر خارجا عن نطاق ثورة يوليو . .

ولا نظن ان هناك شهادة اقوى من شهادة الرجل الذي كان في مقدوره من مركز السلطة ، ان يرى عوامل هذا النصر . .

قال السادات في مايو ٧٤ . .

« . . ان نصر اكتوبر لم يكن مصادفة ، ولم يحدث في غفلة من الزمان كما يريد العدو ان يوحي ، وانما هو ثمرة عوامل كثيرة وأصيلة، يجعله أمراً واردا وطبيعيا وليس حدثا فريدا . ويهمني ان اذكر من تلك العوامل ما يلي . .

١ ـ الوطنية المصرية .

٢ ـ القومية العربية .

٣ ـ منجزات ثورة يوليو . . !!

ولعل في هذه الكلمات ردا حاسما على القادة العسكريين الذين صنعوا الهزيمة .. ويريدون ان يلقوا بجرائمهم على عبد الناصر .. وينسبون انتصارات اكتوبر لغيره ..

منذ اللحظة الاولى .. قال ناصر في شجاعة القائد:

« .. انني على استعداد لتحمل المسئولية كلها .. » .

ولكن ان يأتي « الخونة » الذين ادينوا بالتجسس او عاشوا خارج مصر يطعنون ثورتها .. ثم يتقدم العسكريون الذين تآمروا على عبد الناصر والثورة ويدينون الرجل .. فهذا ما يجب ان يتصدى له كل عربي بذل حياته ودماءه دفاعا عن هذه الثورة ..

ولم يكن عبد الناصر غافلا عن العناصر المعادية .. بل اعلن في ٣ مارس ١٩٦٨ ..

« .. اقول اذا كان في اي بلد ثورة ، لا بد ان تكون هناك ثورة مضادة .. » .

وكان ايمانه بالثورة .. وبالشعب، غير محدود .. ففي لحظات الاسى والحزن .. قال في خطاب استقالته الذي رفضته الجماهير العربية ..

« .. ان ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية .. ان وحدته وتماسكه .. قادران على صنع معجزات ضخمة ..

كان عبد الناصر قبل ان يصنع نصر اكتوبر ، يعلم ان الحرب ليست سوى وسيلة .. وان النصر في الحرب هو طريق الى غاية اكبر .. فاعلن ..

« .. الهجوم اللي كان موجه ضد قواتنا المسلحة ليس الا جزءا بسيطا من الهجوم الشامل الموجه الى قوى شعبنا العاملة .. الهجوم على قوى الشعب

العاملة ،باعتبارها مصدر كل قوة، هو الهجوم الرئيسي المعادي . . » .

. . ولقد حاول عبد الناصر ان يعطي ما حدث حجمه . . وضرب الامثلة بما حدث في « دنكرك » و « بيرل هاربر » ضد اكبر دول في العالم .

ولكن الصحافة الرجعية والإعلام الخبيث، فرض كلمة « النكسة » وكأنها نهاية الثورة ! .

وطالب عبد الناصر باستيعاب « النكسة » وان نتقبلها كرجال . . ولكن الابواق المعادية ظلت تنفخ في « المأساة » حتى تفرض اليأس المميت . . وعلى الرغم من انتصارات اكتوبر ، فتح كل اعداء الثورة صفحات ٥ يونيو من جديد . . سواء داخل مصر او خارجها . .

فلم يعد الرجل الذي تصدى لهم موجودا . . وهو القائل . . « ان النكسات عوارض طارئة في حياة الشعوب . . » .

● الثورة المضادة . .

. . منذ اليوم الاول . . في ٩ يونيو . . حدد عبد الناصر الدور الذي قامت به امريكا . . وانجلترا . . وغارات الطائرات البريطانية على بعض المواقع السورية . . وتحليق طائرات الاستطلاع الاميركية فوق الجبهة المصرية . . وظهور حاملات الطائرات الاميركية والبريطانية قرب شواطىء العدو، تساعد مجهوده الحربي . .

. . وتحدث عبد الناصر عن الخدعة الدبلوماسية . . او عملية التضليل السياسية التي قامت بها امريكا . .

كما كشف دور باخرة التجسس الاميركية « ليبرتي » .

وأوضح التواطؤ الاميركي في العدوان ، وتأكيد جونسون بتدخل الاسطول السادس ، اذا تعرضت اسرائيل للخطر . .

وكان المفروض ان تعبأ كل الجهود ضد اميركا وليس ضد عبد الناصر او ثورة يوليو . . وكان المفروض على الرجال الذين عاشوا ولمسوا المأساة ، وشاهدوا بأنفسهم ما حدث في سيناء ، ان يتصدوا للعدو . .

ولكن كيف حدث العكس ؟ .

منذ البداية حذر عبد الناصر داخل مجلس الوزراء، من المخطط الاميركي . .

وأعلن أمام الوزراء، ان اميركا تريد ان تحل القضية بعيدا عن مجلس الامن . . وتطالب باجتماع مشترك . . وتفاوض مشترك مع اليهود . .

ثم استعرض المخطط الذي حدده في ثلاث مراحل . .

ـ المرحلة الاولى : هزيمة عسكرية تقضي على النظام كله . . وفشلت .

ـ المرحلة الثانية : ازمة اقتصادية تصل الى عدم القدرة على توفير الخبز للشعب . . وفشل المخطط بعد قرارات مؤتمر الخرطوم . .

ـ المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة الاخيرة ، لقد اتجه الاميركان بعد ذلك للعمل على اسقاطنا داخليا عن طريق عدم الاستقرار الداخلي . وانا اقدر انهم سوف يصرفون من ١٥ الى ٢٠ مليون جنيه في مصر على بعض العناصر الداخلية . . » .

وعجزت اميركا عن تحقيق اهدافها في حياة عبد الناصر . . ولكن عبد الناصر لم يكن الهدف . . بل كان الهدف كما قال عبد الناصر هو اسقاط النظام . . وضرب الثورة الاجتماعية . . والثورة العربية التي اشعلتها ثورة يوليو . .

● التنمية الاقتصادية

.. في نفس الوقت الذي حمل فيه عبد الناصر عبء المجهود الحربي ، وشكل القيادة الجديدة للجيش .. وأعاد التسليح .. وأخذ يتنقل بنفسه في الخطوط والمواقع الامامية بين القوات المسلحة .. لم ينس رغم هذا كله، مسئولية التنمية الاقتصادية .

وفي اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، اثار الدكتور فوزي وزير الخارجية عامل الوقت .. وكان ذلك في ٢٨ اكتوبر عام ١٩٦٨ ..

وكان رد عبد الناصر ..

« .. ان الموضوع الرئيسي بالنسبة لعامل الوقت، هو مدى قدرتنا الداخلية ، مدى تماسكنا ، مدى قدرتنا على التنميةالاقتصادية . وهل نحن قادرون على التحرك كدولة بالنسبة الى برامج التصنيع وبالنسبة للارض الزراعية الجديدة، وبالنسبة الى الاستثمارات وبالنسبة الى خطتنا بالكامل ؟ هل هي خطة حقيقية ، ام خطة على الورق فقط ؟ على هذا الاساس فقط يحسب عامل الوقت لصالحنا او لغير صالحنا .

واختتم كلامه قائل :

« .. هم يحسبون الوقت بشكل آخر ، انه في صالحهم على اساس انهم يتوقعونانهيار الجبهة الداخلية وحدوث انفجار فيها .. » .

كان عبد الناصر يتحدث وكأنه يرى المستقبل ..

هل كان عبد الناصر يصارع الزمن .. ففي خلال المرحلة التي اعقبت

الهزيمة ، تم التوقيع على اتفاقية اقامة مصنع الالومنيوم . . وفي عام ١٩٦٩ أقيم مصنع الصفائح . . وبني في الاسكندرية اكبر حوض لبناء السفن .

وفي الفترة ما بين ١٩٦٧ ـ ١٩٧١ اتسع نطاق انتاج مصنع المطروقات مرتين ، وازداد انتاج ورشة الات التشغيل ومصنع المضادات والمستحضرات الحيوية والمستحضرات الكيمائية والطبية ، بأكثر من الضعف ، فماذا كان يحدث لو ان صاحب نصر اكتوبر كان على قيد الحياة ؟ .

لم تكن المعركة من وجهة نظر عبد الناصر مجرد معركة عسكرية . . أو ردّ الكرامة للجيش المصري . . بل كان مستقبل مصر والثورة العربية هو شاغله . . وكان يعمل من أجل التصدّي لآثار « النكسة » على كل الجبهات . . في الداخل أو الخارج . .

وعندما ضرب قيادة الجيش « المتآمرة » . . وفشلت الهزيمة في اسقاط النظام . . استغل اليمين في الداخل انشغال عبد الناصر باعادة بناء الجيش ، ليضرب الثورة الاجتماعية . .

● المعركة الداخلية . .

منذ البداية . . في نوفمبر ١٩٦٨ ، تحرك اليمين داخل اللجنة التنفيذية ، واثار الدكتور محمود فوزي نقطتين :

ـ الاولى . . احتمال استخدام اسرائيل للرؤوس الذرية عام ١٩٧٠ . .
الثانية . . اعادة العلاقات مع اميركا . .

والقى الدكتور فوزي ورقة الاغراء عندما اعلن ان احد كبار المسئولين في شركة بان اميركا ، يتوقع استخراج كميات كبيرة من البترول في مصر ، مما

يؤدي الى تحسن الحالة الاقتصادية . .

وكان رد عبد الناصر . . يتركز في نقطتين ايضا . .

ـ الاولى . . ان اميركا تريد اجبارنا على ان نعتبر القضية . . مصرية ـ اسرائيلية وليس قضية عربية ـ اسرائيلية . . وهذا مرفوض . .

الثانية . . تساءل عبد الناصر : : « كيف يمكن اعادة العلاقات مع اميركا . . وهي لم توافق على مبدأ الانسحاب الى خطوط ٥ يونيو . . » .

وفي هذا الاجتماع . . وفي هذا التاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٦٨ ، قال السادات . .

« . . اعتقد انه قد اصبح واضحا ولا مجال لاي كلام عن تقديم هذه التنازلات . . » .

« . . ان القضية الاساسية تختصر بالتالي:

« هل يحكم شعب مصر من الخارج ؟ الاميركان يصرون على حكم شعبنا من الخارج ، مرة اخرى .

« . . ان التنازلات معناها نهاية هذا النظام وزواله ومعناها ايضا عودة حكم هذا الشعب من الخارج مرة اخرى . . » .

. . هذا ما اعلنه السادات امام عبد الناصر عام ١٩٦٨ . .

ولكن اليمين كان يتحرك بذكاء وخبث . . وكتبت روزاليوسف في مارس ١٩٦٨ . .

« يوجد في مصر عشرات ومئات من الناس يحتلون مواقع قيادة ، يمتدحون الاشتراكية قولا ويهزأون بها سرا ، ويخربون بناءها . وحيث ان هؤلاء الناس كثيرون في كل مكان ، فانهم يقفون حائلا وعقبة ، على طريق التقدم ، واذا سنحت لهم الفرصة لان يتحدثوا صراحة ، فسوف يصبحون احتياطيا جبارا

للثورة المضادة . . » .

فقام زكريا محيي الدين بالنيابة عن مجموعة من الوزراء كان على رأسهم القيسوني، بتقديم اقتراح لتنفيذ عدة تدابير ضد الاتجاه الاشتراكي . . منها :

١ ـ نقل كل المؤسسات المؤممة والتي لا تدر ربحا الى القطاع الخاص . .

٢ ـ ايقاف بناء المؤسسات الجديدة للدولة . .

٣ ـ زيادة صادرات القطاع الخاص .

٤ ـ رفع اسعار مواد الاستهلاك الشعبي بصورة عالية . .

وعارض عبد الناصر تقرير زكريا محيي الدين . . واقيلت الوزارة . . واستقال زكريا محيي الدين من جميع مناصبه . . واستبعد القيسوني . .

. . وهكذا كان « اليمين » يتحرك في اللجنة المركزية . . وداخل مجلس الوزراء . . ومن خلال صحيفة « الاهرام » ومجلة الاقتصاد التي كانت تصدر عن وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية . .

ففي هذه المرحلة طرحت « الاهرام » مسألة « الرعب النووي » . . والحوار مع اميركا بدل المناطحة . .

وتصدى عبد الناصر لكل هذه المحاولات، في مواجهة سافرة. وأكد ان الحل الوحيد هو التصدي « للنكسة » بالنضال . . اما ما عدا ذلك فهو قبول للهزيمة .

● المشكلة . . والحل

. . في اعقاب ٩ يونيو ، تقدم احد الدبلوماسيين العرب الى عبد الناصر باقتراح يطالب فيه بالقضاء على « نظام الدولة » واقامة « نظام جديد » على

انقاض الانهيار الذي حدث في « النكسة » !.

فهل كان في استطاعة عبد الناصر ان يقدم على هذه الخطوة ؟!..

كشفت احداث « النكسة » ان جهاز الدولة القائم يرتبط فكريا وماديا .. وخاصة في مراكزه العليا ذات السيطرة ، بالحقبة الاستعمارية ..

.. الجيش .. الاقتصاد .. التعليم .. الصحافة .. كانت كلها قد صبت في القوالب التي املتها السيطرة الاستعمارية ..

.. وفي نفس الوقت كانت القوى الجماهيرية الدفاقة ، تفتقر الى التنظيم او القيادة الواعية .. وخاصة بعد ان تفكك « الوفد اثر توقيع معاهدة ٣٦ .. وحل لجان الوفد في القرى والمراكز .. وعدم قدرة « الوفد » على الارتباط او تنظيم الطبقة العاملة ..

وعندما قامت ثورة يوليو .. لم يجد عبد الناصر سوى الجماهير ..

الجماهير هي التي خرجت بدون تنظيم وبدون قيادات لتلتف حوله ايام العدوان الثلاثي .

الجماهير هي التي حملت عبء البناء الاشتراكي ، سواء داخل المصانع او بناء السد العالي .. او الإصلاح الزراعي ..

الجماهير هي التي خرجت في لحظات يأس بكل قواها ، لترد على النكسة وتدفع الهزيمة ..

ولقد ظلت هذه الجماهير ـ مع الاسف ـ بدون تنظيم رغم كل المحاولات التي بذلها عبد الناصر ، سواء في هيئة التحرير او الاتحاد القومي .. او الاتحاد الاشتراكي .. او التنظيم الطليعي ..

كان اليمين قادرا في كل محاولة ، ان يحول هذه التنظيمات الى اجهزة تخدم مراكزه بدل ان تعمل على تنظيم الجماهير ..

وهكذا ظلت الدولة محتفظة بسماتها ، بينما عبد الناصر يعمل للتحول تدريجيا . .

ومن بين الجماهير استمد عبد الناصر عناصر الجيش الجديدة من ابناء الفلاحين والعمال . . مما فجر الصراع في ٥ يونيو بين هذه القوى الجديدة وبين القيادات البالية .

ومن بين الجماهير استمد عبد الناصر عناصر البناء من المهندسين والأطباء والفنيين الجدد الذين حملوا عبء البناء الجديد . .

لم يكن عبد الناصر غافلاً عن الصراع المكتوم ، فكيف يقيم « نظام دولة جديد » من العناصر الجماهيرية دون تنظيم يحكم حركتها ؟ .

لم يحدث هذا ابدا في تاريخ الثورات . . سقط جهاز الحكم خلال الثورة الفرنسية وثورة اكتوبر . . وظلت الدولة الجديدة تعتمد على الكوادر القديمة . . وكانت عملية التغيير تحدث على مراحل متفاوتة . .

وكان عبد الناصر يتحرك من خلال الواقع . . وكان يدرك قوة اليمين . . وأعلن في اكثر من خطاب ان اليمين الرجعي يشكل حزباً رغم عدم وجود تنظيمه . . فهذا اليمين يملك من الخبرة والوسائل المادية والدهاء ما لا تملكه الجماهير . .

وكان هذا اليمين يشكل فصائل متعددة . . عناصر ارتبطت بالمخابرات الاجنبية وتتناول منها مرتبات . . وعناصر ارتبطت مصالحها بالشركات الاجنبية وتقوم الشركات بشرائها عن طريق العمولات والرشاوى . . وعناصر اثرت باجراءات الثورة . .

وعملت كل هذه القوى من اجل تأكيد « النكسة » وفرض الهزيمة . . ولكنها لم تستطع ان تسفر عن وجوهها خلال وجود عبد الناصر . .

وما ان مات « القائد » حتى تحرك اليمين بسرعة ، ويبدأ في تنفيذ مخططاته . .

فهل ينجح ؟.

● ما العمل ؟

. . الشعب استوعب الصدمة في ٥ يونيو ، وتغلب عليها ، ولكن المثقفين الذين حملوا عبء البقاء مع عبد الناصر ، وقفوا مأخوذين ، وكشف الأدب والفكر السائد بعد النكسة عن أعماقهم . . ملأهم اليأس وتاهوا في ظلمات الهزيمة . .

كانت الثورة بالنسبة لهم، هي تحقيق ذاتهم . . والوصول الى تطلعاتهم . . وسقطوا في براثن القوى المضادة . . وانقلبوا من مؤيدين ومبررين للاخطاء الى نقاد للنظام . . وحذر عبد الناصر . . قائلا :

« . . وضع طبيعي ان تكون هناك موجة من النقد، ولكن أن تنقلب هذه الموجة من النقد الى موجة للتشكيك في كل شيء . . معنى هذا اننا لم نقابل النكسة مقابلة الرجال . . »

قال في مواجهة مجلس الامة

« . . ان هذه الامة العربية وشعبنا بين شعوبها، قادرة . . وهي اقوى من كل العوائق الطارئة . . » .

ان محاولات « التشكيك » في عبد الناصر او تحميله مسئولية الهزيمة في ٥ يونيو ، انما تهدف في الحقيقة الى إسقاط المبادىء التي وضعها لتحرير الارض

العربية المحتلة . . وهي كما تتحدد في خطب الزعيم القائد قبل وفاته . .

ـ اولا : ان التمسك بانجازات الثورة الاجتماعية هو الاساس للتصدي لأعداء الثورة . .

ـ ثانيا : ان تحالف قوى الشعب العامل، هو الكفيل بتحقيق النصر.

ـ ثالثا : ان مشكلة تحرير سيناء ليست مشكلة مصرية ـ اسرائيلية، ولكنها مشكلة عربية ـ اسرائيلية .

ـ رابعاً: إن المعركة في مضمونها، هي معركة ضد الاستعمار الذي يساند الصهيونية . . والذي يهدف الى فرض ارادته وجرنا الى الاحلاف العسكرية . . وربط اقتصادنا بالرأسمالية الصهيونية والعالمية . .

فهل آن لنا ان نخرج من جو الضيق والانفعال للتصدي لعناصر الثورة المضادة . والعدوان المستمر على العالم العربي . .

لقد آن لنا ان نخرج من نطاق الاحداث الصغيرة لنحقق اهداف المبادىء الكبيرة . .

مبادىء ثورة التحرر العربي العظمى . .

والنصر لنا . .



الباب الثاني



. . قرر مجلس الشعب بجلسته المنعقدة ، بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٧٧، بناء على طلب موقع عليه من اكثر من عشرين عضوا ، تشكيل لجنة خاصة للتحقيق في أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ . .

« بدأت صحيفة « السياسة » الكويتية ، في نشر تقرير اللجنة في ٩ يونيو ١٩٧٩ . . وقالت الصحيفة في تقديمها للوثيقة . .

« والسياسة وهي تدفع بتلك الوثيقة للنشر العام لاول مرة، تهدف ان يقرأ العرب عن الخامس من يونيو كل ما يستطيعون قراءته، لكن ذلك لا يعني انها توافق كل الموافقة على تحليل اللجنة البرلمانية المصرية لأسباب هزيمة يونيو . .

« فالأمانة الصحفية وحدها هي التي تدفعنا لنشر النص الكامل للوثيقة ، وليس الإقرار بكل ما فيها من آراء واتجاهات . . » (النص الكامل للوثيقة في الباب الثالث من الكتاب) .

وجريدة « السياسة » على حق في تحفظها بما جاء في الوثيقة . . على الرغم من أننا لا ندري عن أي شيء جاء التحفظ ! . او وجهة نظرها ! . .

ولكن تقرير اللجنة يدعو الى الدهشة . . أثار التقرير عدة تساؤلات

● هل اشتراكية بعض الانظمة هي المسئولة عن الهزيمة ؟
● هل غياب التكنولوجيا لدى العرب هو المسئول عن الهزيمة ؟
● هل إصرار شعب فلسطين على التعجيل بالتحرير هو المسئول عن الهزيمة ؟

● هل وجود الاحزاب هو المسئول ؟ ومن الذي هزم ؟
● هل هزمت امة ام مجرد طبقة وقائد ؟
● هل هزم شعب ام هزمت نظرية وخط سياسي ؟
● هل هزم العرب او هزم بعض العرب ، وانتصر « عرب » آخرون ؟
● هل هزمت سلبيات العرب ام ايجابياتهم ؟

ردت لجنة مجلس الشعب في تقريرها على بعض الاسئلة .. وتركت اهمها ..
● هل هزمت امة ام مجرد طبقة ؟
● هل هزم شعب ام هزمت نظرية وخط سياسي ؟
ولا نجد اجابة في التقرير على السؤالين .. .. فاذا ادركنا ان اللجنة كانت مشكلة من نفس « افراد الطبقة الحاكمة والتي ادت الى الهزيمة بسلوكها ، وايديولوجيتها ، نستطيع ان نفهم لماذا تجنبت الإجابة على هذين السؤالين ..

وتحيل لجنة « مجلس الشعب » الى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة « الاهرام » اسئلة هامة للاجابة عليها .. منها :
● كيف تفهم ازمة ١٩٦٧ ؟

● لماذا سلكت السياسة الخارجية المصرية وصانع القرار المصري، الطريق الذي اتبعه ؟

ما هي تصورات صانع القرار للوضع الدولي وللوضع الاقليمي والعربي ؟

● ما هو دور كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في ايجاد الأزمة او تصعيدها ؟

● هل هي في التحليل الاخير خطأ في تصور القيادة المصرية للموقف ؟ ام انها مؤامرة ؟

ولسنا في حاجة الى الحكم على هذه اللجنة التي تكشف باسئلتها الساذجة عن جهلها او تواطئها . .

ان هذه « اللجنة » التي تمثل مجلس الشعب ، لم تقرأ « الميثاق » الذي صدر عام ١٩٦٢ . . ولم تحاول ان تتابع خطابات عبدالناصر ، « قبل النكسة » او بعدها . . .

الأسئلة التي طرحتها على مركز الدراسات في « الاهرام » تمثل الخط السياسي لثورة ٢٣ يوليو . . اي حركة التحرر الوطني . . ولقد بح صوت عبد الناصر وهو يجيب على هذه الاسئلة، سواء في لقاءاته مع أعضاء مجلس الشعب او لقاءاته مع الجماهير او مع الجنود في الجبهة .

وصدرت عشرات الكتب التحليلية عن « الحياد الايجابي » وعن « حرب ٦٧ » ، وموقف كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . .

ولم يكن خافيا التواطؤ الاميركي ـ الصهيوني . . او موقف مصر القومي والوطني . . او اهداف الثورة المصرية وارتباطها بالقوى الثورية العالمية . .

وكان في تاريخ مصر سواء قبل ثورة ٢٣ يوليو . . او خلال مسيرتها، ما

يعطينا الإجابات على أسئلة اللجنة . .

أما « التواطؤ » فيظهر من اسماء كثيرين من اعضاء اللجنة الذين صفقوا وأيدوا « ردة السادات » . . بل ظهر من بينهم من نادى صراحة بتصفية « القطاع العام » والتخلي عن النهج الاشتراكي . . والارتماء في احضان الولايات المتحدة . . والاستسلام للصهيونية . . وهي الاهداف التي وضعتها الصهيونية واميركا لعدوان ٦٧ . . .

– ٢ –

اذن لماذا نقف امام تقرير لجنة مجلس الشعب ؟

استمعت اللجنة أقوال ٨٣ ضابطا ممن شاركوا في حرب يونيو ١٩٦٧ . . وعن طريق هؤلاء الضباط ، تكشف لنا من خلال التقرير، صدق ما ذهبنا اليه من ان ٥ يونيو لم تكن هزيمة عسكرية بل كانت مؤامرة . . جاء في التقرير .

● تأكد الاهمال في شئون التدريب والانضباط العسكري من ثم الإعداد للحرب .

● تمّ تغيير ١٣ قائد فرقة ولواء فيما بين اعلان حالة الطوارىء ظهر ١٤ مايو ، ووقوع العدوان صباح ٥ يونيو .

ويقول التقرير :

« . . ومما يثير العجب ان هذا التغيير في الوظائف، تصاعد أمره مع بدء عدوان اسرائيل، واستمر اثناء القتال رغم خطورة نتائجه » .

● جزمت تقارير المخابرات التي كان يرأسها صلاح نصر ، بأن اسرائيل لن تهاجم مصر ، وكان ذلك في نفس الليلة التي اكد فيها الرئيس عبد الناصر للمجلس الاعلى للقوات المسلحة (الجمعة ٢ يونيو ١٩٦٧) ان الحرب واقعة لا محالة في بحر يومين او ثلاثة، وانها سوف تبدأ بضربة جوية مركزة .

● في الساعة ٧,٣٠ اي السابعة والنصف من صباح ٥ يونيو، هاجمت القوات الاسرائيلية قرية « الجزعرية » داخل الحدود المصرية . . وكان هذا كافيا لإعلان حالة التأهب القصوى، وما كان يستتبعه من إقلاع الطائرات».

● كانت المخابرات المصرية تحول الانظار نحو « إيلات » والاتجاه التعبوي الجنوبي في سيناء، بعيدا عن المعركة !.

● ان التاريخ لا يمكن ان يغفر لهؤلاء القادة الذين عايشوا تدمير طائراتهم في عام ١٩٥٦ ، وتهاونهم وعدم جديتهم طوال احد عشر عاما، ليعايشوا مرة اخرى تدمير طائراتهم المصطفة في عام ١٩٦٧ .

● تركت جميع الطائرات مجمعة ومصطفة على سطح الارض بالمطارات، انتظارا للضيف القادم .

● عندما انذر رئيس الجمهورية، قائد القوات الجوية مساء الجمعة ٢ يونيو بتوقع الضربة الاسرائيلية صباح ٥ يونيو ، ووجوب اتخاذ كافة التدابير المضادة لها ، لم يحرك هذا القائد ساكنا ، وكأنما لا يعنيه ولا يعني وطنه .

● اتخذت قيادة القوات الجوية سياسة احالة أكفأ الطيارين من رتبة لواء، الى المعاش واستبقاء غير الصالحين منهم بالخدمة وترقيتهم الى رتبة الفريق والفريق الأول .

● كانت قيادة القوات الجوية هي العائق الأول والمعارض الأول لوظيفة واختصاصات رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة والذي بدونه تصبح القوات المسلحة شراذم متفرقة لا رابط بينها ولا تنسيق .

● لم تكتف قيادة القوات الجوية بكل هذا ، بل اهملت ، في اعداد الطيارين والمطارات، حتى بلغت نسبة الطائرات الى الطيارين : ١ : ٨ طيارة ، بينما النسبة لدى العدو ٢ :٣ طيار، مما ادى الى ترك طائرات جاهزة

بدون طيارين لقيادتها ، كما لم يكن للقوات الجوية سوى ١٢ مطارا ،بينما كان لدى اسرائيل ٥٨ مطارا اي بنسبة اكبر من ٤ : ١ لصالح اسرائيل : . .

وقفت لجنة مجلس الشعب امام هذه الاتهامات الدامغة ، نفس الموقف الذي اتخذته المحكمة العسكرية في محاكمتها لقائد الطيران . . لم تر في هذه الجرائم شبهة الخيانة او المؤامرة . . بل الإهمال الذي يستوجب العقاب الشديد !.

ولكن الشعب ، كانت له رؤية اخرى ، فقامت مظاهرات العمال في حلوان . . وأعقبتها مظاهرات الطلبة ثائرة ضد الاحكام الهزيلة التي صدرت ، مما أرغم القيادة السياسية على إعادة المحاكمة . . وعلى الرغم من ذلك، لم يصدر حكم واحد بالاعدام على القادة الكبار المسئولين. . وخاصة قائد الطيران . .

ويقول « جاك كوبار » في كتابه « أوراق جديدة من حرب الأيام الستة » إن الاتحاد السوفياتي أشار الى أن قائد الطيران المصري كان يتعاون مع المخابرات البريطانية . .

وسواء كانت هناك ، وثائق تذكر ذلك او تنفيها ، فان الاتهامات التي جاءت في تقرير مجلس الشعب ، كافية للادانة بالخيانة . .

- ٣ -

ينتقل التقرير الى موقف المشير عامر من المعركة . . ولم يكن المشير فردا - كما يصوره التقرير - بل كان يمثل مجموعة متآمرة على رأس الجيش عزلته عن ثورة ٢٣ يوليو . .

كان على رأس مجموعة المشير الصاغ شمس بدران ، الذي أحاطت بكل تصرفاته وسلوكه الشكوك والريب . . واستطاع ان يسيطر على « المشير » . . بل وصل الامر في قدراته على تحدي عبد الناصر ، وتوجيه المشير في تصرفاته . .

كانت هذه المجموعة بالفعل تمثل تحالف الرجعية والاستعمار . . البعض كان من الحرس الملكي . . وقسم من أبناء الذوات الذين مستهم الاصلاحات الاجتماعية . . وقسم منهم مرتبط بالقوى الخارجية من ايام دراسته في انجلترا او علاقة بالبعثة العسكرية البريطانية . . وقسم استغل الثورة لتحقيق تطلعاته الطبقية وتحقيق مآربه الذاتية .

فماذا فعل هذا التحالف الرجعي الاستعماري ـ الذي كان اشبه بحصان طروادة ـ اثناء حرب ٦٧ . .

ولنترك تقرير لجنة مجلس الشعب تتحدث :

● كانت خطة الحرب المعتمدة « الخطة قاهر » ذات صبغة دفاعية ، واضحة ، واستمرت قواتنا المسلحة تعمل بها طوال السنوات السابقة على حرب يونيو ٦٧ . . ولكن القرارات الاستراتيجية التي راح يصدرها المشير عامر بدأت تصبغها اعتبارا من ٢٣ مايو ١٩٦٧ بطابع مزدوج ومتناقض يجمع بين العمل التعرضي الهجومي وبين العمل الدفاعي المبتور . .

● كانت أولى الدلائل على التفكير في الانسحاب تلك البرقية الغريبة التي ارسلها المشير عامر الى قائد منطقة شرم الشيخ فجر يوم ٦ يونيو يأمره فيها بسحب قواته من شرم الشيخ الى غرب القناة ! .

● ظهر يوم ٦ يونيو أصدر المشير عامر قراره الى قائد الجيش رأسا وبعض بطانته من قادة الفرق . . بأن ينسحب كل الجيش خلال نفس الليلة ٦/٧/

يونيو الى غرب القناةلتذهب هذه الفرق الى دمنهور ، والأخرى الى المنصورة والثالثة الى القاهرة . . وهكذا !! .

● واذا نظرنا الى الاوضاع الفعلية للجيش الميداني عصر يوم ٦ يونيو، لما وجدنا مبررا واحدا لصدور امر الانسحاب العام ، فالتشكيلات أغلبها سليم لم يصطدم بالعدو ، ولا هي تحملت خسائر ذات وزن .

● كانت أوضاعنا قادرة على ممارسة الدفاع وشن الهجمات والضربات المضادة ضد العدو الذي كان حتى هذا الوقت قد أحرز نجاحا محدودا .

● مجرد نظرة الى اوضاع قواتنا عصر ٦ يونيو، تكفي لدحض قرار الانسحاب وكشف مجافاته للواقع ومدى فساده .

● إن قرار المشير عامر بالانسحاب العام من سيناء الى غرب القناة، حتى ولو كان قد قصد به أن ينقذ قواته البرية في سيناء ، فالواقع انه حكم عليها بالهزيمة والدمار . واتاح للعدو نصرا لم يكن يحلم به ! .

● وأسرع جهاز التخطيط المختص، بعد ان شعر بما تم من وراء ظهره، يحاول تدارك الكارثة ـ فسعى الى تنظيم الانسحاب وان يوجهه الى هيئة دفاعية مناسبة، ولكن المحاولة جاءت بعدفوات الأوان .

● عدم إجراء اي مناورة ما على امتداد سبع سنوات متتالية قبل حرب يونيو ١٩٦٧ . .

* * *

البوقائع التي استخلصها تقرير لجنة مجلس الشعب ، وهو المجلس الذي تم تشكيله بعد انقلاب ١٥ مايو ـ تجمع بين عناصر الخيانة والتآمر . . ولو كانت هناك حكومة وطنية حقا . . او مجلس يمثل الشعب، لكان الاصرار على اعادة

المحاكمة ، وخاصة ان الوقائع مستمـدة من افواه ٨٣ ضابطا تم سؤالهم . .
ولكن الذي حدث عكس ذلك تماما . . تم الافراج عن جميع المتهمين والمحكوم عليهم . .

ولكن . .

هل كانت هذه كل الوقائع ؟

كان هناك ما هو ابشع . .

اولا : ما ذكره امين هويدي الضابط السابق في مؤلفاته .

ثانيا : ما جاء في كتاب الفريق صلاح الدين الحديدي .

ثالثا : ما جاء في مؤلفات الصاغ او الرائد احمدحمروش في محاولته تأريخ ثورة ٢٣ يوليو . .



● هل هزمت أمة أم مجرد طبقة ؟

● هل هزم شعب ام هزمت نظرية وخط سياسي ؟

. . قبل ان نجيب على السؤالين كما طرحتهما لجنة مجلس الشعب . . لنسمع شهادات جديدة من اقوال ضباط ساهموا في ثورة يوليو . . سواء في خطها العسكري او السياسي . .

قال « جاك كوبار » في تحليله لنكسة ٥ يونيو . .

« لقد ذهب الجنود والضباط المصريون بأجورهم المتدنية ، محتقرين من قبل رؤسائهم في اغلب الاحيان ، معدين بعقلية الاكاديمية الحربية للملك فاروق ، ذهبوا مستضعفين الى حرب تتطلب مبادرة كل فرد . وعندما ستخرج العمليات الحربية من اطار المخطط الذي حشيت به الرؤوس مرارا وتكرارا ، ستجد الوحدات المصرية نفسها عند ذلك دون قيادة . . » .

اي ان القيادة كانت في جانب والوحدات المصرية في جانب آخر . . ومعنى ذلك ان القيادة وحدها التي خاضت الحرب وليس الوحدات المصرية . . ان الهزيمة التي حدثت لم تكن للجيش . . او الطبقة . . بل لفئة محدودة ، فئة

كان ينخر فيها الفساد، بعد أن انهمكت في التجارة غير المشروعة اكثر من انهماكها في الشئون العسكرية والدفاع عن الوطن . .

فماذا حدث في ميدان القتال ؟.

يقول أمين هويدي الضابط السابق . . ووزير الحربية بعد النكسة :

« . . بدأ الجيش المفترى عليه» يمر في أتعس لحظاته، نتيجة لأخطاء قياداته وعدم تقديرها للأمور، وبدأت القوات التي لم تكن قد تحملت أية خسائر تذكر، ولم تكن قد اصطدمت بالعدو، تتكبد خسائر فادحة في مذبحة مروعة بعد ان تركتها قيادات القمة دون أن تحاول رأب الصدع أو سد الثغرات ، أو على أقل تقدير الاستشهاد مع « القوات المفترى عليها»، والتي لاقت بعد ذلك من الهوان والذل اكثر مما لاقت من الاستشهاد والأسر ».

ويكشف لنا ضابط آخر، قصة هروب القيادة وتخليها عن الجنود، فيقول اللواء عبد الحميد الدغيدي قائد القوات الجوية وقائد الدفاع الجوي في سيناء وقت العمليات ، حينما امرته قيادة الجيش بنسف مركز العمليات . . رفض ذلك « ورديت ردا عنيفا جديدا على قيادة الجيش،وقلت لهم عاوزيني أهرب زي ما هربتم ، وهذه الاشارة مسجلة ، ولم أدمر مركز القيادة ولم انسحب . . » .

ويكشف لنا امين هويدي قصة الانسحاب فيقول :

« بعد ٣٦ ساعة فقط من بداية القتال،صدرت التعليمات بالانسحاب » ويعلن قائلا :

« ومن المؤكد ان الاوضاع الفعلية عصر يوم ١٩٦٧/٦/٦، لم تكن تبرر اصدار قرار الانسحاب العام . . . » .

ولا ننسى ـ كما جاء في كتاب الصامتون يتكلمون ـ ان شمس بدران،لم يفارق المشير عامر لحظة واحدة وظل يتابعه كالظل في غرفة عمليات المعركة ! .

فماذا كان دور شمس بدران في المعركة ؟.

ان التضارب الذي بلغ منتهاه ـ على حد قول امين هويدي ـ جعل قائد الجيش الميداني يصدر اوامره الشفوية الى قائد الفرقة الرابعة المدرعة، بعدم الانسحاب بعد ان صدرت اليه الاوامر كتابة بالانسحاب ليلا !.

ووصلت الفرقة الرابعة المدرعة بسرعة منقطعة النظير الى القاهرة، ثم صدرت اليها الاوامر بالعودة الى المضايق . .

كانت أوامر المشير التي وصلت الى القوات، تنص على أن تكون كافة القوات غرب القناة صباح يوم ١٩٦٧/٦/٧ !!.

ويعلق امين هويدي قائلا :

« . . واي رجل له المام بسيط بالنواحي العسكرية يعلم ان القرار بهذه الصورة مستحيل التنفيذ . . » .

« فهناك آلاف من الافراد ، وآلاف من المركبات بانواعها ، وآلاف الاطنان من المعدات والمهمات والمواد . واذا اضفنا الى ذلك قلة الطرق وعدم صلاحية الارض في اغلب المناطق للسير عبر الاراضي، ثم العدد المحدود للمعابر على قناة السويس، لعرفنا ان الانسحاب بهذه الصورة يعتبر كارثة كاملة . . » .

ـ ٢ ـ

تعد شهادة . وأقوال الصاغ احمد حمروش من اهم وأخطر ما قيل في قضية ٥ يونيو . . يقول :

« كانت القوات المسلحة هي درع النظام وحاميته وسنده الرئيسي في البقاء وفي تفرغ معظم الكادر القيادي في مجالاك كثيرة . . العمل السياسي -

الخارجية ـ الاقتصاد ـ الصناعة وغيرها . . » .

فهل كانت القوات المسلحة مؤهلة لكل ذلك . . وهل كانت هناك خطة او نظرية ، تحكم إختيار الضباط وتعيينهم في هذه المناصب المختلفة ؟ . وهل كان عبد الناصر على علاقة بما يقوم به المشير عامر والحلقة التي التفت حوله ؟

يقول أحمد حمروش :

« و . . قال لي الفريق عبد المحسن مرتجى « ان جمال عبد الناصر كان شديد الاهتمام بمتابعة تسليح القوات المسلحة بالاسلحة السوفياتية الحديثة والتدريب عليها والمناورات بها ، ويفسر ذلك بأن الجيش كان في ذروة كفاءته من اعوام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ . . . ولكنه يستطرد فيقول ان عبد الناصر فقد كل اهتمامه بالقوات المسلحة ومتابعة تقدمها وتطورها بعد الانفصال! » .

فماذا حدث . . وشل يد عبد الناصر عن الجيش ؟ .

على أثر العدوان الثلاثي ، كان هناك قرار بعزل قائد القوات الجوية صدقي محمود بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات ، وأصر المشير على بقائه فلم ينفذ القرار . .

. . ومرة ثانية على أثر مأساة الانفصال، انفصال وحدة مصر وسوريا ـ تم تشكيل « مجلس الرئاسة » . . وقرر المجلس تحديد اختصاصات المشير عبد الحكيم عامر بالنسبة لتعيين قادة الوحدات ، في القوات المسلحة ، كما اتخذ « مجلس الرئاسة » قراراً بعزل قائد القوات الجوية الفريق صدقي محمود للمرة الثانية ، نتيجة تأخره في ارسال امدادات لقوات اللاذقية . .

واستقال المشير عامر لتحديد اختصاصاته . . كما قدم عدد كبير من قادة القوات المسلحة المقربين من المشير ، استقالتهم تأييدا للمشير . واجتمعوا في القيادة واصروا على عودته الى موقعه . . وعاد . .

ويقول أحمد حمروش . .

« . . أدرك عامر أنه يستمد سلطته من القوات المسلحة، فوثق صلته بقادتها ، وظل يواصل العطاء لكل من يطلب ، ويقرر المنح ويقدم الخدمات . . » .

ويصف حالة شمس بدران، الرجل المريب . . فيقول . .

« . . ان ظهور القوات المسلحة كقوة ضاغطة على النظام وعلى جمال عبد الناصر شخصيا، الى الحد الذي جعله يعين الصاغ شمس بدران وزيرا للحربية، وهو غير مؤهل عسكريا لذلك، فلم تتجاوز دراسته الكلية الحربية ، ولم يشترك في أية عمليات حربية ، ولم يعرف عنه الاهتمام بالنظافة العسكرية . . . ».

وننتقل الى المعركة ، وما حدث خلالها . . وقد استمد أحمد حمروش الوقائع من ضباط المعركة . .

يقول أحمد حمروش :

« أثناء الموجة الأولى للهجوم الاسرائيلي، كان هناك حادث درامي مثير . . طائرة المشير عبد الحكيم متجهة الى مطار « بيرتمادا » في سيناء ومعه قائد القوات الجوية وقائد الدفاع الجوي ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وعدد من كبار القادة . . » .

صحب وجود هذه الطائرة في الجو صدور تعليمات الى دفاعنا الجوي بألا يطلق النيران . . اي يكون مقيدا . .

« يقول الكاتب . .

« . . وهنا يثور تساؤل خطير عن الاسباب التي دعت المشير الى القيام بهذه الجولة، في نفس الوقت الذي حدده جمال عبد الناصر في مؤتمره مع القوات

الجوية ، كموعد محتمل للهجوم الاسرائيلي » .

ويرى الفريق اول محمد فوزي ان ذلك كان نوعا من تحدي قيادة القوات الجويةلقرارات وآراء جمال عبد الناصر ، ومحاولة لاثبات ، وجهة نظرهم الخاصة!! .

كما يرى أيضا ان هذه العملية تمت لثقة المشير عامر المطلقة بمعلومات المخابرات الحربية والتي تبين انها كانت خاطئة ومضللة !! .

ويضيف احمد حمروش واقعة تمثل ابشع انواع الاستهتار واللامبالاة. . فيقول : . .

« . . ولم يكن مقبولا ان يسهر ضباط القاعدة الجوية في انشاص في حفلة ساهرة ليلة ٤ يونيو تغني فيها المطربة شريفة ماهر . . » .

ومن ناحية قصور الدفاع الجوي ، فيقول الفريق اول محمد فوزي :

« من ناحية قصور الدفاع الجوي عن ملاحقة الطيران المنخفض ، حصلت اشارة لهذا الموضوع ، وكتب تقرير او نصيحة من الاتحاد السوفياتي بعد زيارة شخصية كبيرة جاءت الى مصر . . وللأسف حتى تقريرهم لم يطبع ولم يوزع . . بل ولم يترجم وبقي مختبئا . . ».

نتقل الى سير المعارك من مركز القيادة . . فيقول احمد حمروش:

« . . طلب عبد الناصر من عبد الحكيم عامر معرفة الموقف بالدقة من اجل اتخاذ موقف بالنسبة لقرار مجلس الأمن الذي كان سينعقد في نفس الليلة . . » .

ونقلا عن عبد اللطيف البغدادي . .

« . . تظاهر عبد الحكيم بانهماكه في الرد على التليفونات الخمسة التي كانت تضج بالرنين ويتبادلها هو وشمس بدران . . ولما قال له جمال عبد الناصر

(فضي لي نفسك شويه يا عبد الحكيم) لم يرد عليه واستمر في انشغاله بالتليفونات » .

بعد ذلك . . وماذا بعد ؟ .

ننقل صورة لما حدث في سيناء كما كتبها ضابط سابق . . وضابط شارك في العمل العسكري . .

يقول الصاغ احمد حمروش :

« . . إختلطت الأمور الى الحد الذي جعل الانسحاب يتم الى الغرب دون تحديد خط دفاعي جديد . . كان معروفا لجميع القادة، ان خط ممرات متلا والجدي هو أنسب الخطوط للمقاومة وعدم تحول الانسحاب الى حالة الذعر والفوضى . . » .

ومما يذكره الفريق الحديدي، يعطي صورة واضحة للحالة التي كانت سائدة في القيادة، فهو يقول :

« كانت انباء الاشتباكات في سيناء تصل الينا في القاهرة مشوشة وغير كاملة . . وربما كانت ايضا متناقضة وغير سليمة . . اذ لم يكن هناك اسلوب ثابت لنشر معلومات عن الموقف بطريقة منظمة على القيادات في باقي الجبهات » .

ويقول . .

« استشرى القلق والتوتر في التشكيلات المرؤوسة كانعكاس طبيعي لما اعترى قيادتنا الكبرى من شطط وشلل فكري . . » .

« بدأت الوحدات والتشكيلات تنسحب وحدها دون تنسيق . . تعتمد كل وحدة على اوامر قائدها . . ووصل بعضها الى القاهرة مباشرة . . وقد اختارت احدى الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات، حديقة قصر الطاهرة

معسكراً لها . بينما اتجهت وحدات اخرى الى معسكراتها القديمة . .

وحدث اول انسحاب من فرقة اللواء نصار . . الفرقة الثالثة بدون ان يخطر قيادته . . ولا قائد الجيش . . ولا قائد الجبهة . . ولا التشكيلات المجاورة . . . بدأ الانسحاب ليلة ٦/٧ ارتجاليا ومنفردا تاركين معداتهم واسلحتهم الثقيلة .

فقدت السيطرة نهائيا على القوات المسلحة ، كما فقدت الاتصالات . . حدث الانهيار . .

وترك قائد الجبهة الفريق اول مرتجى ، مركزالقيادة في سيناء، وانتقل الى معسكر الجلاء في الاسماعيلية . .

تضاربت الآراء والاوامر . . وانسحبت الوحدات والتشكيلات في ظروف شديدة القسوة من الناحيتين المادية والنفسية . . ولاقى الجنودعذابا أثناء انسحابهم عبر سيناء في شمس يونيو الحارقة . . وتعرض الجيش لمهانة حقيقية من العدو الذي تحقق له انتصار اضخم كثيرا مما كان يحلم به . .

. . ويقول الصاغ احمد حمروش . .

« ولو ان القيادة العامة للقوات المسلحة كانت في مستوى المعركة ، ولم تفقد سيطرتها . . لأمكن للجنود ان يواصلوا القتال في ظروف افضل ، رغم عدم وجود غطاء جوي . . ولأمكن لهم الانسحاب الى خطوط دفاعية لا تصل بالاسرائيليين الى الشاطيء الشرقي لقناة السويس . . وذلك حتى تتمكن القيادة السياسية من الوصول الى حل ينقذ الوضع من الانهيار » .

« ولكن ما حدث كان هزيمة نفسية مدمرة ، كما كان هزيمة عسكرية مخجلة :ـ

ومن المؤسف ان القوات المسلحة لم تكن تنقصها الأسلحة الحديثة القادرة

على مواجهة الاسلحة الاسرائيلية . . ولم يكن الجنود في حالة من التمزق والانهيار، مثل بعض ضباط القيادة العامة . . بل كانوا متأهبين للقتال فعلا . . » .

« المشكلة كانت في ضباط الرتب العليا الذين استكان معظمهم الى حياة بعيدة عن الروح العسكرية الصادقة . . وكانوا في اعماقهم لا يتحمسون للثورة ولا يؤمنون بالاشتراكية ، ولذا فقدوا ـ الى حد كبير ـ حسهم الوطني واستعدادهم لأداء واجبهم العسكري » .

ويستطرد احمد حمروش . .

« كان الميثاق ينص على دخول رجال القوات المسلحة الى الاتحاد الاشتراكي والتفاعل مع الحياة السياسية للجماهير ، ولكنهم ظلوا بعيدا عن ذلك، بدعوى التخوف من دخول الجيش في السياسة، الأمر الذي ترك فراغا هائلا في الوعي الوطني والسياسي ، ولم يفسر للضباط او الجنود حقيقة دورهم في حماية الوطن والثورة والتقدم الاجتماعي . » .

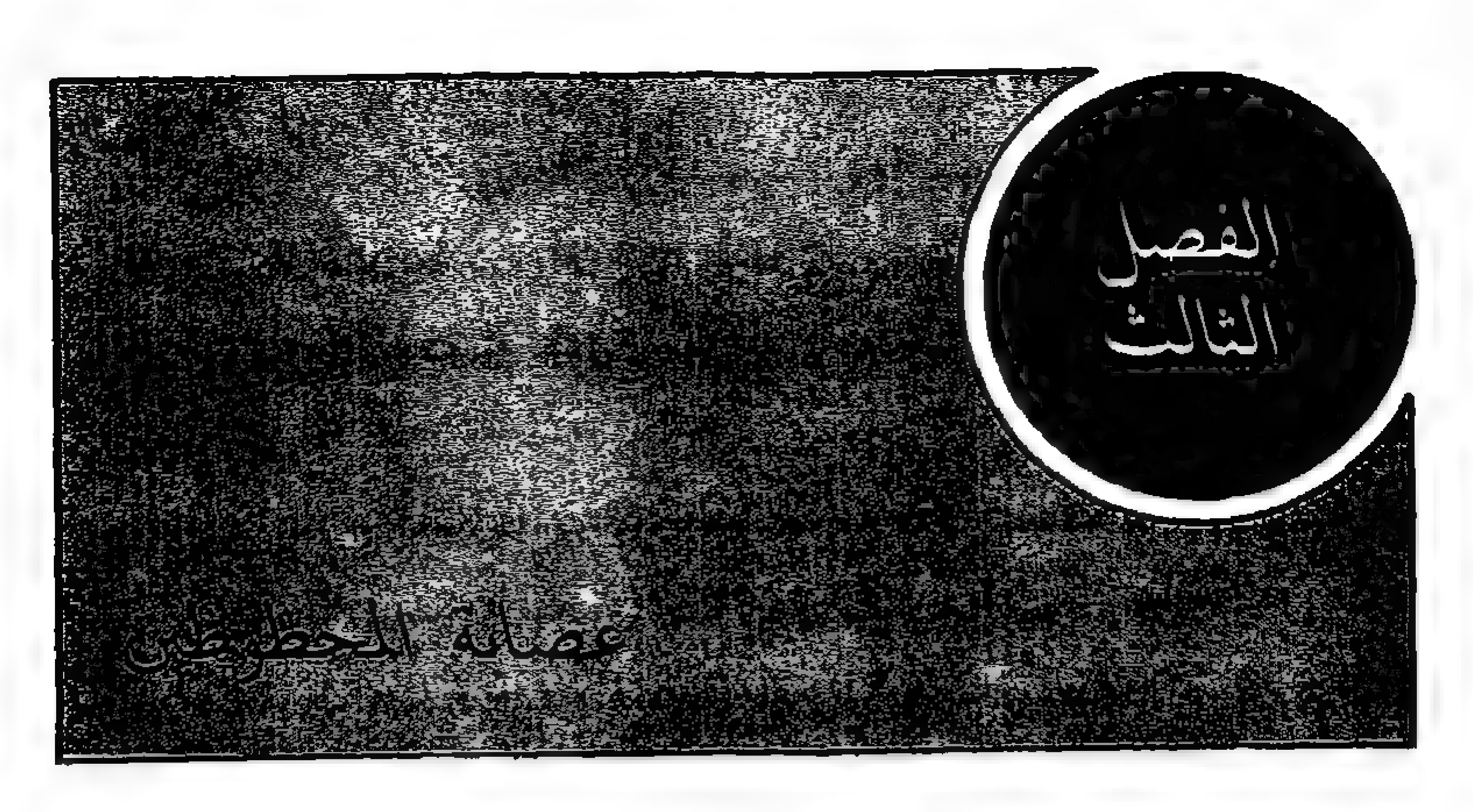
« ولا يجوز التهوين من أهمية الحافز الوطني عند المقاتلين . . كما انه لا يجوز التقليل من أثر الثغرة الاجتماعية الهائلة التي ظلت باقية بين ضباط الرتب العليا وبين صغار الضباط والجنود ، والتي لم تنجح الثورة الا في التقليل منها بأمور ثانوية وشكلية، سواء في الناحية الفكرية أو الاجتماعية .

« خلال حكم الثورة تجددت نوعية صغار الضباط، وأمكن لأبناء الطبقة العاملة والفلاحين ان يدخلوا الكلية الحربية . . ولكن عملية التجديد لم تصل الى القيادات العسكرية العليا التي تحولت مع الوقت ورسوخ المصالح، الى فئة لا تهتم كثيرا بواقع المجتمع وتطوره » . .

« ظلت عقلية ضباط الرتب العليا جامدة وغير مستنيرة من الناحية

الاجتماعية او السياسية . . ولم تصل مطلقا الى المستوى الذي وصلت اليه القيادة السياسية للثورة . .كان جمال عبد الناصر أكثر استنارة ووعيا، ولكنه لم يفلح في رفع مستوى القيادات العسكرية الى الحد المطلوب في قيادة معركة تحرر وطني ضد الامبريالية » .

« كان هذا سببا من اسباب الفشل والهزيمة . . ولكن لم يكن السبب الوحيد . . » .



طرح تقرير مجلس الشعب لحكومة السادات اسئلته الملغومة . . تسأل عن دور صانع القرار . . ودور الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . . والنظرية السياسية . . والخط السياسي . . والتكنولوجيا . . والاشتراكية . !

هل كان إثارة الاسئلة نوعاً من الحوار . . ام محاولة وصول الى الحقيقة . . ام نوعاً من التبرير ونشر الضباب لتمرير اتفاقيات « كامب ديفيد » . .

. . نجد في التقرير شجبا لمسألة التخلف التكنولوجي ، وخاصة بعد انتصارات الجيش في معارك ٥ أكتوبر .

وتجنب التقرير البحث في دور « الاشتراكية » خلال المعركة . .

وترك الاجابة عن بقية الاسئلة ، يستخلصها القارىء من خلال بعض الأحداث التي يسوقها . .

والوصول الى حقيقة ما حدث في ٥ يونيو ، لم يكن يحتاج الى كل هذه الاسئلة التي تضمنها سؤالان رئيسيان لا نجد لهما جوابا ، سواء في التقرير او في سياسة السادات .

والسؤالان هما :

● هل هزمت أمة . . ام مجرد طبقة ؟
● هل هزم شعب ام هزمت نظرية وخط سياسي ؟

- ١ -

● هل هزمت أمة ؟

. . لم يحدثنا التاريخ طوال مسيرته طولا وعرضا . . اي خلال العقود والقرون . . وكذلك في العالم أجمع، شرقه وغربه ، أن أمة من الأمم هزمت بمجرد إحتلال جزء من أراضيها . .

ولعل هذا السؤال ينبع من تفكير الفئة الحاكمة في ظل حكم السادات ، التي اتخذت من احتلال سيناء مبررا للاستسلام ، وفتح الابواب امام الغزو الصهيوني الاميركي .

ثانيا . .

● هل هزمت طبقة ؟

. . لم يحدثنا التقرير عن مفهومه للطبقة . . ولعله خلط بين مفهوم الطبقة ، والكتيبة او الفرقة العسكرية ! . او خلط بين مفهوم الطبقة وبين الجماعات المتآمرة ! .

فمن هي الطبقة التي كانت تحكم ؟ .

كل ما استطعنا ان ندركه خلال مسيرة الثورة . . انه كان هناك جبهة وطنية واسعة وراء قيادة الثورة ، خلال معركتها من اجل جلاء القوات البريطانية . .

ثم بدأ الحديث عن تحالف قوى الشعب، بعد تعميق الاصلاح الزراعي وتأميم الشركات والبنوك الكبرى . .

وظل أبناء الأقطاعيين، و أبناء كبار الرأسماليين، يساهمون في الثورة مع ابناء الفلاحين والعمال جنبا الى جنب . . وكان هذا هو خطأ الثورة القاتل الذي تمثل في خيانة عناصر الاقطاع الكامنة وعناصر الرأسمالية التي وجدت الفرصة في ظل حكم السادات لتنفذ اغراضها ، بعد ان ضمت اليها كثيرا من أبناء الثورة الذين حققوا ، او رأوا « في النكسة » فرصة لتحقيق تطلعاتهم وخيانة الثورة . .

كانت الثورة تسير باندفاعة الجماهير . . وكانت القيادة تستجيب للمطالب الجماهيرية . .

ولكن . . لا القيادة كان لها تنظيم . . ولا الجماهير لها تنظيم . . فكان الاتحاد الاشتراكي مجموعة افراد وليس ممثلا لأحزاب قوى الشعب . .

وقفزت مجموعة من العسكريين المتآمرين وجعلت من نفسها حاجزا بين قيادة الثورة وبين الجيش . . وعرفها عبد الناصر في خطاب امام مؤتمر الاتحاد العام للعمال في حلوان عام ١٩٦٨ ، بقوله . .

. . « قلت لكم ان مراكز القوى القديمة بتتمثل في (طبقة) من العسكريين السياسيين ـ بعضهم ادى دوره في الثورة ولكن الثورة تجاوزت قدراتهم وتجاوزت مصالحهم وتجاوزت استعدادهم للتطور . . كانوا يريدون السلطة ، قلت لكم ان هذه (الطبقة) العسكرية السياسية كانت قد وصلت الى حيث اعتبرت نفسها وريث شرعي للثورة او بمعنى ادق وريث للحكم او بمعنى اكثر تحديدا ان الثورة بالنسبة لهم اصبحت هي الحكم والحكم بالنسبة لهم مظاهر ومغانم . . » .

ويقول أحمد حمروش :

« . . كان مركز السلطة الحقيقي في الدولة، في يد دائرة القيادة التي تسلل اليها العسكريون عن طريق المشير وشمس بدران . . » .

ويؤكد هذه الحقيقة الفريق صلاح الحديدي بقوله . .

« . . والعقيد بدران . . كان يعمل مديرا لمكتب القائد العام للقوات المسلحة، المشير عبد الحكيم عامر ، وبعد فترة اصبح من المقربين اليه ، وقد ادى هذا القرب الى تمتعه بسلطات واسعة لا تقل كثيراً عن سلطات المشير نفسه ، لا في القوات المسلحة ، بل في سائر الوزارات ، والقطاع العام . . وكان احد العمد التي ترتكز عليها القرارات الهامة ، المتعلقة بكبار الشخصيات وتعيينهم في وظائف الدولة الكبرى ، عسكرية ومدنية » . .

ويقول . .

« كانت سلطاته (اي شمس بدران) واسعة في الدولة ، وبلا حدود في القوات المسلحة، ولم تكن ثقافته العسكرية او خدمته الميدانية تساعدانه على التدخل في الشئون الفنية للقوات المسلحة ، وما يتعلق بها من تدريب القوات واعدادها للقتال . . او وضع خطط الحرب وتحديد استراتيجيتها » . .

ثم يستطرد . .

« . . هكذا كان شمس بدران في الواقع، هو المتصرف الحقيقي في كافة شئون القوات المسلحة دون رقيب . » .

فاذا ادركنا ان المشير اغرق نفسه في المتعة الشخصية ، وكان معروفا ومتداولا الجو الذي عاش فيه المشير من تدخين واتصال ببعض الفنانات وبزخ يصل الى حد السفه . .

وكثير من التعيينات الكبرى في الاجهزة الادارية والتنفيذية كانت تتم بترشيح من عامر . . اي من شمس بدران . . وكثير من الذين مستهم تحقيقات الرقابة الادارية احتفظوا بمناصبهم مستندين الى قـوة شمس بدران . .

● كيف انعكس هذا كله على ٥ يونيو ؟.

اذا ربطنا الاحداث المتفرقة نصل الى النتائج التالية :

اولا : ان القيادات العليا في الجيش والطيران والبحرية ، كانت تعلم انها غير مرغوب فيها في مواقعها . . وانها تستمد من المشير ـ اي من شمس بدران ـ وجودها . .

ثانيا : ان هذه القيادات ارتكبت اخطاء متكررة اي اصبحت متعمدة عصيان اوامر عبد الناصر . . وكانت الاخطاء مرتبطة بأحداث سياسية .

ثالثاً: استمد المشير بقاءه في منصبه، من ترابط هؤلاء القادة العسكريين .

رابعا : صنعت هذه المجموعة العسكرية حاجزا بين الثورة والجيش وبين الثورة والشعب، بتدخلها في تعيين رؤساء المناصب في الاجهزة الادارية والتنفيذية . .

خامسا : أصبحت هذه المجموعة العسكرية ، وحدة قائمة بـذاتها داخل كيان الثورة . .

سادسا : كانت هذه المجموعة العسكرية تضم اتجاهين . . اتجاه رجعي على علاقة بالمخابرات الاجنبية . . واتجاه متآمر يريد الانفراد بالحكم . .

ويتمثل الاتجاه الرجعي الخائن في الاحداث التالية . .

● ترك الطائرات عرضة للقصف الجوي خلال عدوان ٥٦ . .

● تكرار الاهمال . . بل اهمال متعمد . . فرغم تحذير عبد الناصر من

العدوان ، تركت الطائرات كأنها سيارات تاكسي مصفوفة في الموقف . .
فقضي على سلاح الطيران في ضربة واحدة . .

● انسحاب القيادات من سيناء ، وترك الاسلحة السوفيتية للعدو . .

● مطلب الفريق عبد المحسن مرتجى من اللواء دكروري بعدم تدريس إحتمالات الحرب والخطط العسكرية ضد اسرائيل . .

وارتبط الاتجاهان . . الخونة والمتآمرين . . وظهرت حقيقة اهداف هذا التكتل اليميني خلال المحاكمات . .

● اعلنوا انهم كانوا يهدفون الى اعادة العلاقات مع الولايات المتحدة والتخلص من العلاقة بالاتحاد السوفياتي .

● ظهر انهم خططوا للتخلص من عبد الناصر ، وهو نفس الهدف الذي كانت تعمل له الولايات المتحدة . .

« . . ان اميركا واسرائيل قررتا عام ١٩٦٥ ،ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي، غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه . . وان الوسيلة هي هزيمته في حرب محدودة تفقده ثقة العرب واحترامهم . . ».

هذا ما اعلنه الصحفي الاميركي انتوني بيرس في المجلة الاميركية بيتهاوس . . وهو نفس الهدف الذي عملت لتحقيقه المجموعة العسكرية من الخونة والمتآمرين . .

ولعلنا نتساءل . .

● لماذا لم تعلن حقيقة الخيانة . . وأعلن عن المؤامرة ؟!

لعل « جاك كوبار » يعطينا التفسير . .

« . . في رأس الهرم ، هناك المحظوظون، المتميزون عن غيرهم من

اصحاب الامتيازات (محظوظون بين المحظوظين) بين الضباط الكبار، مما كان سببا في نزاعات كثيرة بينهم وبين عبد الناصر، الذي كان منهمكا في ايجاد مساندة واسعة للنظام كي يستطيع مجابهة أعدائه . . ولكن عبد الناصر لم يعالج أبدا ، قبل سنة ١٩٦٧ ، جرح مصر هذا ، وعندما سيفعل ذلك ، تحت تهديد المؤامرة ، فإنه لن يذهب الى نهاية التغيير الضروري » .

. . وبينا ان عبد الناصر لم يعالج المشكلة قبل ٦٧ لظروف قاهرة ، ربما ادت مواجهتها الى حرب اهلية . .

ولكن المشكلة ان التغيير الضروري لم يذهب الى نهايته بعد النكسة . . بل ظل هناك محظوظون . . ومحظوظون بين المحظوظين ! .

وحانت الفرصة الذهبية ، بعد وفاة عبد الناصر ليحقق هؤلاء المحظوظون ما عجز شمس بدران وجماعته عن تحقيقه . .

. . وافرج عن القادة المنهزمين والفاسدين والخونة . . وترك بعضهم مصر ليستمتع بما جمع من مال بالملذات في اوروبا . . وشارك آخرون في الحكم . .

وكان بديهيا ان يكون تقرير لجنة مجلس شعب المحظوظين، بعيدا عن كشف ابعاد مؤامرة ٦٧ . . فإن المؤامرة كانت تستكمل حلقاتها في ظل المحظوظين الجدد ! .

فلم يكن في ٥ يونيو جيش قد انهزم . . او طبقة هزمت . . بل كانت مؤامرة وخيانة ضد الجيش . . وضد الشعب . .

ولم تكن ٥ يونيو سوى نهاية للمؤامرة او الخيانة التي بدأها اليمين الرجعي والمحظوظون الخونة، ضد انجازات ثورة ٢٣ يوليو . . فمنذ قام الضباط الكبار بتقديم استقالاتهم لارغام عبد الناصر على اعادة المشير الى قيادة الجيش ، كانت بداية الانهيار . .

بدأ شمس بدران في تعيين زملائه من خريجي دفعته في المناصب العسكرية االقيادية ، بجانب الاحتفاظ بالقيادات الرجعية . . وكان هؤلاء بطبيعة ثقافتهم وعقليتهم معادين للتحالف مع الاتحاد السوفياتي . .

فمن ناحية ، كانوا يعرقلون خطط التدريب السوفياتي . . او التدريب على السلاح السوفياتي . . وعمدوا الى المطالبة بتخفيض عدد الخبراء السوفيات منذ عام ١٩٦٤ . . وفعلا تناقصت اعداد الخبراء سنة بعد سنة . . حتى كانت الاشهر الاولى من عام ١٩٦٧، فوقعت في موسكو اتفاقية يخفض بمقتضاها عدد الخبراء السوفيت الى أقل عدد ممكن .

وبعد حرب ٦٧ تبين ان اعدادا هائلة من السلاح السوفياتي كانت في صناديقها لم تفتح ، ولم يرها الجنود او الضباط المصريين .

وما حدث في الجيش تكرر من الناحية الاقتصادية . . فكانت القروض السوفيتية او قروض الدول الاشتراكية ، تظل مجمدة دون الاستفادة منها . . بل كانت المصانع تقام وتظل جامدة . . كما تبين بعد النكسة ان كثيرا من المصانع والآلات من الدول الاشتراكية ظلت في صناديقها . .

وتولى العسكريون المحظوظون مناصب رئيسية في القطاع العام ، مما ادى الى التخريب والعجز بل السرقات والحرائق . . ويروي احمد حروش الواقعة التالية . .

« قامت روز اليوسف بحملة شديدة ضد رئيس مؤسسة التعاون الانتاجي لما شاب تصرفاته من انحرافات مؤكدة . . واثناء مقابلة مع سامي شرف سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات، قال لي انه معجب بهذه الحملة وان عنده معلومات تؤكد صحة كل حرف فيها . . فقلت له متسائلا : لماذا لا تقدمون هذا الشخص للتحقيق والمحاكمة ؟؟ . . وقال سامي شرف

هامسا : هوه احنا نقدر .. ده سانده المشير !! . » .

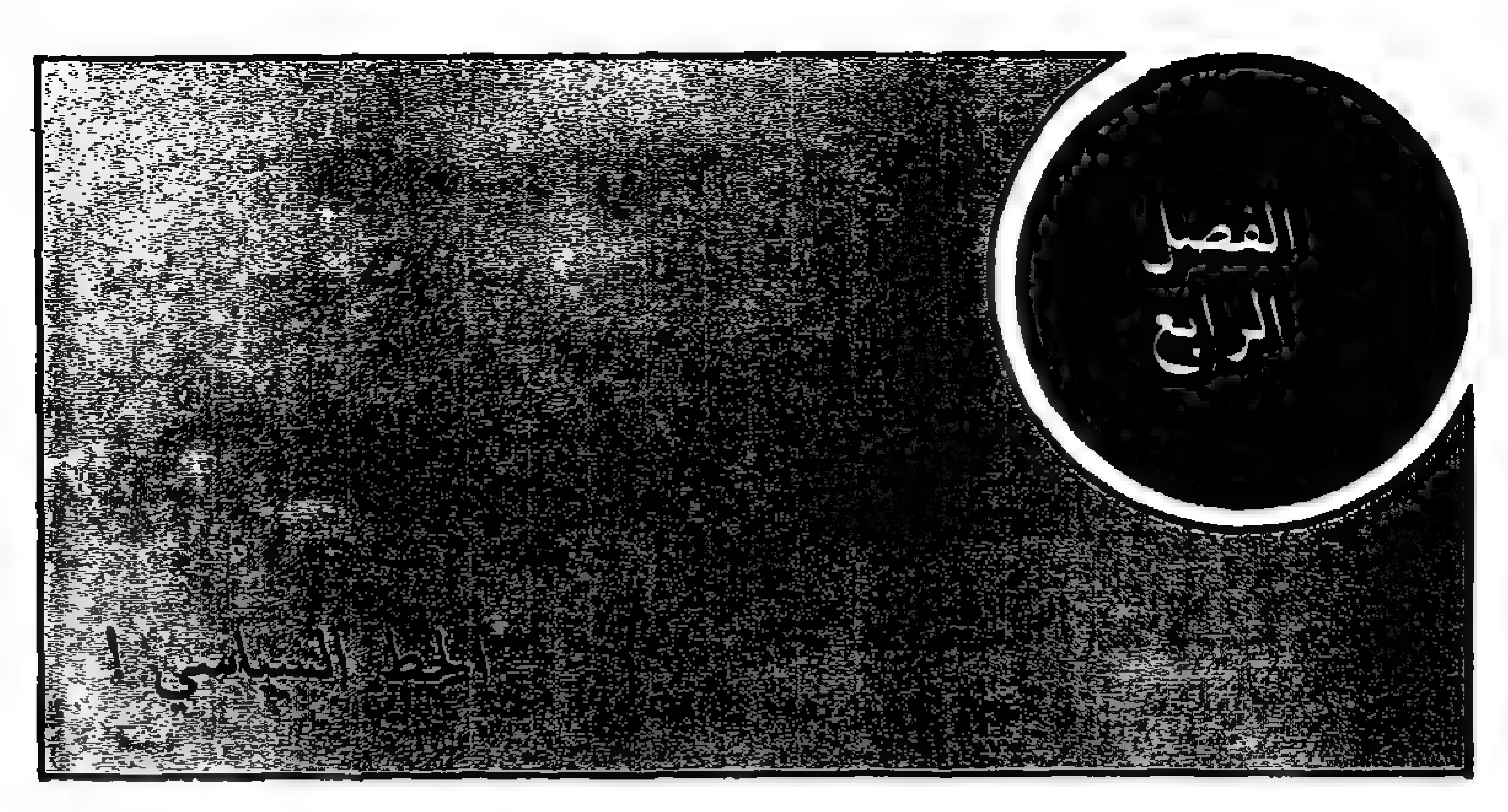
لم يكن التخريب الذي قامت به « عصابة المحظوظين » قاصرا على الجيش ، بل امتد الى القطاع العام .. فكان لهم الرأي في تعيين ومساندة كثير من الرؤساء في مجالس الادارة والمديرين .. ووصل الاستهتار الى تعيين ضابط عسكري ليس له تجربة او خبرة او دراسة في الشئون الطبية ليكون رئيسا لمؤسسة الادوية .. وتعيين صحفي ليس له المام بالنواحي الاقتصادية سواء نظرية او عملية ، رئيسا لمصنع نسيج ! .. وهكذا .. حتى الصحافة والفن وجدوا فيها مجالا لإشباع هوايتهم ! .

.. وزادالطين بلة ان هذه « المجموعة » كانت تخطط سياسيا .. فكانت تعين السفراء .. وعملت على عدم تسييس الجيش .

وبقي نظام ثورة يوليو مثل نظم العالم الثالث التي تندفع من صفوف القوات المسلحة في حركات انقلابية ..

وعلى الرغم من كل الانجازات الشعبية التي تتطلب تنظيم قوى الشعب في احزاب ، ظلت « عصابات المحظوظين » ، متمسكين بنهجهم العسكري الانقلابي .. وتصدوا لكل محاولة في سبيل خلق احزاب تمثل قوة الشعب ، محافظين على مكاسبهم .. متمرغين في عبثهم ..

فلم تكن حرب ٦٧ معركة .. بل كانت مؤامرة .. ومن العبث ان ننسب ما حدث فيها الى الجيش او الشعب ....



طرحت لجنة مجلس الشعب سؤالها الذي لم تجاوب عليه . .

● هل هزم شعب أم هزمت طبقة ، نظرية وخط سياسي ؟

لم يكن الشعب أكثر من « شاهد ما شفش حاجة » كان خارج الاحداث رغم انه تحمل عبئها الاكبر، سواء في تقديم الشهداء الذين تجاوزوا ٢٥ ألفا على رمال سيناء . . او في عملية البناء ودفع عملية التطور . . او في انطلاقه تلقائيا اثناء العدوان الثلاثي . . او يوم ٩ يونيو . . او في قبوله التضحيات بقوت يومه من أجل المعركة . .

. . كانت الهزيمة . . هزيمة عصابة متعاونة مع الاعداء . .

أما الشعب . . فكما قال عبد الناصر بعد النكسة . .

« . . أجاب الشعب بالتصميم . . بالمقاومة ، بالاستعداد لكل التضحيات . . بالصمود . . . » .

فماذا كانت تقصد لجنة مجلس الشعب . . بالنظرية والخط السياسي ؟!!

طرحت السؤال وسكتت . فهل تقصد بالنظرية « ميثاق مايو ١٩٦٢ » . . وهل ارادت ان تحمل « ثورة التحرير » وهي ما أطلقت عليه الخط السياسي ، أسباب النكسة ؟ .

أولا : لم يقل احد بان ثورة ٢٣ يوليو طرحت « نظرية » . . فلم يكن « الميثاق » سوى دليل عمل لمرحلة محددة في تاريخ مصر . . ثانيا : كان الخط السياسي لثورة ٢٣ يوليو هو ما طرحته في الميثاق » . .

فهل أرادت لجنة مجلس « المحظوظين » الجدد ، « ان تحمل الكفاح الوطني من اجل الاستقلال، مسئولية النكسة ؟

وهل ارادت « ان تقول ان الاستسلام للاستعمار والصهيونية هو الطريق الأسلم ! .

ان الحديث عن الخط السياسي او النظرية . . يكشف ان لجنة « المحظوظين » الجدد ليس سوى امتداد لجماعة المحظوظين المتآمرين والخونة الذين قاموا بالنكسة . . ولعل ذلك يكشف لنا لماذا لم تدن اللجنة، القادة المتآمرين بتهمة الخيانة . . بل يكشف لنا لماذا . . وكيف نفذ السادات كل ما طالب به المتآمرون الخونة . . من الغاء الاتحاد الاشتراكي . الى قصم التحالف مع الاتحاد السوفيتي . . الى الارتماء في أحضان الامبريالية الأميركية . .

أعلن عبد الناصر في اول عيد للثورة بعد النكسة . .

« . . الثورة اللي ما قدروش انهم يصلوا اليها طوال ١٥ سنة ، ما قدروش انهم يخضعوها ومقدروش انهم يضعوها داخل مناطق نفوذ . . احتلال سيناء لم يكن الهدف الأصلي للعدوان الاستعماري الصهيوني إنما احتلال الارض هدف جزئي يسعى به الى تحقيق الهدف الاصيل وهو تصفية الثورة العربية . . » .

. . لم يهزم الشعب . . فهل هزم خط سياسي ؟ .

وما هو المقصود بالخط السياسي . . هل هو تحالف قوى الشعب . . ؟ أم

الاتجاه نحو الاشتراكية ؟. ام التحالف مع الاتحاد السوفيتي . .

[تحالف قوى الشعب . .]

عندما اعلن عبد الناصر عن « تحالف قوى الشعب » لم ينطلق من فراغ . او تزلفا للغالبية من الشعب . . بل كان يسقط تحالفا خائنا ليحل مكانه التحالف القادر على حماية الاستقلال . . فأعلن .

« . . ان تحالف الرجعية ورأس المال المستغل يجب ان يسقط . .

« . . ولا بد ان ينفسح المجال بعد ذلك ديموقراطيا للتفاعل الديمقراطي بين قوى الشعب العاملة ، وهي الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية . . » .

كان عبد الناصر يتطلع الى دور هذه القوى الشعبية الهائلة . . هذه القوى التي حاربت الفرنسيين والمماليك بأسلحتها البدائية . . ووقفت وراء أحمد عرابي وحاربت وكادت ان تنتصر . وأشعلت ثورة ١٩١٩ . .

وفي كل مرة كان العدو ينتصر بغير حق . . كانت الطعنات القاتلة تاتي من الخلف . . من الخونة والمستغلين . .

وحدثت نفس الخيانة في معركة ٥ يونيو . . فكما قال عبد الناصر :

« . . إن الرجال من قواتنا المسلحة قاموا بأعمال خارقة ، وقدموا تضحيات لا مثيل لها وحاربوا بدون طيران . . واذا كانت ظروف النكسة لم تسمح لبطولات رجالنا بان تظهر بالقدر الكافي، فانني اعلم علم اليقين ان الكثيرين منهم كتبوا بدمائهم صفحات مشرفة في تاريخ هذا الوطن ولمجد هذا الوطن » .

. . هرب القادة الكبار من ابناء الاقطاعيين والرأسماليين . . وقاوم ابناء الفلاحين والعمال . .

وعندما اعيد تشكيل الجيش ، كان ابناء الفلاحين والعمال هم عصب الجيش . . ضباطا . . وجنودا . . وهم الذين حطموا خرافة تفوق العدو . . ورفعوا العلم المصري فوق خط برليف . .

وعلى اكتاف آلاف العمال والفلاحين اقيم السد العالي . . وشيدت المصانع . . والمزارع الجديدة . .

وقال عبد الناصر . . القول الحق . .

« . . بدون فلاحين وبدون عمال لا تكون هناك ثورة ولا يكون هناك نظام ثوري . وانما الثورة والنظام الثوري كل منهما يفقد مبرر وجوده . . »

إن عظمة الفلاحين والعمال ، تتكشف لنا عندما نذكر انهم كانوا اقل الطبقات حصولا على مكاسب ، وكانوا اكثرها بذلا وتضحية واستشهاداً . .

[الاتجاه الاشتراكي . .]

لم تكن ثورة ٢٣ يوليو ، ثورة اشتراكية . . بل كانت ثورة تحرر بكل ما تحمله هذه الالفاظ من معاني . .

كان الهدف تحقيق الجلاء . . والاستقلال . .

وتأكد من خلال المعارك ان تحقيق الاستقلال لا يمكن ان يتم الا بالتحرر الاقتصادي . .

ففي خلال معركة ١٩٥٦ ، قامت الدول الامبريالية . . انجلترا وفرنسا وامريكا بتجميد الاموال المصرية في البنوك . .

ووصلت « قذارة » الامبريالية الى مستوى منع تصدير الدواء الى مصر . .

وعندما عرض البنك الدولي قرض السد العالي، طالب بالاشراف على ميزانية مصر . .

وبدأت المعركة الاقتصادية من اجل تأكيدالاستقلال السياسي . .

والتصدي لنهب ثروة مصر .. وكما قال عبد الناصر ..

« .. ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر ، وصولا ثوريا الى التقدم ، لم يكن افتراضاقائما على الاستفتاء الاختياري ، وانما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين .. » .

كان استرداد مصر لثروتها من اللصوص الاجانب ، وانتزاع الارض الزراعية من الخونة الاقطاعيين، هو ما اطلق عليه الحل الاشتراكي ..

ربما .. بل بالتاكيد كان هذا احد اسباب عدوان ٦٧ .. فهل كان استعادة الحقوق والثروة التي نهبت في عصور القرصنة الاستعمارية التي جرى فيها سلب ثروات الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون او الاخلاق .. هل كان هذا خطأ ؟

وهل يمكن ان يكون ذلك مبررا لأبناء الاقطاعيين والرأسماليين ان يخونوا وطنهم . وان يتركوا اسلحتهم لليهود .. وان يتخلوا عن جنودهم في سيناء ؟! .

[التحالف مع السوفيت ..]

« .. في اعقاب النكسة اتصل المشير عامر بالسفير السوفيتي وألقى تبعة الهزيمة على الاتحاد السوفيتي ، وكان ينوي طبع خطاب له يوزعه في الخارج ، ولكن بعض اصدقائه نصحوه بالعدول عن ذلك في اللحظة الاخيرة لما يمكن ان يثيره هذا الخطاب من متاعب، في وقت يعيد فيه السوفيت بناء القوات المسلحة .. » .

هذه الكلمات التي جاءت في كتاب الصاغ احمد حمروش ، تؤكد الارتباط

بين اهداف « عصابة المحظوظين » ، وأهداف الصهيونية والامبريـالية الاميركية . .

كان هدف العدوان ايجاد حكومة تفصم العلاقـة بين مصـر والاتحاد السوفيتي ، لتجريد مصر من كل مقومات الدفاع عن نفسها ، لتسقط فريسة في يد الصهيونية والامبريالية الاميركية . .

ولم يكن هذا الاتجاه قاصرا على « عصابة المحظوظين » ، بل كان له امتداده بين مختلف اتجاهات القوى الرجعية المتخلفة . .

كان كمال الدين حسين الصاغ السابق . . ووزير التربية بعد دلك . . قد كتب تقريراً ، يقول فيه ان مفتاح الموقف في يد امريكا وليس في يد الاتحاد السوفيتي ! .

وبعد وفاة عبد الناصر ، كتب اعضاء مجلس قيادة الثورة باستثناء خالد محي الدين ، وشاركهم عدد من الوزراء ، يكررون مطلب كمال الدين حسين . .

ونفذت « عصابة المحظوظين » ، الجدد برئاسة السادات ، مطالب قادة الهزيمة . . وسقطت مصر في يد الصهيونية . . وعاد النهب الاستعماري الى مصر . .

● ما حقيقة موقف السوفيت ؟

يقول احمد حمروش . .

« . . اذا كان المثل العربي يقول (الصديق يعرف وقت الشدة) فقد عرف العرب السوفيت وقت الشدة فوجدوهم اصدقاء يقفون الى جانبهم بلا شبهة تردد » . .

ويقول الفريق صلاح الدين الحريري .

« ان الاتحاد السوفيتي قام بلا شك بتقديم اكبر عون لنا منذ بدء علاقاتنا به ،

وشمل هذا العـون كافةالنواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ولا استطيع ان اتخيل كم يكون موقفنا صعبا لو لم تكن هذه العلاقة موجودة ووثيقة ولا سيما بعد تدمير معظم اسلحتنا الجـويـة في يونيو ١٩٦٧ . . » .

. . والسؤال الذي يتبادر . .

● كيف يكون الاتحاد السوفيتي مسئولا عن النكسة ، وهو الذي طلب من عبد الناصر ان يصمدوا الا يستسلم ، وانهم مستعدون لتعويض مصر مجانا عن جميع الاسلحة التي فقدت في حرب يونيو ؟!.

ولم يقتصر التعاون مع السوفييت على تقديم السلاح فقط . . ولكن امتد الى تقديم المستشارين والخبراء بأعداد وفيرة، بناءعلى طلب عبد الناصر . .

. . واتخذ الاتحاد السوفيتي مع كافة الدول الاشتراكية موقفا مبدئيا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . . وتوافد على مصر عدد كبير من القادة المسئولين في الدول الاشتراكية لتقديم المعونات والمساعدات الاقتصادية التي تخفف من اثر صدمة ٥ يونيو . .

* * *

ان تقرير لجنة مجلس الشعب ، يكشف لنا ان « جماعة المحظوظين » لم يقض عليها بعد النكسة ، بل كانت مختبئة في احشاء النظام ، ولم يظهر من الخونة الا بعض العناصر العسكرية . .

واستغلت هذه « الجماعة » انشغال عبد الناصر بالجيش للإعداد للمعركة ، واتسعت دائرتها وازداد خط المحظوظين . . وجاءتها الفرصة بوفاة الزعيم . . وقفزت الى السلطة لتحقق الاهداف التي لم تتحقق عام ٦٧ . .

واستسلمت بدون قيد او شرط لكل مطالب الصهيونية والامبريالية الاميركية وكان لا بد لها . . لتبرير «الخيانة»، ان تدين الخط السياسي لثورة ٢٣ يوليو . .

والخط السياسي لثورة ٢٣ يوليو ليس سرّاً . . وليس طلسما بل مدوّن في « الميثاق » الذي قدّم في ٢١ مايو ١٩٦٢ . . ثم أكّد عبد الناصر هذا الخط السياسي في كل خطبةَ بعد النكسة أو قبلها . .

فماذا يدان في الخط السياسي ؟

● هل يدان خط الثورة لمغالبة التخلف الذي ارغمت عليه الأمة العربية، كنتيجة طبيعية للقهر والاستغلال ؟

● هل يدان القول بان المحرومين هم وقود الثورة وضحاياها ؟ .

● هل يدان القول بان التقدم عن طريق النهب او التقدم عن طريق السخرة، لم يعد امرا محتملا في ظل القيم الانسانية الجديدة . . ؟

● هل يدان خط يقول ان المصارف يجب ان تكون في اطار الملكية العامة ، فإن المال وظيفة وطنية لا تترك للمضاربة او المغامرة ؟

● هل يدان خط يقول ان عائد العمل يجب الا يعود الى قلة من الناس يفيض لديها المال لدرجة ان تبدده في الوان من الترف الاستهلاكي يتحدى حرمان المجموع ؟

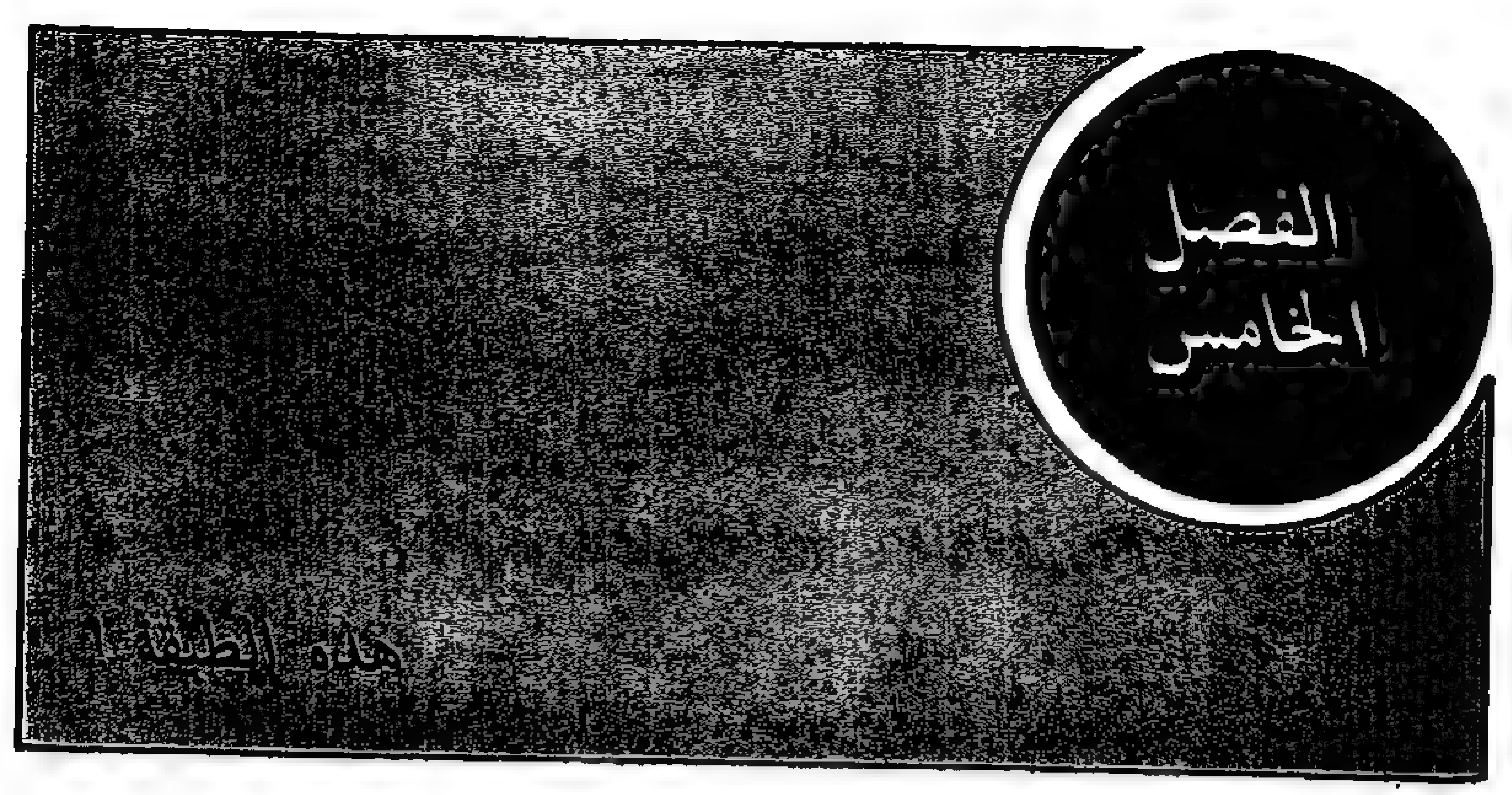
● هل تدان سياسة التصنيع الثقيل . . والرغبة في الامتداد الرأسي والافقي في الزراعة . ؟

● هل تدان فكرة الوحدة العربية ؟

● هل يدان القول بان الاستعمار الذي ما زال متمسكا في أهدافه، غيّر اسلوبه ؟ .

هذه بعض الخطوط العامة التي جاء بها الميثاق . .

اما ما جاء من خلال النضال والقتال . . واكدته الخطب السياسية . . فهو اننا كنا ـ وما زلنا نواجه الرغبة الصهيونية والاميركية في غزو بلادنا واعادة النهب الاستعماري والصهيوني . . وتحويل مصر الى قاعدة عسكرية اميركية لحماية ما يقال عنه « المصالح الاميركية » . . وهو في الحقيقة حماية النهب الذي تمارسه الشركات الامبريالية في الوطن العربي .



أثار تقرير لجنة « مجلس المحظوظين » . . مسألة الطبقة الحاكمة ؟!

فأي الطبقات كانت تحكم ؟!

شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية خروج الامبراطوريتين القديمتين . . الانجليزية والفرنسية ضعيفتين منهكتين عسكرياً وإقتصادياً رغم الانتصار على النازية . . وبدأت أنظمة الحكم التابعة تهتز وتنهار . .

وفي مصر كان نظام الحكم القائم على تحالف الاقطاع والرأسمالية ينهار . . وأخذت الأجهزة المختلفة تتهاوى . . اضرابات الجامعات والعمال . . اضراب الممرضات والممرضين . اضراب البوليس ، . . ثورة الغضب في الجيش نتيجة حرب ٤٨ . .

ومن الجانب الآخر ، كانت رائحة الفساد تتضخم وتنتشر ، وخرجت اسرار القصور الى الشارع . . وعرف الشعب ان الملك رأس النظام ، بتواطؤ مع بطانته على الشعب ، وظهرت فضيحة الاسلحة الفاسدة . . وتبادل الملك مع وزرائه الرشاوى والسطو على الأرض الزراعية . .

ثم كانت الفضيحة الكبرى عندما خرجت سيدة مصر الاولى الملكة نازلي عن وقار الحكم ، وعبثت بالقيم والاخلاق . . وانتشرت فضائح الاسرة

الحاكمة . . وفضائح القيادات السياسية . .

كان ذلك دليلا على انتهاء دور الطبقات المتحالفة مع الاستعمار القديم . . ويدأ الاستعمار الجديد يبحث عن اداة ليملأ « الفراغ » (مشروع ايزنهاور) . .

لم تكن هناك طبقة تحل محل الطبقات المنهارة . . فالرأسمالية الوطنية عاجزة عن فهم المرحلة . . والطريق امامها مسدود . . والطبقة العاملة فقدت قيادتها منذ عام ١٩٢٥ . .

لم يكن هناك سوى « البرجوازية الصغيرة » . .

وهنا لا بد ان نقف وقفة طويلة . . ولا بد من الاجابة على اسئلة رئيسية . .

- ما هي البرجوازية الصغيرة . . وممن تتكون ؟
- ما هي الظروف التي دفعتها الى المقدمة ؟
- ما هي الايديولوجية او الفكر الذي يحكم تصرفاتها ؟ .

● ● ●

البرجوازية الصغيرة هي تلك الطبقة التي ينتمي اليها الفلاحون الزارعون في أرضهم ، وأرباب الصناعات اليدوية وفئة صغار المثقفين ، كالطلاب ومعلمي المدارس الابتدائية والثانوية وصغار الموظفين الحكوميين والكتبة وصغار المحامين وصغار التجار . .

وعندما نعود بالذاكرة الى ثورة ١٩١٩ ، نجد ان اول محرك لها ، كان طلبة المدارس . . ثم انتشرت لتضم الى قواها . . العمال والفلاحين . . فخرج العمال في اضرابات متلاحقة يواجهون رصاص الانجليز . . كما قام الفلاحون ببطولات رائعة ضد قوات الاحتلال . .

ولكن القيادة التي تصدت في مقدمة الموجة الثورية ، تشكلت من أحزاب الاقطاع والرأسمالية المتعاونة مع الاستعمار .. وعناصر من الطبقة الوسطى ..

وصدق « الميثاق » عندما قال في تحليله لثورة ١٩١٩ ..

« ان المحرومين كانوا هم وقود الثورة وضحاياها .. »

« .. اغفلت القيادات الجوانب الاجتماعية »..

« .. ان الاستعمار اعطى من الاستقلال اسمه وسلبه مضمونه .. »

وصلت ثورة ١٩١٩ الى هذه النتائج نتيجة الذعر الذي بثه الاستعمار .. واتهامه « قادة الثورة » بالبلشفية .. فقامت هذه القيادة بالتهاون مع الاستعمار .. وعملت على تهدئة الطلبة والفلاحين .. وضربت الحركة العمالية بعنف .. وبذلك فقدت قيادة الثورة القاعدة العريضة التي اطلقتها ..

● فماذا كان موقف « البرجوازية الصغيرة » ؟

اذا رجعنا الى التفسير العلمي لهذه الطبقة، نجد انها تنقسم الى ثلاث جماعات، رغم ان فئاتها المختلفة تعيش في مركز اقتصادي واحد هو مركز البرجوازية الصغيرة ..

١ ـ الجماعة الاولى تتألف من الذين يملكون او يجدون من ثمار عملهم الجسماني والذهني، فائضاً سنوياً فوق ما ينفقون على معيشتهم .. وهؤلاء شديدو اللهفة الى الثراء ، يتطلعون دائما الى الارتقاء الى منزلة البرجوازية الوسطى ويتخوفون من الثورة بعض الخوف .. ولما كان مركزهم الاقتصادي قريبا جدا من مركز البرجوازية الوسطى ، فهم يميلون كثيرا الى تصديق دعاياتها ويقفون موقف التشكك من الثورة .. وهذه الجماعة قليلة العدد بين

البرجوازية الصغيرة ، وتشكل الجناح اليميني منها .

٢ ـ الجماعة الثانية تتألف من اولئك الذين يكفون انفسهم اقتصاديا على العموم ، وهم يختلفون عن المجموعة الاولى ، اذ انهم لا يملكون الفائض الذي يفتح امامهم طريق الثراء . . وفي نهاية المرحلة من ١٩١٩الى ١٩٥٢ ، وجدوا انهم لا يستطيعون ان يكسبوا ما يكفي معيشتهم . . وعليهم ان يزيدوا ساعات العمل ، فيبذلون وقتا مضاعفا للحفاظ على مستوى اسرهم . .

٣ـ اما الجماعة الثالثة فتتألف من الذين نزل مستوى معيشتهم . واغلب الظن ان كثيرا من هذه الجماعة ينتسبون الى اسر كانت ميسورة الحال ثم ساءت حالهم تدريجيا بحيث لا يستطيعون الحفاظ على مستوى معيشتهم ، ثم ازدادت الحال سوءا فهبطوا الى مستوى متدني من المعيشة . .

كان هذا هو حال « البرجوازيةالصغيرة » التي خرج من بينها المثقفون الجدد الذين أخذوا يبشرون بالتغييرات التي طرأت على العالم، في أعقاب الحرب العالمية الثانية . .

ولعل « نجيب محفوظ » اصدق من عبر عن الظروف الاجتماعية لهذه الطبقة . . واحوالها . . فكشف يأسها ومأساتها في رواياته « القاهرة ٣٠ » ، « زقاق المدق » . . ثم عبر عن آمالها في «الثلاثية» .

ـ ٢ ـ

على أثر معاهدة ١٩٣٦ ، فتحت الكلية الحربية ابوابها لابناء « البرجوازية الصغيرة » بعد ان كانت قاصرة على أبناء « المحظوظين » . . وانتقلت مشاكل الطبقة الاقتصادية والاجتماعية الى صفوف القوات المسلحة . .

وعلى أثر عجز الاقطاع والرأسمالية العميلة عن الحكم . . لم تكن هناك

قوى منظمة لتولي السلطة .. كانت هناك احزاب او تنظيمات ضعيفة من ابناء البرجوازية الصغيرة، تحمل الفكر الجديد وتبشر به .. ولكنها كانت اعجز من الاستيلاء على السلطة ..

فقام الجيش، الذي كان ما زال يملك التنظيم والقوة، بالثورة.. او الاستيلاء على الحكم.. وانعكست افكار البرجوازية الصغيرة على هؤلاء العسكريين .. فهم من ناحية، ابناء الطبقة .. ومن ناحية ثانية كانوا يتطلعون الى تأكيد سلطتهم بتبني الافكار الجديدة .. وادراك ما حدث في العالم من تغييرات ..

كان امام الطليعة العسكرية التي تصدت لقيادة الثورة .. احد طريقين :

الاول : طريق الانقلابات العسكرية التي تتصدى للجماهير، مرتكزة على اسس النظام القديم ..

الثاني : الارتباط بالشعب وتلبية مطالبه والتجاوب مع تطلعاته.. ولم تحسم الثورة الاختيار .. وظل الاتجاهان في صراع داخل مجلس قيادة الثورة .. وان كان صاحب القرار (عبد الناصر) قد انحاز الى جانب الشعب ..

ولم يكن الصراع بين الاتجاهين قاصرا على الحوار داخل مجلس قيادة الثورة ، بل انتقل الى الشعب ..

فبينما اتخذ الاتجاه الاول ، ارادة الثورة لدى الشعب دليلا له .. وحقق الانجازات الضخمة في الصناعة والزراعة.. وقام بالاصلاحات الاجتماعية .. وخطا الخطوات الاولى نحو الاشتراكية ..

ـ كان الاتجاه الثاني يمارس الارهاب ضد الشعب ويعمل على تعطيل وعرقلة القرارات التي تصدر من الاتجاه الاول ..

ولم يكن ذلك غريبا من ابناء طبقة البرجوازية الصغيرة ، التي تتميز بصفات معينة :

أولا : التردد بين اليمين واليسار نتيجة انقسامها الى جماعات مختلفة في الوضع الاجتماعي والاقتصادي ،رغم انتمائها الى طبقة واحدة .

ثانيا : التطلعات الطبقية . . والرغبة في الوصول الى منزلة البرجوازية الوسطى . .

ثالثا : تحقيق الشهوات المكبوتة وراء التطلعات الطبقية . .

رابعا : الفردية في اتخاذ القرارات ، فكما نشاهد في تحليل هذه الطبقة ، فإن اغلب ابنائها لا يربطهم عمل واحد ولا يجمعهم مكان واحد للعمل . فهم فرديون في تصرفاتهم وسلوكهم . .

خامسا : ان هذه الطبقة لا تنتج ولا تملك ، وسائل الانتاج ،، . . وليس لها دور في عملية البناء الاقتصادي ، ولهذا تجد نفسها ضعيفة في الحكم فتستمد القوة من الارهاب والبطش.

- ٣ -

إنعكست صفات « البرجوازية الصغيرة » على قيادة ثورة ٢٣ يوليو . . وأثرت في تصرفاتها وسلوكها . . وكان لها ايجابياتها التي تمثلت في اتجاهات جناحها اليساري ومحاولته خلق تحالف مع الفلاحين والعمال . . والانجازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . . واتجاهاته في السياسة الخارجية . . سواء في مقاومة الأحلاف والتصدي للاستعمار او انتهاجه سياسة عدم الانحياز . . واتجاهه نحو الاشتراكية . .

وكانت لها سلبياتها التي تمثلت في جناحها اليميني الذي ارتمى في أحضان الرجعية القديمة دون ان يحذر خيانتها . . وهيأت الرجعية لهذا الجناح وسائل العيش الرغد . . فبدأت بعض عناصر القيادة تهجر طبقتها وتنعزل حتى عن بيئتها وأهلها . . واقتنوا القصور في ضواحي القاهرة ، وانتقلوا من الريف ومن الحواري ليسكنوا الاحياء التي كانت قاصرة على الاجانب والاقطاعيين . .

بل وصل الامر الى ان بعضهم هجر زوجاته ، ليقتني زوجة جديدة تلائم الحالة التي انتقل اليها ! .

وكما قيل فإن هذا الجناح يميل الى تصديق دعايات الرجعية ، ويقف موقف التشكيك من الثورة . .

وقام زكريا محي الدين، متأثراً بالقيسوني، يطالب بمراجعة الخط السياسي والاقتصادي للثورة بعد مؤامرة ٥ يونيو ، وكان الصحفي هيكل يتولى الدعاية لهذا الخط الرجعي . . ونشرت « صحيفة الاهرام » سلسلة من المقالات بعنوان « نظرات حول الاصلاح الاقتصادي والمالي » . . كما ظهرت مقالات هيكل تطالب بتحييد الولايات المتحدة . . ويحذر من امتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية . . ويؤكد على عدم جدوى مناطحة « الثور للجبل » ، وكان يقصد بالجبل ، الولايات المتحدة ! .

وعلى الرغم من ان هذا الجناح هو الذي عرقل نمو القطاع العام ، بتعيين « اهل الولاء » فحدثت السرقات والحرائق والنهب المفضوح ، الا ان قادة هذا الجناح بدأوا هجومهم المكشوف وتحدثوا عن العيوب في مجال التخطيط ونشاط الجهاز الاداري ! .

لقد حصل هذا الجناح على ما يريد من مكاسب ومن ثراء ، واصبح رصيدا

للقوى الرجعية الخائنة . .

كان افراد هذا الجناح موزعين في ثلاثة اتجاهات :

المجموعة المتآمرة التي ارادت ان تستولي على السلطة ، ومهدت للخونة تنفيذ مؤامراتهم في ٥ يونيو ، وكان محور نشاطها داخل الجيش .

المجموعة المتربصة داخل جهاز الحكم . . سواء في الأعلام ،أو الاقتصاد.

المجموعة التي انفصلت عن الثورة بعد أن وقفت موقف التشكيك من الثورة . .

وظهرت حقيقة موقفهم بعد وفاة عبد الناصر ، فكتبوا الى السادات يحذرون من الاتحاد السوفياتي ويطالبون بمراجعة استراتيجية العمل الوطني . . وكان من بينهم اعضاء في مجلس قيادة الثورة ، ووزراء سابقون في حكومات الثورة ، وقادة عسكريون . .

وظلت المجموعة ، المتربصة داخل جهاز الحكم ساكنة ، تنفذ ما تريد كلما اتيحت لها الفرصة ، وتتحرك في صمت . .

وجاءت وفاة عبد الناصر ، لتعطي لها الفرصة ، وتعلن عن اهدافها صراحة . .

ففي ١٨ يوليو ١٩٧٢ عقدت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي اجتماعاً ،وفوجئت بالرئيس السادات يعلن إنهاء مهمة الخبراء والمستشارين العسكريين السوفيات . . وكان ذلك من اوائل مطالب الامبريالية الاميركية . .

وبدأت سياسة الاستسلام ، لمطالب البنك الدولي والرأسمالية العالمية ، وتم توقيع اتفاقية « كامب ديفيد » لتفتح الابواب امام الغزو الصهيوني . . وتحققت أهداف « النكسة » التي فشلت القوى الاستعمارية لتحقيقها بالعنف

العسكري والخيانة العسكرية . . وتم تنفيذها بالتآمر والخيانة السياسية . .

- ٤ -

● فهل هزمت طبقة . . ام هزم خط سياسي ؟

لم يهزم الخط السياسي ، بل أكّدت أحداث ٥ يونيو أن هذا الخط السياسي هو الطريق الوحيد لتحقيق أهداف التحرر الوطني . .

وهبّ العمال والفلاحون رغم فقدانهم الى تنظيم ، برفض « الاستسلام » ، وطالبوا ببقاء القائد . . وتجاوبت مع جماهير مصر . . جماهير الوطن العربي ، وانطلقوا كأنهم على موعد ،واجتاحت المظاهرات كل العواصم العربية . . هاتفة « ناصر . . ناصر » بينما كانت الصهيونية ومجلس الامن القومي الاميركي تترقب زوال ناصر . .

كان الانذار السوفياتي حاسما في وقف الغزو الاميركي الصهيوني ، وبادر الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية بمد مصر بكل ما تحتاجه من سلاح بعد أن سلم المتآمرون والخونة ٨٠٪ من سلاح مصر الى العدو .

كما هبت الدول الاشتراكية بمساندة مصر اقتصاديا بعد أن عمدت طغمة او « عصابة » شمس بدران » على تخريب اقتصاد مصر، تمهيدا للمؤامرة . .

وأعلنت دول العالم الثالث كلها تأييد مصر ومساندتها ضد العدوان ، ولأول مرة قطعت اكثر من ٣٠ دولة افريقية ، وكذلك الدول الاشتراكية علاقاتها بالدولة الصهيونية . .

وكانت حرب اكتوبر دليلا وتأكيداً لسلامة الخط السياسي . . وتأكد فاعلية السلاح السوفياتي عندما امسكت به أيدي وطنية . . كما تأكد دور القطاع العام ، باعتراف القادة العسكريين - في مساندة القوات العسكرية في المعركة . .

ويكفي انه عندما تغير الخط السياسي، بدأت ازمات مصر . . وبدأ غزو الرأسمالية الصهيونية والعالمية ، وبدأ الشعب المصري في الهجرة خارج مصر، يبحث عن قوته . . ودخلت مصر دورة ازمات العالم الرأسمالي . . من بطالة وارتفاع الاسعار . . ونهب وسلب لثروات الشعب الفقير . .

وكشف الجناح اليميني من البرجوازية الصغيرة عن خيانته بارتمائه في احضان الاستعمار ، واستسلم للرجعية . . وباع استقلال مصر مقابل حفنة دولارات .

ان طبقة البرجوازية الصغيرة لم تهزم . . فإن غالبية الطبقة انحدرت ، في ظل سياسة السادات الى مستوى الفاقة، واصبحت رصيدا للعمال والفلاحين . . بعد ان تدرك اخطاءها وتتخلص من عيوبها . . وتدرك انه بدون تنظيم للعمال والفلاحين فلن يتحقق الاستقلال . .

وكما قال محمد فريد منذ ٧٠ عاما . .

« ان العمال قوة هائلة تهتز لها الحكومات وتطأطىء رأسها أمامها. . ».

الباب الثالث

تقرير اللجنة الخاصة بالتحقيق في أسباب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧

قرر المجلس بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٠ يونيو سنة ١٩٧٧ ـ بناء على طلب موقع عليه من اكثر من عشرين عضوا ـ تشكيل لجنة خاصة للتحقيق في اسباب هزيمة يونية سنة ١٩٦٧ ، على ان تتولى رئاسة المجلس تشكيلها . وفي جلسة المجلس المنعقدة بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٧٧، تمّ اخطار المجلس بتشكيل هذه اللجنة من السادة : محمد حمدي عاشور (مقررا) مصطفى كامل مراد ، خالد محيي الدين ، الدكتور محمد حلمي مراد ، عمر عز الدين أبو ستيت ، مشهور احمد مشهور ، فوزي العمدة ، كمال هنري أبادير ، صلاح توفيق ، جمال الدين ربيع .

وقد عقدت اللجنة لذلك عدة اجتماعات، كان أولها بتاريخ ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٧٧ ، أوضح فيه السيد المقرر أن عمل لجنة التحقيق في أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧، عمل قومي بقدر ما هو مسؤولية وطنية ، وأن عمل هذه اللجنة شهادة سنسأل عنها أمام الله وأمام الوطن وأمام ضمائرنا، وانتهت اللجنة فيه الى وضع خطة عملها ، وتم تشكيل ثلاث لجان فرعية :

اللجنة الاولى ـ اللجنة السياسية ، واختير السيد العضو الدكتور محمد حلمي مراد مقررا لها .

اللجنة الثانية ـ اللجنة العسكرية ، وأختير السبد العضو كمال هنري أبادير مقررا لها .

اللجنة الثالثة ـ لجنة التنسيق والاتصالات ، واختير السيد العضو محمد حمدي عاشور مقررا لها .

على أن تقوم كل لجنة بدراسة وبحث الجانب المتعلق بها، وتعد تقريرا عنه يعرض على اللجنة العامة، ثم عقدت اللجنة اجتماعات اخرى بتاريخ ١٩,١ من ديسمبر ١٩٧٧ ، ٩ من فبراير ، ٣٠ من مارس ، ٩ ، ٣٠ من ابريل ، ١٣ من مايو ١٩٧٨ تناولت فيها اللجنة أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ بالبحث والدراسة والتحليل، حضرها من السادة الاعضاء من تيسر لهم الحضور وبادىء ذي بدء ، تود اللجنة ان توضح انها في سبيل الوصول الى الاسباب الحقيقية لهزيمة يونيو سنة ١٩٦٧، لم تعتمد على الكتب والكتابات التي تغمر السوق والمقالات في الصحف المجلات ، وهي جميعا لا تعدو أن تكون دفاعا شخصيا عن بعض المسؤولين في فترة هذه الهزيمة أو مجرد رأي يعتمد على الجهد الفردي ولا يقع بعيدا عن المؤثرات الشخصية، بل اعتمدت اللجنة على استخلاص الحقائق والمعلومات من مصادرها الحية ومن مصادر متعددة موثوق بها ، وذلك باستعانة اللجنة في عملها، باللجنة العسكرية المنبثقة من لجنة تاريخ الثورة يوليو ١٩٥٢ التي سبق لها ان استمعت وسجلت اقوال ٨٣ ضابطا ممن شاركوا في حرب يونيو ١٩٦٧، الأمر الذي اتاح للجنة، المقارنة والمطابقة واستجلاء الحقائق، ومما لا شك فيه ان قيام اللجنة العسكرية بعملها كأمانة فنية للجنة البرلمانية، يحقق الوصول الى حقائق معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ واسباب النكسة ، فمصادر المعلومات التي لديها كانت بين وثائق ، وهي المصادر الأصلية في البحث ، او اقوال مأخوذة من شهادة الشهود ، او استيضاح معلومات تخضع للنقد والتحليل وتحاول التثبت من صحتها بالرجوع الى اكثر من مصدر . وفضلا عن هذا، استعانت اللجنة بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة

الأهرام ، نظراً لما يتوافر فيه من خبرات علمية متخصصة ولما يصدره من بحوث عامة .

وجدير بالاشارة الى ان استعانة اللجنة بمركز علمي كمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ،تقليد برلماني عريق ينبغي الالتجاء اليه أسوة بما هو متبع في برلمانات العالم جميعا وخصوصا في الكونجرس الأميركي ، واستعانته بالخبراء العلميين ، ولا شك ان وضع خبرة الباحثين العلميين وصياغتها في تقارير توضع تحت بصر اعضاء المجلس ،يتيح لمناقشاتهم ان تدور على أساس علمي متين ، وقد أعد مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام تقريرا شخصيا لمجلس الشعب ،بينما يقوم حاليا بدراسة علمية واسعة المدى عن حرب يونيو ١٩٦٧ من وجهة النظر السياسية والعسكرية .

وتؤكد اللجنة انها وهي تتعرض لفترة من فترات تاريخ الشعب المصري ، ان ذلك لا يستهدف فترة زمنية من تاريخنا ، ولكنه يستهدف حماية هذه الفترة مما كتبه الكاتبون واجتهد فيه المجتهدون ، وليعرف الشعب هذه الفترة من تاريخه بكل ما فيها من ايجابيات او سلبيات ، ومن ثم فلا بد ان تتعرض اللجنة للمناخ ، الذي وقعت فيه احداث يونيو ١٩٦٧ ، وهذا يعني ان تتعرض اللجنة للظروف السياسية والعسكرية التي واكبت في ذلك ، بالحقائق التي تؤيدها المستندات .

واللجنة وهي تعرض الحقائق التي وصلت اليها ، لا تبغي دفاعا عن احد او التشهير بأحد ، ولا تهدف من وراء ذلك الى اصدار قرارات أو توصيات ، وانما تعرضت بالبحث والدراسة لهذه الفترة التاريخية للوصول الى الحقيقة والحق وحدها ، باعتبارهما دروسا وعبرا لشعبنا وايضا لاستجلاء المآخذ والنقائض التي يجب ان نعالجها حتى لا نقع في المحظور مرة اخرى .

ان مهمة هذه اللجنة محددة تحديدا تاما في القرار الذي اصدره المجلس بتشكيل هذه اللجنة، وهو التحقيق في اسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

وكم كانت اللجنة تأمل ان يكون مدخلها لدراسة هذا الموضوع استعراضها لمعركة ١٩٥٦ تفصيليا ، ولكنها راعت مهمتها الأصلية، وهو التحقيق في أسباب هزيمة يونيه ١٩٦٧ فقط .

واللجنة بعد ان استعرضت الوثائق والمعلومات والبيانات التي توافرت لها ، وبعد ان تناولتها بالدراسة والتحليل، وجدت انه من الواجب عليها الا تبدي رأيا فيها ، وانما تقدم هذه الحقائق للمجلس ليقول رأيه فيها ، حتى لا تنحاز لأي رأي ، ومن ثم فان اللجنة تتشرف بعرض تقريرها الذي يتضمن تلك الحقائق عن أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ من جانبين :

أولا • الجانب السياسي .

ثانيا : الجانب العسكري .

وقد رأت اللجنة لكي تتناول كل جانب منها على حدة، أن تستعرض الأهمية القومية والعلمية لدراسة هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

* * *

الأهمية القومية والعلمية لدراسة هزيمة يونيو ١٩٦٧ :

ليس هناك من شك في أن الدراسة التحليلية والموضوعية لهزيمة حرب يونيو ١٩٦٧ تمثل اهمية بالغة من وجهة النظر القومية والعلمية ، ذلك انه ترتب

عليها من وجهة النظر القومية آثار بالغة الخطورة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، حتى لقد بدأت عقب الحرب مباشرة ، ما اطلق عليه بعض الكتاب العرب معركة تفسير الهزيمة ، وهي معركة نظرية وسياسية في آن واحد ، طرحت في ثناياها تساؤلات شتى ، فيما يلي امثلة بارزة لها :

هل اشتراكية بعض الانظمة هي المسؤولة عن الهزيمة ؟

هل غياب التكنولوجيا لدى العرب هو المسؤول عن الهزيمة؟

هل اصرار شعب فلسطين على التعجيل بالتحرير هو المسؤول عن الهزيمة ؟

هل وجود الاحزاب هو المسؤول ؟ .

ومن الذي هزم ؟

- هل هزمت أمة ام مجرد نظرية وخط سياسي ؟
- هل هزم العرب أو هزم بعض العرب وانتصر « عرب » آخرون ؟
- هل هزمت سلبيات العرب ام ايجابياتهم ؟

ان هذه التساؤلات المتعددة تلخص بشكل ممتاز القضايا الرئيسية التي اثيرت فيما اطلق عليه بحق معركة النقد الذاتي بعد الهزيمة .

هذه القضايا التي تكشف عن النظريات المتعددة التي قيل بها لتفسير الهزيمة . . غير أن النظرية التي حاولت ان ترجع الهزيمة للتجربة الاشتراكية التي طبقتها مصر ، تبنتها الجماعات السياسية التقليدية التي حاربت الاشتراكية ووجدت في الهزيمة فرصتها للتشفي من كل ما دار على أرض مصر من انجازات اجتماعية . اما نظرية الهوة التكنولوجية التي روجت لها الدعاية الإسرائيلية ، فهي تمثل المخطط الاسرائيلي لتشويه صورة العرب امام الرأي

العام العالمي، باعتبارهم شعباً بدائياً متخلفاً .

وللأسف الشديد تبنت بعض الاقلام العربية ـ بحسن نية ـ هذه الحجة وركزت عليها. . غير آن هذا الزعم تكفلت به حرب اكتوبر المجيدة بتبديده ، لأنه لو كانت هناك حقاً هوّة تكنولوجية بيننا وبين الاسرائيليين، لما استطعنا ان نسدها في ست سنوات بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣ .

تأتي بعد ذلك نظرية العلاقات العامة التي زعمت أن ضعف الدعاية العربية في اوساط الرأي العام الغربي هي المسؤولة عن الهزيمة. ولا يخفي تفاهة هذه النظرية التي تحسب ان موازين الهزيمة والنصر تخضع لبلاغة الخطباء لشرح «الحقوق» العربية، متجاهلة ان حقاً لا تسانده القوة الرادعة، لا يمكن له ان يحيا في عالم اليوم الذي يموج بالصراعات.

ثم تبرز نظرية اخرى تتهم الفلسطينيين بانهم ـ في تعجلهم لتحرير أراضيهم ـ دفعوا انظمة دول المواجهة دفعا الى الحرب . وهذه النظرية الساذجة تكشف عن تجاهل متعمد للاسباب السياسية والعسكرية الحقيقية التي ادت الى الهزيمة .

وتظهر اخطر هذه النظريات قاطبة ، وهي ان الهزيمة هي هزيمة للشعب العربي نفسه ، وليست مجردهزيمة لقائد او لطبقة سياسية فشلت في التعبئة الصحيحة لجماهير الشعب من ناحية واستخفت في الإعداد العسكري الصحيح للحرب من ناحية أخرى ، لأنه لو كانت هناك حقاً هوّة تكنولوجية بيننا وبين الإسرائيليين لما استطعنا أن نسدها في ست سنوات بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣ .

وقد روجت اسرائيل لهذه النظرية في العالم الغربي ، حتى انتهى بها الامر الى ان صدقت نفسها ! فقد عاشت سنين تلوك اسطورة الضعف الحضاري

للشعب العربي ، وعقمه وعجزه السياسي والعسكري ، الى ان تنبهت على قصف المدافع في اكتوبر ، التي بددت هذه الاسطورة الى الأبد .

إن الأهمية القومية لدراسة حرب يونيو ١٩٦٧ مسألة لا تخفى على أحد، ذلك ان هذه الدراسة يمكن ان تكشف بحق عن جوانب الخلل السياسية والعسكرية التي سبقت وصاحبت هذه الحرب .. مما يلقي بالضوء على اسباب ما حدث .

اما من الناحية العلمية البحتة ، فهناك تساؤلات متعددة اثارها علماء السياسة حول هذه الحرب ، وحاولوا الاجابة عليها في دراسات متعددة ، غير انه من الغريب أن العلماء السياسيين المصريين لم ينصدوا لدراسة السلوك السياسي في هذه الحرب ،أو بمعنى أدق، عملية صنع القرار في حرب ١٩٦٧ من جانب القيادة السياسية المصرية .

لكل ذلك تصدى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، لهذا الموضوع ، بحيث يعد بحثا متكاملا عنه ، سينشر هذا العام ـ ان شاء الله ـ ومن أبرز التساؤلات التي يحاول هذا البحث الاجابة عليها ما يأتي :

« كيف نفهم ازمة ١٩٦٧ » ؟

ـ لماذا سلكت السياسة الخارجية المصرية وصانع القرار المصري الطريق الذي اتبعه ؟

ـ ما هي تصورات صانع القرار للوضع الدولي وللوضع الاقليمي والعربي ؟

ـ ما هو دور كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في ايجاد الازمة او تصعيدها ؟

ـ هل هي في التحليل الاخير خطأ في تصور القيادة المصرية للموقف ؟ ام انها مؤامرة ؟

- ما هي طبيعة القرار المصري فيما يتعلق بوجود قوات الطوارىء الدولية والتحول من طلب اعادة تحريك القوات الى طلب الانسحاب الكامل لها ؟

- كيف تم هذا التحول وبواسطة من ؟ وهل تمت دراسة للنتائج السياسية والعسكرية المترتبة عليه ، ام لا ؟

هذه مجرد امثلة من التساؤلات التي يثيرها هذا البحث والتي يرجو باحثو المركز ان يجيبوا عليها من خلال دراسة شاملة للأزمة وتصاعدها .

اولا - في اسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ (الجانب السياسي) :

تثير ازمة عام ١٩٦٧ وما انتهت اليه من آثار ونتائج، عدداً من الاسئلة الهامة ، المتعلقة بالسياسة الخارجية المصرية وكيفية صنع القرار السياسي خلال هذه الفترة ، وما هي الاعتبارات التي ادت بالقيادة المصرية الى اتخاذ مجموعة القرارات التي قادت الى عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ويواجه الباحث في هذا الموضوع عددا من الصعوبات، من ابرزها تضارب المعلومات وتناقضها حول وقائع هذه الفترة ، ويظهر في هذا المجال رأيان :

اولهما : يعتبر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر المسئول الاول باعتباره رئيس الجمهورية الذي اتخذ القرارات السياسية التي ادت الى ما حدث ، ويعتبر الجيش ضحية القيادة السياسية وقراراتها .

ثانيهما : يبرىء رئيس الجمهورية من اية مسؤولية ويلقي بها كاملة على عاتق قيادة الجيش ،وفي هذا الاطار ، طرحت عشرات الاسئلة التي توجد لها اجابات متعددة مثل : هل وجدت خطة هجومية مصرية ام لا . . واذا وجدت هل كان الجيش مؤهلا لتنفيذها ؟ ماذا يحدث لو كانت مصر قد اخذت المبادرة وضربت الضربة الاولى . . .

وهل كانت نتائج المعركة ستتغير من جراء ذلك ؟
هل كان لديها المعلومات والخطط التي تكفل لها القيام بالضربة الاولى ؟

واذا كان رئيس الجمهورية قد اخبر قيادات الجيش وحذرها في مؤتمر ٢ يونيو ١٩٦٧، من احتمال قيام اسرائيل بضربة عسكرية وشيكة ، فلماذا لم تتخذ القيادة العسكرية استعداداتها ؟ وإن كان هناك من يتساءل : هل كان يمكن أن تحدث استعدادات في خلال يومين او ثلاثة في ظل قيادات الجيش وأوضاعه القائمة وقتذاك ؟

ماذا حدث في زيارة السيد شمس بدران وزير الحربية الأسبق، للاتحاد السوفياتي ، وهل اساء نقل ما ابلغه السوفيات فعلا ، ام ان هدف الزيارة ، كما صرح في حديث صحفي (جريدة الجمهورية ٤ سبتمبر ١٩٧٧) ، كان بتعبير الرئيس جمال عبد الناصر « اهي حاجة مظهرية عشان الناس تقول وزير الحربية سافر » ؟ واخيرا ، من الذي اتخذ قرار الانسحاب ، وتحت اية ظروف وافق رئيس الجمهورية على هذا القرار ؟

كل هذه الاسئلة لها اكثر من إجابة متضاربة ، على لسان بعض من شاركوا في هذه الأحداث، وكان الهدف منها في اغلب الاحيان هو تبرئة الذات ، والقاء مسئولية التقصير على آخرين ، الأمر الذي يجعل مهمة الباحث شاقة للغاية ، والواقع انه يمكن التمييز بين ثلاثة قرارات هامة اتخذتها القيادة المصرية خلال هذه الفترة :

١ ـ قرار ارسال حشود عسكرية مصرية الى سيناء في ١٣ مايو ١٩٦٧ .
٢ ـ قرار سحب واعادة تنظيم قوات الطوارىء الدولية في ١٦ مايو ، ثم

قرار اخر بسحبها في ١٨ مايو ١٩٦٧ .

٣ ـ قرار اغلاق المضايق في ٢٣ مايو ١٩٦٧ .

وقد يكون من الملائم البدء بعرض مختصر للتطورات السياسية التي ادت الى تصاعد الازمة وبلوغها الذروة في صبيحة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

خلال الفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ تصاعدت العمليات الفدائية الفلسطينية ، الأمر الذي ادى الى تصعيد مقابل في الغارات الاسرائيلية ضد الاردن وسوريا . ومن ابرز هذه العمليات، المعركة الجوية التي دارت فوق سوريا في اغسطس ١٩٦٦ ، ثم حادثة السموع في ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ عندما قامت القوات الاسرائيلية بهجوم على قرية اردنية ، والتي اعتبرت وقتها اكبر هجوم بري اسرائيلي ضد دولة عربية منذ ١٩٥٦ ، وفي ابريل ١٩٦٧ حدثت معركة جوية اخرى فوق دمشق ، ثم ازداد التوتر على الحدود السورية الاسرائيلية نتيجة قيام الاسرائيليين بالزراعة في المنطقة المنزوعة السلاح والتوسع في زراعة مناطق لم تكن تزرع من قبل . ولم تتدخل مصر خلال المعركة وان كانت قد ارسلت بعد ذلك قائد السلاح الجوي ثم رئيس الوزراء ، وأدّت هذه الحادثة الى تصعيد التوتر لا في العلاقات العربية الاسرائيلية فحسب ، ولكن في العلاقات بين الدول العربية نفسها ، فقد انتقدت مصر الأردن لأنه لم يشترك في القتال، مع أن جانباً من المعركة دار فوق أراضيه ، وردت الأردن بأن مصر تحتمي خلف قوات الطوارىء الدولية ، ورددت ذلك أكثر من إذاعة عربية .

وتردد في هذه الفترة على لسان كل من رئيس الوزراء ورئيس الاركان الاسرائيليين، احتمال القيام بعملية عسكرية لإسقاط الحكومة السورية التي تشجع الفلسطينيين ، وفي ٨ مايو ١٩٦٧ ابلغت المخابرات السورية مصر بان

اسرائيل قد حشدت ١٩ كتيبة على الحدود السورية ، وأكّد السوفيات الخبر .
وتتالت الأحداث بسرعة في عشرة ايام ما بين ١٣ ـ ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وفي ٢٨ مايو صرح الرئيس عبد الناصر انه لا ينوي البدء بالقتال ، بل ان مصر سوف تنتظر الضربة الاولى ، وبعد يومين ، قام الملك حسين بزيارة للقاهرة تم فيها توقيع اتفاق دفاع مشترك ، وفي اول يونيو ١٩٦٧ عدلت الوزارة الاسرائيلية لتصبح حكومة قومية تضم المعارضة، وفي ٥ يونيو ١٩٦٧ بدأت اسرائيل عدوانها على مصر .

ويثير هذا التسلسل التاريخي أربع قضايا هامة :
الاولى : مدى صحة وجود حشود اسرائيلية على الحدود السورية ، ففي تقرير للجنة الهدنة التابعة للامم المتحدة ، اورد عدم وجود هذه الحشود، وهو ايضا ما ذكره السيد شمس بدران وزير الحربية الأسبق اثناء محاكمته في فبراير ١٩٦٨ ، عندما ذكر ان المخابرات المصرية وصلت الى عدم وجود حشود وان رئيس الاركان محمد فوزي وصل الى نفس النتيجة ، وأكد ذلك ايضا السيد امين هو يدي الذي شغل مناصب وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة في كتاب له بعنوان اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ .

وفي هذا الصدد اثيرت عدة نقاط :
أ ـ احتمال ان تكون اسرائيل قد قامت بالحشد فعلاً ، ولكن سرعان ما سحبت هذه الحشود مستفيدة في ذلك من سهولة نقل القوات وسرعة التحرك ووجود شبكة طرق جيدة .
ب ـ ان يكون التخطيط الاسرائيلي هو ضرب مصر وان الحشود على سوريا كانت محاولة للخداع وصرف الانظار عن جبهة القتال الحقيقية .

جـ : اسباب مسارعة الاتحاد السوفياتي في نقل انباء الحشود دون التحقق منها .

د ـ اسباب زيارة الملك حسين المفاجئة لمصر وعقد اتفاق دفاع مشترك دون اي تمهيد لازالة الخلافات التي كانت قائمة بينه وبين النظام المصري .

الثانية : ان القيادة السياسية المصرية لم تكن مستعدة للحرب ولم تعد لها ونظرت الى المسألة على انها عملية سياسية لن تضطر خلالها الى خوض حرب فعلية ، وكان الاعتبار الرئيسي في تصعيد الموقف من جانبها ، هو الضغط على اسرائيل ، حتى تحول اهتمامها من الجبهة السورية وان تسترد الزعامة المصرية هيبتها ودورها في الوطن العربي ، ويؤكد ذلك :

أ ـ عدم الجدية عند ارسال القوات وطوافها وسط شوارع القاهرة في شكل مظاهرة عسكرية ، الأمر الذي يشير الى ان المقصود هو إبراز ضخامة الحشد .

ب ـ تأكيد الرئيس عبد الناصر في اكثر من خطاب ، عدم وجود خطة هجومية مصرية ، وان على مصر ان تتلقى الضربة الاولى .

جـ ـ ان هدف الرئيس عبد الناصر ـ حتى آخر لحظة ـ قد كان تحقيق مكسب سياسي دون الدخول في حرب ، واستعداده للدخول في مباحثات مع الولايات المتحدة للوصول الى حل للموقف .

الثالثة : المزايدات العربية وانتقاد مصر بـانها تختبىء خلف قوات الطوارىء الدولية ، ويبدو ان القيادة السياسية المصرية كانت قد شعرت باهتزاز موقعها القيادي ، وكانت راغبة في موقف يتيح لها استعادة هيبتها ودورها مع استمرار حرب اليمن وتدهور العلاقات مع الولايات المتحدة والشعور بالقلق ازاء التحركات الاميركية مع بعض القوى العربية وبالذات بعد الانقلاب العسكري في السودان في ابريل ١٩٦٧ .

الرابعة : العلاقة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية في مصر ، فان تتبع هذه العلاقة يكشف عن ان المشير عبد الحكيم عامر كان في السنوات السابقة لعام ١٩٦٧ قد استقل عمليا بالجيش عن القيادة السياسية، ورفض تدخل رئيس الجمهورية في شئون القوات المسلحة، مع انه دستوريا القائد الأعلى لها . فعندما اراد رئيس الجمهورية ان يكون له حق تعيين الرتب العالية في الجيش، رفض المشير وكان له ما اراد . وعندما اصر على تعيين اللواء محمد فوزي رئيسا للأركان، انشأ المشير منصب قائد القوات البرية للتقليل من اختصاصات رئيس الاركان .

اخذا بهذه الاعتبارات الاربعة ، فان اسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ من النواحي السياسية تتحدد فيما يلي :

١ ـ ان القرارات السياسية التي اتخذت خلال الازمة لم تكن جزءا من خطة عامة او بناء على ترتيب واعداد سابقين ، بل لقد اتخذت كل خطوة دون حساب دقيق لما سوف يترتب عليها ، وهو ما ادى الى اتخاذ خطوات غير محسوبة . وهكذا فقد وقعت القيادة المصرية في الموقف الذي طالما حذرت من ضرورة عدم الانزلاق اليه ، وهو مواجهة اسرائيل دون الاستعداد الكامل لذلك فهل كان لزيارة الملك حسين المفاجئة اثر في دفع مصر الى هذا الموقف ؟ وهل تختفي وراء هـذه الزيارة قوى خارجية ، ارادت ان تتورط مصر في هذه الحرب دون استعداد ؟

٢ ـ عدم قدرة القيادة العسكرية وانصرافها الى امور اخرى غير الكفاءة القتالية وانشغالها بأمر السياسة والحكم وسيادة الشللية وتغلب الولاء والمحسوبية على اعتبارات الكفاءة والعلم العسكري .

ويكفي لابراز تهاون هذه القيادات في تنفيذها ما كلفت به بجدية، ان ما

ذكره الرئيس عبد الناصر في مؤتمر ٢ يونيو ١٩٦٧ حول احتمال بدء هجوم اسرائيل يعتمد على الضربة الجوية والمفاجأة، لم ينقل الى قيادة العمليات في الاردن او الى رجال القوات الجوية والدفاع الجوي، بل انه لم ينقل الى رئيس اركان حرب القوات الجوية الذي لم يكن موجودا في الاجتماع .

٣ ـ غياب التنسيق بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية .

٤ ـ الشلل الذي اصاب القيادة العسكرية العليا في اعقاب ضربة الطيران الاولى والفوضى والاضطراب اللذين عما القوات المسلحة، نتيجة تضارب الاوامر وتناقضها ما بين ساعة واخرى . وهناك العشرات من الوقائع والاحداث الدالة على ذلك ، مثل الاوامر المتناقضة للفرقة الرابعة المدرعة ، والفوضى التي تمت بها عملية الانسحاب ، والاحداث المرتبطة بطلب سحب قوات الطوارىء واغلاق المضايق ، كل هذا يوضح مدى التضارب والتخبط الذي كانت القيادة العسكرية العليا قد انزلقت اليه .

٥ ـ عدم تقدير الموقف الدولي التقدير السليم ، فقد كان هناك تصور باحتمال قيام الامم المتحدة بدور فعال وباحتمال الحصول على نصر سياسي ، دون ضرورة الدخول في معركة عسكرية ، وان الحديث المتكرر عن قوة الجيش المصري لسنوات طويلة هو بمثابة رادع لاسرائيل ، كل هذه التصورات لم تكن سليمة ولم تعكس الواقع ، وكان من شأن ذلك ، الاقدام على خطوات كان ينتظرها العدو، بل يمكن القول انه خطط لها حتى تحدث .

٦ ـ يبدو ان القيادة السياسية المصرية كانت اسيرة تجربة عام ١٩٥٦ ، وهي تلك التجربة الفريدة التي امكن فيها تحقيق نصر سياسي ـ في ظروف دولية بعينها ـ ليس لها ما يماثلها على ارض الواقع العسكري ، وضغط الرأي العام الدولي على المعتدي للانسحاب .

٧ ـ ان هزيمة ١٩٦٧ ، بعيدا عن تفصيلاتها ووقائعها، هي تعبير نظام الحكم في مصر خلال هذه الفترة .

ثانيا : في أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ (الجانب العسكري) :

بانتهاء التواطؤ الثلاثي على مصر باجبار اطرافه (اسرائيل وبريطانيا وفرنسا) على الانسحاب من كل ما اغتصبوه من أراضٍ مصرية ، وادانة الضمير العالمي لجريمة التواطؤ ذاتها ، راحت اسرائيل تستعد لجولة ثالثة تحقق بها ما فشلت ان تحققه في خريف ١٩٥٦ .

وكانت أولى ركائز نجاح الجولة الجديدة ، أن تظهر اسرائيل وكأنها الضحية التي اجبرت على خوض الحرب دفاعاً عن حقّها الشرعي في الوجود ، إزاء خطر عربي عقد العزم على ان يلقي بها في البحر .

كما كانت ثانية الركائز الا يتم نشاط سياسي او اعلامي يقتضيه الاعداد للجولة الجديدة، يثير شبهة لتواطؤ آخر مع دولة عظمى او كبرى .

اما ثالثة الركائز، فكانت ضرورة ايقاع هزيمة ساحقة بكل دول المواجهة العربية الواحدة تلو الأخرى، حتى تكون هي الجولة التي تنهي الصراع ، وتحسمه لصالح اسرائيل .

كما اهتمت خطة العدوان بالا تدع للعرب هذه المرة فرصة لتبرير الهزيمة على نحو ما فعلوه في الجولة الأولى، عندما تذرعوا بالاسلحة الفاسدة والانظمة الرجعية العميلة للاستعمار ، او في الجولة الثانية

عندما تذرعوا بالتواطؤ الثلاثي ، وانحصار القتا ل في جبهة مصر فحسب ، زعما بأنه لو شمل باقي الجبهات لانهزمت اسرائيل .

وعلى امتداد نيف وعشر سنوات، انكبت المؤسسات السياسية والعسكرية الاسرائيلية تعمل لادراك هذا الهدف، بكل ما تملك الصهيونية العالمية من امكانيات .

ومع اقتراب اليوم الموعود ، راحت التصريحات الاسرائيلية تتزايد حدتها ، كما انهمكت الاركان العامة في تصعيد الموقف عسكريا واعلاميا ، بشن الغارات والاغارات المكثفة ضد الاردن (غارة السموع في نوفمبر ١٩٦٦) التي وقف بعدها الجنرال اسحق رابين يعلن بكل تبجح انه ينوي الهجوم على دمشق لاسقاط الحكم القائم فيها .

ونتيجة لتدهور العلاقات العربية وقتئذ ، وجدت اسرائيل الثغرة للنفاذ الى هدفها عن طريق غير مباشر ، فراحت تهدد الجبهات الثانية حتى تستدرج الجبهة الرئيسية ـ مصر ـ الى موقف ميئوس منه ، فالقاهرة إن هي ابتلعت الطعم واستدرجت الى المعركة غير المتكافئة فسوف تتجرع هزيمة اليمة تفقدها المركز والمكانة المرموقة قوميا ، واقليميا ودوليا ، وان هي تقاعست او رفضت التحدي، فسوف تفقد اغلب ذلك ايضا دون الحاجة الى هزيمتها عسكريا .

وليس يجلو اسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، مثل تحليل نتائج سابقتها في خريف ١٩٥٦، فالجيش الذي تعرض لمثل تلك التجربة يجب أن يسعى للوقوف على اسباب النجاح او الفشل فيها .

ومن ثم يستخلص الدروس المستفادة منها، ليضعها نصب عينيه وهو يعيد تنظيم نفسه ، وتطوير خططه واساليب قتاله ، وتغيير قادته،

استعدادا لاحتمالات المستقبل .

ان هذه الاجراءات تكون للمهزوم أوجب، لأن تجربته الفاشلة تنهض دليلا على قصور عقيدته القتالية ، او تركيبه التنظيمي ، او نوعية اسلحته ومعداته ، او مستويات معنوياته ، او اسلوب القيادة والسيطرة على قواته ، ومن ثم حتمية اجراء التغيير اعمالا بقوله جل وعلا « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » صدق الله العظيم .

ورغم ان القوات المسلحة المصرية عقدت فعلا تلك الدراسة في اعقاب الهزيمة العسكرية عام ١٩٥٦، الا ان سوء طالعها حرم دروسها المستفادة ان تدخل مجال التطبيق العملي، لأنه كان يتطلب ابتداء تغيير اغلب الوجوه التي حاربت هذا التغيير، بل وسفهته حفاظا على مصالحها الذاتية ، واستمساكا بنفوذها الواسع .

وعلى الجانب المضاد ،لم تدخر الاركان العامة الاسرائيلية وسعا في رفع كفاءتها القتالية بشتى الطرق، ورغم انها كانت المنتصرة عسكرياً، فقد غيرت من صانعي نصرها بقادة توسمت في شبابهم طاقات اكبر .

ثم توالت المشاكل السياسية والاقتصادية على مصرعلى امتداد السنوات العشر التي شكلت المواقف الاستراتيجية بين الجولتين الثانية والثالثة، فجرفت في تيارها انظار القيادات العسكرية المصرية نحو اهتمامات جانبية ، بعيدة كل البعد عن مهامها الرئيسية . وراحت امور القوات المسلحة تتدهور بمعدل مرتفع حتى اقتربت من القاع، عندما اعلنت فيها حالة الطواريء فجأة ظهر ١٤ مايو ١٩٦٧ . ويبدو ذلك في عدة نواح ، منها :

١ ـ القيادة والسيطرة :

كان الصراع بين رئيس الجمهورية ونائبه الأول، قد تفاقم حتى عكس آثاره المدمرة على الانضباط العسكري والترابط العضوي في مختلف الافرع الرئيسية للقوات المسلحة، فتدهورت بالتالي كفاءتها القتالية وتمزق كيانها الى شظايا ، وانتشرت في ارجائها الشللية، فساد من اشتهر امرهم باهل الثقة والولاء، فحجبوا اهل الكفاءة والخبرة وابعدوهم عن المناصب ليحتلوها هم، وهم اول الناس ادراكا بعدم صلاحيتهم لها .

نشب هذا الصراع بعد الهزيمة العسكرية عام ١٩٥٦ ، ثم استفحل امره عقب انفصال سوريا، وكان المشير عامر اهم اسبابه ، فقد قام احد مديري مكتبه، بتوجيه الأمور مثلما جاءت محاولات الانقلاب من داخل بطانته الفاسدة.

ثم استشرى الخطر، عندما رفض المشير عامر إدخال بعض التعديلات على مناصب قيادية، ثبت فشل من ظل يشغلها سنين طويلة ، مثل قائد القوات الجوية والدفاع الجوي وقائد القوات الخاصة ، وعدد من مساعدي المشير الذين زكمت الاشاعات حولهم الأنوف . وعندما رفض المشير التخلي عن منصب القائد العام توطئة لتسليمه لمن هو اجدر به ، اسرعت بطانته الفاسدة الى رفع راية العصيان ، وهددت باستقالة جماعية جعلت رئيس الجمهورية يتراجع عن قراره .

هكذا تصادمت الارادة السياسية بالارادة العسكرية بصورة سافرة، فأفرزت ثمارها المدمرة ، وراحت بطانة المشير تحض على احراج رئيس الجمهورية وكشفه على الملأ على نحو ما حدث، والمشير في زيارة لباكستان

في ربيع ١٩٦٢، عندما ارسل ينصح عبد الناصر بطرد قوات الطوارىء عن شرم الشيخ واغلاق خليج العقبة في وجه اسرائيل، ثم ما حدث بعد منتصف مايو ١٩٦٧ ، عندما راح رئيس الجمهورية يبذل غاية جهده للحيلولة دون نشوب الحرب ، ويصر على الا نبدأ الضربة الأولى وأن نتمسك بالخطة الدفاعية « قاهر » ، ثم يوافق على سفر نائبه زكريا محيي الدين مع وزير خارجيته، لمقابلة الرئيس جونسون وتنشيط جهود الحل السلمي ، على حين بذل المشير كل جهده لتصعيد الموقف ودفع المشكلة الى حافة الحرب ، فأصر على سحب قوات طوارىء الامم المتحدة من شرم الشيخ ، ثم راح يغير في اوضاع الجيش في سيناء لتبدو هجومية، دون الرجوع الى القيادة السياسية كما يقضي بذلك العرف ، يقينا منه انه الطريق المضمون لبلوغ المراد على نحو ما زينت له بطانته الشرهة التي اعتنقت اسلوب التآمر والمقامرة واستمرأته .

لم يكن يخفى على احد أن قفل خليج العقبة يدفع بأسرائيل الى الحرب ، ومهما قيل عن خطأ القرار السياسي بقفله ، فالحقيقة انه اتخذ بناء على الحاح من المشير عامر ، كما ان صدوره من الرئيس عبد الناصر لا يعفي قيادة القوات المسلحة من اتخاذ كافة التدابير المترتبة عليه ، سيما وهي الساعية الى صدوره اصلا . ولكن نتيجة القتال الفعلي تثبت بما لا يدع مجالا للشك، أن المشير عامر لم يتخذ شيئا من هذه التدابير ، بل كانت كل قراراته وآرائه العسكرية فجة او خاطئة ، وكل ما امر به من استعدادات لا يغني ولا ينفع ، وكل ما فرضه من سيطرة قاصر وكل ما مارسه من ديناميكا اثناء القتال متخاذل بالغ الاضرار بقواته وقضيته . ويرجع كل ذلك الى شخصية المشير عامر ومن التف حوله من بطانة

لسوء ، فكانوا جميعا مكمن الداء وأصل العلة .

لقد جاء بالمذكرة التفسيرية للقانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٨ في شأن القيادة والسيطرة على شؤون الدفاع عن الدولة وعلى قواتها المسلحة ، النص التالي :

وترجع جذور هذا الموضوع الى عام ١٩٤٨ ، حين حدثت اولى النكسات السياسية والعسكرية المعاصره ، والتي هبت مصر على اثرها تبحث عن الأسباب الحقيقية لهذه النكسة، فكانت ثورة ٢٣ يوليو التي قامت لتضع حداً للفساد السياسي والعسكري الذي شكل سببا رئيسيا لتلك النكسة . وبقيام الثورة نشطت عملية التطوير الموضوعي الهادف في الدولة عامة وفي القوات المسلحة خاصة ، ولم يوقف من اسراعها نحو استكمالها سوى نكسة اخرى عام ١٩٥٦، اقتصرت هذه المرة على الناحية العسكرية، بينما شكلت الناحية السياسية نصرا كبيرا حجب النكسة العسكرية وغطى على أسبابها ، بل واقتنصته القيادة العسكرية واستغلته ، فتفشت فيها روح اللامبالاة وانعدام تقدير المسؤولية ، وخيل للبعض ان النصر يمكن إن ينال بغير الصراع المسلح .

وهكذا اصبح الاهمال يستشرى في شؤون التدريب والانضباط العسكري من ثم الإعداد للحرب ، وانزلق البعض الى اهتمامات جانبية ، حتى جاءت هزيمة صيف يونيو ١٩٦٧ ، فشملت كلتا الناحيتين السياسية والعسكرية هذه المرة ، وبنطاق اوسع واعماق اكبر .

هذا عن المستوى السياسي والاستراتيجي، اما على المستوى

الاستراتيجي التعبوي ، فبالاضافة الى ما كانت تعانيه الافرع الرئيسية للقوات المسلحة (الجيش ، البحرية ، الطيران) من انعزالية وتشرنق واستار حديدية مضروبة حول كل منها نتيجة اسلوب الشللية الذي استشرى امره ، فان حجم ما تم حشده من قوات في مسرح سيناء بطريقة عشوائية ارتجالية ، أفقد قيادة الجيش الميداني السيطرة عليها، اذ انها كانت تملك ١٤ تشكيلا يعمل على مواجهة ١٧٠ كيلو متر وعمق ١٥٠ كيلو متر تقريباً، بينما القواعد العلمية المعتمدة تقضي الا يزيد حجم اي جيش ميداني عن ٥ ـ ٧ تشكيل ، والمواجهة عن ٨٠ ـ ١٠٠ كيلو متر ، والعمق عن ٦٩ ـ ٨٠ كيلو متر في اي عملية دفاعية ،

اضف الى ذلك ما ترتب على انشاء مركز القيادة المتقدم لنائب القائد الاعلى « المشير عامر » في سيناء ،ولم يكن هناك مبرر واحد لانشائه ، ثم استنزافه العديد من الخبرات الممتازة التي كان الجيش في امس الحاجة اليها .

هذا عن سلسلة السيطرة ؛ اما عن شخصية القادة ومستواهم العلمي وخبراتهم الميدانية فقد كانت مثيرة للرثاء حقا .

لقد تم تغيير ١٣ قائد فرقة ولواء فيما بين اعلان حالة الطوارىء ظهر ١٤ مايو ووقوع العدوان صباح ٥ يونيو ، كما استحدثت في المسرح ١٥ قيادة جديدة تعبوية وتكتيكية وادارية ، وكان اغلب القادة الذين عزلوا من مناصبهم، ممن مارسوا القيادة في سيناء مدداً طويلة، لهذا فإن عزلهم يثير تساؤلا كبيرا . فأن تكون اسباب عزلهم ترجع الى عدم الكفاية ، فلماذا تركناهم كل هذه المدة وهم غير اهل لها ؟ وإن كانوا اكفاء فعلا فيصبح السؤال ولماذا عزلوا اذن ؟

لكن التغيير في القيادات في المسرح بهذا القدر الواسع عشية المعركة، دل بالقطع على عدم الاستقرار والعفوية التي سادت اغلب امور السيطرة الميدانية ، حتى اسفرت عن حالة من الفوضى والضياع بمجرد أن بدأت الحرب .

ومما يثير العجب، أن هذا التغيير في الوظائف تصاعد امره مع بدء عدوان اسرائيل واستمر اثناء القتال رغم خطورة نتائجه .

تبقى كلمة لا بد منها على المستوى القومي العربي ، فرغم وجود الامانة العسكرية لجامعة الدول العربية ، والقيادة المشتركة ، والقيادة الموحدة ، وكذلك عقد اتفاقية دفاع مشترك مع سوريافي نوفمبر ١٩٦٦ ، ومع الأردن في ٣٠ مايو١٩٦٧، ومع العراق في ٤ يونيو، فقد جاء التنسيق العسكري بين دول المواجهة العربية التي ظلت تتصارع مع اسرائيل قبل هذه الجولة نحو ١٩عاما في نفس المسرح ولنفس الأهداف، جاء متخاذلا لا مخيبا لما عقد عليه من آمال، فزاد من أبعاد الهزيمة وخسائرها الجسيمة بضياع اولى القبلتين وثالث الحرمين .

٢ ـ الخروج عن الخطة المعتمدة :

كانت خطة الحرب المعتمدة « الخطة قاهر » ذات صبغة دفاعية واضحة ، وقد استمرت قواتنا المسلحة تعمل بها طوال السنوات السابقة على حرب يونيو ١٩٦٧ .

ولكن القرارات الاستراتيجية التي راح يصدرها المشير عامر، بدأت تصبغها اعتبارا من ٢٣ مايو ١٩٦٧ بطابع مزدوج ومتناقض يجمع بين العمل التعرضي الهجومي (رغم عدم اعداد المسرح او قدرة القوات عليه) ، وبين

العمل الدفاعي المبتور ، حتى اصبحت خطة دفاعية وهجومية في نفس الوقت ، دفاعية في نظر الجيش الميداني المسئول عن تنفيذها ، وهجومية في نظر القيادة العامة التي جعلتها مطية لبلوغ مآربها وتحقيق اطماعها .

وهكذا اصبح الانفصام واضحا بين الواقع العملي في مسرح الحرب والتخطيط النظري في القيادة العامة . وترتب على ذلك أن، اصبحت الاهداف اكبر من طاقة القوات، مع ملاحظة ان مسرح اليمن كان قد انهكها وأبعدها عن جو القتال الحديث، الامر الذي ترتب عليه غرس مفاهيم خاطئة في اذهان افرادها عن حقيقة أبعاد المعركة الحديثة الوشيكة مع اسرائيل بما احدث فيهم مفاجأة ذهنية وصدمة نفسية، صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ولنا ان نتصور حال تلك القوات التي كانت تصل من مسرح اليمن فيزج بها في مسرح سيناء مباشرة ، لتقابل طبوغرافية غير الطبوغرافية ، وعدوا غير العدو ، وحربا غير الحرب ، بل ويصل بعضها ليجد ان الحرب قد حسم امرها .

وراحت التعديلات والتغييرات تترى على الخطة قاهر بمعدل سريع جدا ، وبصورة فجائية ، حتى اصبحت مهام القتال تخصص للقوات ثم تلغى ثم تعدل بصورة تثير الدهشة والعجب، مما اساء الى ثقة المرؤ وسين بالرؤ ساء ، حتى بلغ الامر غايته بتوالي ثلاث مهام قتالية متناقضة على لواء مشاة واحد فيما لا يجاوز ٧٢ ساعة ، وباجبار لواء مدرع على السير ٩٠٠ كيلو متر على « الجنازير » وهو ما ليس له سابقة في تاريخ الحروب الحديثة ، والى إخراج لواء مشاة من قطاعه الدفاعي الذي جهزه واستعد فيه على امتداد عام كامل لارساله الى منطقة امامية بمهمة هجومية، يعلم الجميع انها لن ترى النور .

ولم يقتصر الامر على تغيير المهام واستنزاف طاقة القوات في تحركات

هوجاء ، بل امتد الى تصفية الاحتياطيات وتفتيت الوحدات ، فصدرت الاوامر لاحتياطي الجيش رقم ٢ بترك منطقة شمال الحسنة » قلب الدفاع ومحور ارتكازه، والتوجه الى « النصيحة » مع ترك مهمة قتاله الاصلية قائمة، كما صدرت الاوامر بتفتيت احد الالوية المقاتلة ونشر عناصره بين الغردقة على ساحل البحر الاحمر وقطاع غزة في اقصى المواقع الامامية ، اي على امتداد نحو ٧٠٠ كيلومتر ، بينما الاصول العسكرية تقضي بألا تزيد مواجهة اللواء تحت اي ظروف عن ١٠ كيلو مترات .

وعندما وصلت تعليمات المشير الى هذه الدرجة من التناقض والعفوية، صارت مدعاة للتندر والاستهزاء بدلاً من ان تكون اساسا لبث الثقة والإصرار على انجاز مهامها .

ولم تنقطع هذه التعديلات والتغييرات العشوائية التي لم يكن الواقع في الميدان يتطلبها او يجيزها ، وبعد ثلاثة اسابيع كاملة،لم يستطع الجيش بسببها ان يصل الى حالة الاستعداد والتأهب لخوض اي نوع من القتال ، سواء كان هجوميا ام دفاعيا .

٣ ـ الجهل بالعدو :

لقد اسهمت ادارة المخابرات الحربية المصرية في تمكين اسرائيل من تحقيق المفاجأة الشاملة الكاملة ، اذ هي فشلت في اعطاء صورة حقيقية عن العدو فيما يتعلق بحجم قواته وأوضاعها ونواياها المحتملة وأساليب قتالها .
فقد كشف واقع القتال ان حجم القوات الاسرائيلية التي اشتركت في الحرب، كان اكثر مما قدرته ادارة مخابراتنا بحوالي ٥٠ ـ ٦٠٪ .

وبالنسبة لنية العدو،فقد ظلت تقارير المخابرات تتأرجح بين تحول اسرائيل الى الدفاع وبين عزمها على الهجوم ، حتى جزمت في النهاية بعدم قيام اسرائيل بالهجوم . وكان هذا في نفس الليلة التي اكد فيها الرئيس عبد الناصر للمجلس الاعلى للقوات المسلحة (الجمعة ٢ يونية ١٩٦٧) أن الحرب واقعة لا محالة في بحر يومين او ثلاثة، وانها سوف تبدأ بضربة جوية مركزة توجهها اسرائيل ضد مصر .

ومما يثير الدهشة أن ملخصات المخابرات اهتمت بدرجة عظيمة بتتبع وتحليل اوجه نشاط المعسكر الغربي في منطقة الشرق الاوسط التي حظيت باكثر من ٦٠٪ من جملة ما حوته تقارير المخابرات المصرية في هذه الفترة الحرجة ، بينما لم تنجح في وضع صورة مفهومة للعدو الإسرائيلي،وحتى ذلك القليل مما جادت به ، خانها التوفيق فيه ، اذ نوهت عن اساليب وتوقعات كانت ابعد ما يكون عما اتخذه العدو فعلا في آخر مناورة له قبل الحرب ثم في الحرب نفسها .

وكان العدو يقوم بالفتح للهجوم تحت سمع وبصر عناصر الاستطلاع الميداني التي راحت تبلغ عنه دون اي تحليل او استنتاج . . ثم تنقل البلاغات بنفس كلماتها بلا زيادة او نقصان من مستوى الى المستوى الاعلى منه ، حتى تصل بعد يوم كامل او اكثر الى ادارة المخابرات الحربية ، والامثلة على ذلك كثيرة ولكن اخطرها تلك الاشارة التي سجلها فرع استطلاع الجيش في الساعة ٤٠٠ يوم ٥ يونيو عن وصول لواء مشاة معادي مدعم بالدبابات الى الخط الامامي بسرعة غير عادية . .

وكان وقت الارسال هو الساعة ٧٠٠ اي بعد وقوع هذا الحدث البالغ الاهمية بثلاث ساعات كاملة . . وفي الساعة ٩٤٠ تصل هذه الاشارة بنفس

النص الى هيئة عمليات القوات المسلحة . . ثم تصل اخيرا الى سجل ادارة المخابرات الحربية الساعة ٢٢٠٠ .

إن القارىء لسجل محادثات فرع استطلاع الجيش ، يجد دلالات لا يجوز أن تخطئها العين ، عن قيام العدو بالتحضيرات للهجوم على مستوى كتائب ألوية النسق الأول خلال يوم ٣/٤ يونيو ، وألوية مجموعات عمليات النسق الأول ليلة ٤/٥ يونيو ، ولو كان بإدارة المخابرات الحربية او بفرع استطلاع الجيش ، ضباط من ذوي الكفاءة لا من أهل الثقة فلربما تغير وجه التاريخ .

أما الحادث الذي يثير الكمد في النفس ، فهو أن قوات الجنرال أرييل شارون ، قد هاجمت قرية « الجزعرية » داخل الحدود المصرية في مواجهة « العوجة » على المحور الأوسط في الساعة ٧,٣٠ صباح ٥ يونيو ، وكان هذا العدوان كافياً لإعلان حالة التأهّب القصوى في القوات المسلحة ، وما كان يستتبعه من استعداد الطائرات واقلاع بعض المظلات الجوية ، ولكن الإخطار عن هذا الهجوم المبكر لم يصل قيادة الجيش إلّا بعد خمس ساعات كاملة من وقت وقوعه ، ونحو أربع ساعات من وقوع الضربة الجوية المركزة التي لو وصل خبر الهجوم على الجزعرية قبلها لما وقعت أصلاً على الأرجح ، وطبقاً لوصية مردخاي هود ـ قائد الطيران الإسرائيلي ـ الأخيرة إلى طياريه ، أنهم لو صادفوا مظلات مصرية فليعودوا على الفور دون انجاز المهمة .

ولم يكن هذا كل الضرر الذي اوقعته ادارة المخابرات الحربية وعناصر الاستطلاع المختلفة في القوات المسلحة ، بل انها منذ ٢٦ مايو وهي توالي اصدار المعلومات التي تحول الانظار نحو « ايلات » والاتجاه التعبوي الجنوبي في سيناء بعيدا عن مكان المعركة الوشيكة ، وانساق وراءها جهاز التخطيط فراح بدوره يحرك القوات من الشمال ـ حيث ستقع الضربة الرئيسية عند رفح ـ الى

الجنوب ،حيث لم يكن لاسرائيل قوة ذات شأن ، ولا خطة لعدوان .

وعندما بزغ فجر ٣٠ مايو تحولت توقعات ادارة المخابرات الحربية الى تاكيد ويقين بأن ثمة معركة مدرعة رئيسية سوف تنشب على امتداد الاتجاه التعبوي الجنوبي فأسرعت اجهزة التخطيط تنقل القوات ذات القدرة الحقيقية من الشمال ـ حيث ستقع الضربة الرئيسية ـ الى الجنوب ،حيث تؤكد مخابراتنا انها سوف تقع . . . ويقول الجنرال اسرائيل طال قائد مجموعة العمليات الشمالية التي قامت بالعدوان الرئيسي في صيف ١٩٦٧ بالهجوم ضد رفح ،انه كان يراقب عملية انتقال القوات المصرية من رفح الى الجنوب بدهشة مقرونة بفرحة غامرة ، فكل وحدة تركت موقعها أمامه ، كانت تمهد له طريق النصر السريع السهل .

ويجب ان تكون لدينا الشجاعة لأن نعترف بأن ادارة المخابرات الحربية هي التي مكنت العدو من ان يجذب انظارنا بعيدا عن الاتجاه الحقيقي للمعركة ، وانه بدلا من ان ينجح في استدراج بعض القدرة القتالية المصرية نحو اتجاه خداعي ليخفف حجم القوات القائمة بالدفاع على الاتجاه الحقيقي ، فانه نجح في استدراج اغلب هذه القدرة .

والغريب ايضا ان تصدق القيادة العامة وقيادة الجبهة وقيادة الجيش ما زعمته ادارة مخابراتنا ، بينما النذر اليسير مما امكن الحصول عليه من تمركز وحدات العدو امام سيناء كان يفصح بما فيه الكفاية عن ان الحشد الرئيسي يقع في مواجهة رفح وما حولها ، وان نفس ملخصات المخابرات حددت كل القوات الموجودة على الاتجاه التعبوي الجنوبي ـ حيث زعمت ان الضربة الرئيسية الاسرائيلية سوف تقع ـ باربع كتائب فحسب ،إحداها مشاة والثانية دبابات والثالثة ناحال ، والرابعة آليات ، وهي قطعا لا تشكل قوة ذات شأن

تصلح للقيام بهجوم جاد .

ولقد ترتب على هذا التخبط وتلك البلبلة التي سببتها ادارة المخابرات الحربية المصرية ، أن تقلصت القدرة الدفاعية لقواتنا حيث اعتزم العدو الهجوم البري ، بمثل ما تسبب ايعازها بأن العدو لا يملك طائرة تستطيع تجاوز قناة السويس غربا ، ثم اظهر واقع التجربة انه يملك طائرات تستطيع مهاجمة اهداف على حدودنا مع السودان ، مما ساعد اسرائيل في انجاح الضربة الجوية المركزة الإسرائيلية ، كما ساعد اسرائيل على النجاح ، فشل ادارة المخابرات في معرفة حصول سلاح الطيران الاسرائيلي على قنبلة الممرات (ماترا) الفرنسية ، رغم انها صفقة تجارية يسهل الوقوف على أمرها ، فكانت حجر الزاوية في قفل مطارات مصر ، ومن ثم تدمير طائراتنا على الارض وحصول اسرائيل على السيادة الجوية لحظة بدء الحرب ، الامر الذي كفل بها نصرا سريعا سهلا وحاسما .

٤ ـ القوات الجوية والدفاع الجوي :

ان موضوع الضربة الجوية المفاجئة المعادية ، كان الشغل الشاغل للقيادة العليا اذ كانت قد اصدرت بشأنها المهام الى قيادة القوات الجوية قبل المعركة بسنوات : وحدث أن سافر وفد عسكري على مستوى عال الى الاتحاد السوفياتي في اوائل الستينات ، وكان من ضمن ما طلبه الوفد اجهزة رادار لتغطية الانذار على الارتفاعات المنخفضة ، ولما اعتذر الاتحاد السوفياتي سافر الشهيد عبد المنعم رياض ـ احد اعضاء الوفد والمسئول عن الدفاع الجوي في قيادة القوات الجوية ـ الى انجلترا ، وما لبث ان وجد ضالته في شركة « دكارادار » ، وغيرها ، واتصل بقائد القوات الجوية يخبره بالنتيجة والموافقة على الشراء

وكان رد قائد القوات الجوية هو امره بالعودة الى مصر .

ومن الغريب ، ان تقوم ادارة المدفعية في نفس الوقت بشراء اجهزة رادار لمدفعيتها الساحلية من نفس الشركة للانذار عند اقتراب البحرية الاسرائيلية رغم الفرق الهائل بين خطورة وتفوق الطيران الاسرائيلي وضعف بحْريتها . وليس لدى اللجنة من سبب لهذا التفاوت في التقدير الا الفرق بين قيادة وقيادة . . فقيادة جادة تعرف مسئولياتها . . وقيادة لاهية لا تقدر مسئولياتها، وتنفق ميزانيتها في التافه من الامور كشراء ادوات رياضية من انجلترا بالعملة الصعبة لنادي الطيران الذي يرأسه قائد القوات الجوية .

بل الاعجب من ذلك، قائد القوات الجوية ـ وهو الطيار الكفء ، ومعلم الطيران السابق والذي لم يترك عرضا للطائرات في الخارج الا حضره ـ هو وأحد معاونيه ـ كان لا يعرف مدى عمل الطائرات الإسرائيلية أو أهمية الكشف الرداري على الارتفاعات المنخفضة .

ولو فرضنا جدلا انه عجز عن الحصول على هذه الاجهزة ، اما كان عليه استخدام نقط الانذار البصري وسفن القوات البحرية المزودة بالرادار، وكلها كانت متوفرة .

ان التاريخ لا يمكن ان يغفر لهؤلاء القادة الذين عايشوا تدمير طائراتهم في عام ١٩٥٦ وتهاونهم وعدم جديتهم طوال احد عشر عاما ليعايشوا مرة اخرى تدمير طائراتهم المصطفة في عام ١٩٦٧ .

ان الدروس المستفادة والخبرة المستنبطة من العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وفرت رصيدا ضخما وواقعيا من هذه الدروس والخبرات ، وأظهرت بوضوح كيف يمكن ان تفقد قواتنا المسلحة غطاءها الجوي في ساعات قلائل ، وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة .

ورغم تكرار تكليف القيادة العليا للقوات الجوية والدفاع الجوي بدراسة موضوع الضربة الجوية وعمل الترتيبات الكفيلة بدرئها وتوفير القدرة على شن الضربة المضادة ، الا ان الضربة الجوية وقعت وظهر من سيرها انه لم تتخذ الاجراءات الكفيلة بتخفيف آثارها، بل نجحت في القضاء على الغطاء الجوي المصري في ساعتين ، كما ظهر ايضا انه لم تتخذ اجراءات لشن الضربة المقابلة المضادة لها . ولقد كان لذلك الاثر البالغ على المعركة كلها .

لقد كان على قيادة القوات الجوية والدفاع الجوي ، بعد ان ارتضت القيادة السياسية ترك المبادأة للعدو لتوجيه الضربة الجوية الاولى حتى لا تعطي لاميركا المبرر لمساندة اسرائيل بشكل سافر - ان تعمل على تجنب عنف اثار هذه الضربة، بتوزيع القوات الجوية على المطارات البعيدة عن مدى طيران العدو ونشر الطائرات بالمطارات ووقايتها في دشم ولو من شكاير رمل ، وحمايتها بوسائل المدفعية المضادة للطائرات الكافية، وزيادة درجات استعداد وتغطية القوات الجوية والدفاع الجوي .

ولكن الذي حدث هو العكس على خط مستقيم ، فقد دفعت الطائرات الى المطارات الامامية بسيناء، ربما تمشيا مع التطلعات الشخصية للقيام باعمال هجومية غير مخططة، وكلنا يعلم مدى العلاقة الوثيقة التي كانت تربط قائد القوات الجوية بنائب القائد الاعلى ، كما تركت كل الطائرات مجمعة ومصطفة على سطح الارض بالمطارات انتظارا للضيف القادم ، فانعدم بذلك استعداد القوات الجوية والدفاع الجوي .

ان القوات الجوية والدفاع الجوي كانت قوات مسلحة قائمة بذاتها ، ضرب قائدها ستارا حديديا حولها لا يسمح لمن بداخله ان يخرج منه ، ولا لمن خارجه ان يدخله، ففي جميع الاعمال المشتركة مع باقي اجهزة وافرع القوات

المسلحة الاخرى كانت قيادة القوات الجوية هي العائق الاول في تنفيذها والمعارض الوحيد لوظيفة واختصاصات رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة،والذي بدونه تصبح القوات المسلحة شراذم متفرقة لا رابط بينها ولا تنسيق .

ولم تكتف قيادة القوات الجوية بكل هذا، بل اهملت في اعداد الطيارين والمطارات حتى بلغت نسبة الطائرات الى الطيارين ١ : ٩ طيار ، بينما النسبة لدى العدو ٢ :٣ طيار.

مما ادى الى ترك طائرات جاهزة بدون طيارين لقيادتها ، كما لم يكن لدى القوات الجوية سوى ٢ ١مطاراً، بينما كان لدى اسرائيل ٥٨ مطارا اي بنسبة اكبر من ٤ ـ ١ لصالح اسرائيل .

وأخيراً وليس آخراً، اتخذت قيادة القوات الجوية سياسة إحالة أكفأ الطيارين من رتبة اللواء الى المعاش ،واستبقاء غير الصالحين منهم بالخدمة وترقيتهم الى رتبة الفريق بل والفريق أول،حتى نضمن هذه القيادة عدم سماع اي صوت معارض ، وكذا عدم إقدام القيادة العليا على تغيير قيادة القوات الجوية لعدم توفر البديل الصالح . وعندما انذر رئيس الجمهورية قائد القوات الجوية مساء الجمعة ٢ يونيو بتوقع الضربة الاسرائيلية صباح ٥ يونيو ووجوب اتخاذ كافة التدابير المضاده لها ، لم يحرك هذا القائد ساكنا ، وكأنما الامر لا يعنيه ، بل ولا بعني وطنه الذي كان بالغ الكرم معه .

٥ ـ قرار الانسحاب العام :

كانت اولى الدلائل على التفكير في الانسحاب، تلك البرقيه العربية التي

ارسلها المشير عامر الى قائد منطقة شرم الشيخ فجر يوم ٦ يونيو يأمره فيها بسحب كافة قواته من شرم الشيخ الى غرب القناة .

ومبعث الغرابة هنا،أن غلق خليج العقبة كان سبب وصول الازمة الى حالة الحرب افلا يكون فض موضوعها على هذا النحو العفوي مثيرا للاستغراب، سيما وان الاوضاع القتالية في سيناء لم تكن قد وصلت بعد الى ما يبرر مجرد التفكير في اصدار هذا القرار .

ومع ظهر يوم ٦ يونيو كانت فكرة الإنسحاب العام قد ملأت ذهن المشيرعامر الذي أصدر قراره إلى قائد الجيش راساً . وبعض بطانته-من قادة الفرق ، ودون استشارة أحد من مستشاريه بهيئة العمليات أو شعبة البحوث العسكرية ، بأن ينسحب كل الجيش خلال نفس الليلة ٦/٧ يونيو الى غرب القناة لتذهب هذه الفرقة الى دمنهور ، والأخرى الى المنصورة ، والثالثة الى القاهرة ، وهكذا . !! .

وتنصّ العقيدة العسكرية المصرية على أن الإنسحاب أحد الأوجه المعتمدة للحرب وأنها مناورة لإتخاذ أوضاع جديدة أكثر ملاءمة لمقابلة العدو ودحره . ولا يعني الإنسحاب في أي مدرسة عسكرية ، الإنهيار والتفسخ .

واذا نظرنا الى الاوضاع الفعلية للجيش الميداني عصر يوم٦ يونيو، لما وجدنا مبررا واحدا لصدور امر الانسحاب العام ، فالتشكيلات اغلبها سليم لم يصطدم بالعدو بعد ، ولا هي تحملت خسائر ذات وزن ، كما كانت اوضاعنا قادرة على ممارسة الدفاع وشن الهجمات والضربات المضادة ضد العدوان الذي كان حتى هذا الوقت قد احرز نجاحا محدودا .

ومجرد النظرة الى أوضاع قواتنا عصر ٦ يونيو، تكفي لدحض قرار الإنسحاب وكشف مجافاته للواقع ومدى فساده :

فعلى الاتجاه التعبوي الشمالي ـ تمكنت مجموعة من دق اسفين محدود حتى مشارف العريش على مسافة ٤٠ كيلو متر داخل الحدود .

وعلى الاتجاه التعبوي الاوسط ـ تمكنت مجموعة عمليات الجنرال ابراهام يوفيه، من الاقتراب من مقاطع طرق علامة الكيلو متر ١٥٦ في مواجهة لواء مدرع مصري وثلاثة الوية مشاة ، وعن كثب منها فرقة مدرعة كاملة ، والى الامام فرقة مشاة اخرى .

وعلى الاتجاه التعبوي الجنوبي : (الذي صورته ادارة المخابرات الحربية على انه المجهود الرئيسي للعدو) لم يكن قد حدث اي نشاط ذي قيمة للعدو .
ورغم تدمير معظم قواتنا الجوية ودفاعنا الجوي، فقد كان باستطاعة القوات البرية أن تصمد بدفاعاتها وان تصد ، وتقف الوقفة الاخيرة شرق مضايق سيناء ، خاصة وانها بطبوغرافيتها الوعرة، تعتبر منطقة مثالية للدفاع الطويل الامد ، وعقبة امام المهاجم وخاصة لمدرعاته.

هذا فضلا عن ان القوات الجوية كانت بسبيل جمع ما تبقى من طائراتها ، مع اصلاح اعطالها وانتظار وصول دعم الدول الشقيقة والصديقة ، لتستعيد بعض مقدرتها القتالية .
ولقد قامت القوات الجوية بالفعل بتقديم المعاونة لقواتنا البرية في سيناء اعتبارا من صباح ٦ يونيو .
ومما يلفت النظر أن كل من تناول الانسحاب بالدراسة، ركز اهتمامه على البحث عمن اصدر قراره ، فلم تبذل جهود صادقة للحكم على مدى صحة او خطأ اصداره ، او تحديد السلطة التي كانت تملك حق اصداره شرعا .
ان قرار الانسحاب من سيناء يقع ضمن صلاحيات قائد الجيش الميداني بعد

ان يحصل على موافقة قائد الجبهة ، وبما ان قيادة الجبهة كانت مجردة من اية صلاحيات فيكون التصديق من سلطة المشير . وطالما كان الانسحاب من خط ، ولسنا بحاجة الى القول بان القيادة العسكرية وحدها التي تستطيع تقييم الموقف العسكري بكل ابعاده ، ثم اتخاذ القرار الذي يناسبه وان اي تدخل من القيادة السياسية في صميم عمل القيادة العسكرية سوف تكون نتائجه وخمية على نحو ما عانى منه جيشنا خلال الجولة الأولى، بتكرار فرض الهدنات التي افادت الخصم ، وتكرار تغيير خطط القائد العام، بما حرم القوات ثمرة جهدها القتالي .

والتاريخ يحدثنا عن الكثير من عمليات الانسحاب البارعة ، التي كانت سبب في استدراج الخصم الى ارض قتال تم فيها الاجهاز النهائي عليه ، او تلك التي أنقذت الجيوش من وضع ميئوس منه وأتت بها الى وضع افضل صارت فيه صاحبة البد العليا والكلمة النهائية .

اما قرار المشير عامر بالانسحاب العام من سيناء الى غرب القناة، حتى لو كان قد قصد به ان ينقذ قواته البرية في سيناء ، فالواقع انه حكم عليها بالهزيمة والدمار . وأتاح للعدو نصرا لم يكن يحلم به ، ولقد اثبت هذا القرار الافلاس الذهني والوظيفي الذي كانت عليه قمة قيادتنا العسكرية وقتها .

وأسرع جهاز التخطيط المختص بعد ان شعر بما تم من وراء ظهره - يحاول تدارك الكارثة - لسعى إلى تنظيم الانسحاب على ثلاث ليال بدلاً من ليلة واحدة، وأن بوجهه إلى هيئة دفاعية مناسبة، ولكن المحاولة جاءت بعد فوات الآوان. فزادت الطين بلة.

وليس ثمة شك أن وراء قرار الانسحاب دوافع ، ولا شك ايضا انها كانت ابعد ما تكون عن المجال العسكري الذي كان يقضي بعدم اتخاذه في هذا الوقت بالذات ، وبهذا الاسلوب والوقت».

وهكذا دخل هذا القرار المشئوم في دائرة الصراع الخفي بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية ، وان كان رد فعل للارتباك الذهني والاكتئاب النفسي اللذين أصابا المشير بعد تدمير قواته الجوية ، وما ترتب على ذلك من خيبة امله في النصر العسكري الذي كان يأمل ان يعوض به سلسلة الفشل المتصل، منذ جولة ١٩٥٦ ، ثم اخطاء سوريا ، ثم اليمن ، وان يرفع شأنه في معركة الصراع على السلطة التي لم تأل بطانته جهدا في اذكاء نيرانها .

ويبقى ان نقول ان فاجعة قرار الانسحاب العام وملابساته، تؤكد مأثورة الفيلسوف العسكري القديم «قد تضيع المعركة كلها نتيجة رعونة قرار واحد» .

٦ ـ موقف الكتلة الشرقية :

رغم ان الاتحاد السوفياتي كان احد المصادر التي اكدت لمصر ان ثمة حشوداً اسرائيلية كثيفة على الجبهة السورية ، ورغم ان بلغاريا كانت احد مصادر عزم اسرائيل على توجيه ضربة مدرعة قوية على الاتجاه التعبوي الجنوبي بسيناء فإن موسكو مع ما توفر لها من صور الاقمار الصناعية عن اوضاع القوات الاسرائيلية الهجومية اعتبارا من ٣ يونيو، لم تبد المعاونة اللازمة التي كانت تفرضها عليها علاقاتها الحسنة معنا .

وعندما جاء الماريشال زخاروف بعد الهزيمة يبحث في اسبابها ، كان يستعين باثبات وجهة نظره بصورة لقمر صناعي تظهر اوضاع القوات الاسرائيلية يوم

٣ يونيو وهي متأهبة للهجوم ، فلما سأله البعض ولماذا لم نخطر بذلك في حينه ؟ لم يعد الماريشال يظهر هذه الصورة ابدا .

لا نسوق ذلك لتبرير الهزيمة او التقليل من حجمها ، وانما ليقارن من يشاء المقارنة بين مسلك الولايات المتحدة مع صديقتها اسرائيل ، ومسلك الاتحاد السوفياتي وبعض الدول الشرقية حيال مصر الصديقة الاشتراكية .

وهكذا فإن اللجنة ، وقد كادت تفرغ من تحقيق اسباب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، تجد نفسها امام سؤال يطرح نفسه عليها .

ولكن لهذا السؤال امتدادا في تاريخ الصدام العربي الاسرائيلي .

ففي سنة ١٩٤٨ كانت هزيمة لسبعة جيوش عربية ، دخلت فلسطين في ١٥ مايو من ذلك العام، لتحول دون قيام دولة اسرائيل .

وقد يكون تبرير هذه الهزيمة ، ما عمد اليه العالم وهيئاته الدولية ، من تمكين اسرائيل ان تقوم ، من خلال سلسلة من الهدنات ، تقوي اسرائيل اثناءها مواقعها ، وتسترد سلاحها ، وتستفيد من تجربة القتال مع العرب خلال الاسابيع التي دار فيها القتال قبل كل هدنة .

ثم ان انفراد كل جيش عربي بطريقته وقيادته وسلاحه ، وعدم التنسيق بينها، كان عاملا من عوامل الضعف تضاف الى المبررات السابقة . وهكذا نجد ان هناك دائما مبررات لهزيمة ١٩٤٨ .

ومع ذلك ، فانه لا القوات المسلحة المصرية ، ولا طلائع المناضلين من ابناء الشعب ، قبلت هذه الهزيمة ، ولم يكن هنالك من علاج الا ان تقوم ثورة ١٩٥٣ ، لتضع اسلوبا جديدا لمواجهة اسرائيل تكفل الا تتكرر الهزيمة .

* * *

فهل انتهى عهد الهزائم امام اسرائيل ؟

لقد وقع العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، وكانت طبيعته واشتراك ثلاث دول فيه ، منها دولتان عريقتان في المجال العسكري وهي بريطانيا وفرنسا، عاملاً لتخفيف قسوة الهزيمة ، كما ادت الظروف السياسية ، الى انسحاب دول العدوان الثلاثي من الاراضي التي احتلتها، مما حفظ الكرامة الوطنية للمقاتلين ، رغم الهزيمة العسكرية التي حدثت .

ولعل اقسى الهزائم ايلاما للنفس ، هي تلك الهزيمة التي وقعت في يونيو سنة ١٩٦٧ . لقد واجهت اسرائيل دولا عربية مختلفة ، فاكتسحت ساحات القتال العربية ، في سرعة مذهلة لا يكاد يصدقها عقل .

وهنا يأتي السؤال الذي يفرض نفسه على هذا التحقيق :

هل كانت تلك الهزيمة شيئا طبيعيا، كان يجب ان يقع ؟ وهل كانت اسرائيل على درجة من التفوق ، بحيث لم يكن هنالك بد من قدرتها على ان توقع الهزيمة بكل الجيوش العربية التي واجهتها ؟

وهل كان العرب من الضعف ، بحيث ما كان لهم ان ينتصروا ، وان يصمدوا امام هذا الزحف ؟ لو ان ذلك قد كان امرا حتميا وطبيعيا ، لانتفت الحكمة حتى من اجراء هذا التحقيق ،ولاستسلمنا لواقع امر ليس الى تغييره من سبيل .

وهنا ، فان الانصاف يقتضينا أن نبحث عن اجابة موضوعية لهذا السؤال ، حتى لا نظلم انفسنا ، وحتى لا نظلم قواتنا المسلحة .

ولقد جاءت الاجابة بعد ست سنوات ، لتقيم الدليل على ان هزيمة يونيو ١٩٦٧ لم تكن لتفوق ساحق لعدونا ، ولكنها كانت لضعف فينا ، مما يمكن معه

ان نقول اننا نحن الذين هزمنا انفسنا .

ولقد قيل ان كل حرب لا بد ان تحمل للمهزوم والمنتصر على السواء ، بذور النصروبذور الهزيمة . اما بذور النصر ، فانها تثمر نصراً، وعلى العكس تثمر بذور الهزيمة العار .

ومن خلال الجولة الثالثة لحربنا مع اسرائيل ، فقد تأكد اننا بذرنا في ساحة القتال بذور الهزيمة ، فكان العارالـذي هد قواتنا في يونيو ١٩٦٧ ، ولو اننا استفدنا من دروس عدوان ١٩٥٦ ، لما واجهنا الهزيمة في ١٩٦٧ ، او لما واجهنا بهذا القدر من القسوة ، التي قصمت ظهورناعلى نحو ما حدث .

من هنا ، فإن تحقيق اسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، لا يتم فصولا ، الا بالتعرف على ما استطعنا ان نحققه بعد ست سنوات ، خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ان هذا التعرف لا يصرف اللجنة عنواجبها،وهو ان تحقق اسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وانما هى الضرورة العلمية والعملية ، لتأكيد مدى ما ظلمنا انفسنا قبل ان يظلمنا عدونا ، لقد خرجنا من التحقيق بعدة اسباب تشكل- عناصر هزيمة ١٩٦٧ ، وهذه العناصر هي :

* خضوع الاستراتيجية العسكرية للسياسة وتبعية القيادة العسكرية للقيادة السياسية .
* التخطيط والتحضير والإعداد للمعركة .
* معرفة العدو .
* تحقيق المفاجأة وامتلاك المبادأة .
* استغلال نقاط القوة لدينا ونقاط الضعف لدى الخصم ، فكيف كان سلوكنا ازاء هذه العناصر في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ؟

خضوع الاستراتيجية العسكرية للسياسة
وتبعية القيادة العسكرية للقيادة السياسية

سبق ان تعرضت اللجنة لهذا الموضوع بالنسبة لحرب يونيو ، وتجنبا للتكرار فإنها تدخل مباشرة في معالجته بالنسبة لحرب اكتوبر. واذا كان تجاهل هذه العلاقة المنطقية هو احد اسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، فبالمقابل نجد القيادتين السياسية والعسكرية تعرفان جيدا ما تريدانه وتعملان معا ـ كل في اختصاصه في توافق وانسجام تامين لتحقيق ما تريدانه . . فالهدف الذي حددته القيادة السياسية واضح وفي طاقة القوات المسلحة . . والخطة الاستراتيجية المشتركة (خطة الحرب) معدة جيدا، بناء على المعلومات الدقيقة عن العدو ومتمشية تماما مع الموقف القائم وقتئذ ، ومنسقة مع القوات المسلحة السورية رفيقة المعركة ، فضلا عن تنسيقها بين جميع افرع القوات المسلحة المصرية التي تخضع لقيادة واحدة يرأسها جميعا وزير حربية متخصص وهو في نفس الوقت القائد العام ، وهو قائد مشهود له بالكفاءة والعلم . كما تم التدريب على الخطة مرارا وتكرار بكل تفاصيلها وفي مناطق مشابهة تماما لأرض المعركة ، تحت الاشراف الدقيق لقادة الفرق والجيوش ورئيس اركان حرب القوات المسلحة شخصيا ، كما بذلت القيادة السياسية جهودا مكثفة للوصول الى تضامن عربي كامل وتعاون وثيق وكسب للرأي العام وتوفير قدر مناسب من السلاح والعتاد والذخيرة .

يصعب على اي متخصص ان يجد ثمة إعـداداً لحرب يونيو من اي نوع ، واذا كنا نعلم ان اعداد الدولة للحرب يسير في خمسة اتجاهات رئيسية هي : اعداد القوات المسلحة ، واعداد الاقتصاد واعداد اراضي الدولة مسرحا للعمليات الحربية المنتظرة ، واعداد الشعب ، واخيرا اعداد الدولة على المستوى الدولي .

فانه بالنسبة لإعداد القوات المسلحة ، يكفي ان نذكر ان ثلثي القوات المسلحة كان ـ قبل حرب ١٩٦٧ـ متورطا في مغامرة اليمن التي افقدتها اهم مقوماتها وهو الانضباط ، وصلاحية الاسلحة والمعدات ، وقدرتها على ادارة حرب حديثة ضد جيش نظامي لا حرب عصابات . هذا بالاضافة الى صراع القمة على السلطة الذي سبق الحديث عنه ، وكذا الصراع بين وزير الحربية ورئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة وقادة الافرع الرئيسية الثلاثة ، على الاختصاصات والصلاحيات لاعلى المسئوليات والواجبات ، واخيرا انشغال القوات المسلحة بأمور جانبية مثل : الحراسة ، ولجان الاقطاع ، والنقل العـام ، وكرة القدم ، ومحاكمات الاخوان المسلمين . . الخ وتهافت الضباط على النقل الى السلك السياسي او شركات القطاع العام او الحصول على شقق الحراسة وعربات النصر .

لقد ترتب على ذلك أن دفعت القوات المسلحة الى مسرح العمليات بسيناء وهي غير مستعدة لأي قتال على الاطلاق وعلى غير خطة ، بل بصورة ارتجالية ، حتى ان بعض افراد قواتنا وصلوا الى المسرح وهم بملابسهم المدنية ، وان كثيرا من دباباتنا كانت تتعطل على الطريق ، وان طائراتنا كانت مصطفة في عدد محدود من المطارات ، كأنها عربات تاكسي في موقفها منتظرة وصول الزبائن من طائرات العدو المغيرة .

وبالنسبة لإعداد الاقتصاد لمتطلبات الحرب واعداد اراضي الدولة كمسرح للعمليات واعداد الشعب عسكرياً، فما اظن احدا سمع عن هذه الامور الا بعد الهزيمة .

ويكفي ان نقول ان الرغبة في ضغط المصروفات كانت سببا في تخفيض وقود وذخيرة التدريب الى درجة جعلته صوريا غير مجد ، كما كانت سببا في اقتصار التجهيز الهندسي لمسرح العمليات على نطاق دفاعي واحد غير كامل ، وكذلك كانت سببا في ايقاف استعواض الرديف من الوحدات قبل موعده بشهرين واجل استعراضه لثلاثة اشهر اخرى قامت الحرب اثناءها ، وفي عدم استدعاء الاحتياط طبقا للخطة الموضوعة لاختيارها وتطبيقها عملياً، واخيرا في عدم اجراء اي مناورة ما على امتداد سبع سنوات متتالية . اما بالنسبة لاعداد الدولة على المستوى الدولي، فكلنا نذكر كيف كانت علاقاتنا مع اشقائنا العرب وكيف قطعنا علاقتنا مع معظم الدول الكبرى . . من امريكا بسبب موقف مصر في الكونغو واليمن . . مع انجلترا لموقفها مع مشكلة روديسيا . . مع المانيا الغربية بسبب صفقة الدبابات «ليوبارد» الى اسرائيل .

وبالمقابل نجد ان قواتنا المسلحة امضت السنوات الست التي انقضت بين الجولتين، في تحضير وإعداد وتخطيط مستمرين أثمرا عن نصر أكيد، ولم يكن هذا النصر وليد جهد عام او عامين او انه جاء مصادفة او نتيجة ضربة حظ عارضة ، بل وليد جهد وعرق ودم جميع افراد شعبنا المكافح بصفة عامة وقواتنا المسلحة بصفة خاصة، ابتداء من القائد الاعلى الى اصغر جندي خلال السنوات الطويلة التي حرم فيها الشعب نفسه من ضروريات الحياة ليوفر لجيشه المال والسلاح ، وحرم فيها افراد القوات المسلحة انفسهم من الراحة ومتع الحياة ورعاية أولادهم، ولا شك ان السلاح الذي كان في ايدي قواتنا على قلته

وتواضع نوعيته، ما كان ليحقق هذا النصر، ما لم يكن قد احسن استخدامه التدريب الشاق الطويل عليه ، كما ان العقبات التي كانت تقابل قواتنا من اقتحام القناة واجتياز الساتر الترابي وتحطيم خط بارليف،ما كانت ستزال لو لم يبذل المتخصصون الجهد والعرق والوقت، في سبيل الوصول الى وسائل فعالة للتغلب عليها .

معرفة العدو :

لعل من اهم اسباب نكسة يونيو ١٩٦٧ هو عدم معرفتنا بالعدو سياسيا ونفسيا وعسكريا ـ فمن الناحية السياسية والنفسية، لم ندرس نوايا العدو ومزاجه ونوع ردود فعله . ورغم مداومة المسئولين الاسرائيليين على التأكيد بأن اسرائيل تدخل الحرب حتما في الحالات الثلاث الآتية :

١ ـ اذا ما تعرضت ملاحتها في خليج العقبة للحصار البحري .

٢ ـ اذا مانشطت عمليات الفدائيين العرب داخل اراضيها بصورة تؤثر على امنها القومي .

٣ ـ عند نشوب اعمال تعرضية من اعدائها .

وتود اللجنة ان تؤكد ان هذه هي الاسبقية التي حددتها اسرائيل لدخولها الحرب . ورغم ذلك قمنا بغلق خليج العقبة ونحن غير مستعدين سياسيا او اقتصاديا او عسكريا للحرب ، وبحشد قواتنا المسلحة في مظاهرة عسكرية ضخمة على امل ان نخدع العدو، فكنا نحن المخدوعين، فضلاعن اعطاء اسرائيل الحجة والذريعة والمبرر امام الرأي العام العالمي لشن الحرب .

ومن الناحية العسكرية ، فاننا لم نكن نعرف الا القليل عن اسرائيل ، سواء من حيث حجم قواتها المسلحة وكفاءتها القتالية ، ونوع تسليحها ، او

من حيث نواياها وخططها العسكرية واساليب قتالها، وعلى سبيل المثال ، لم نكن نعلم عددطائراتهـا ومدى عملها ولا قنبلة الممرات التي استخـدمتها لقفل مطاراتنا ، ولا الوقت اللازم لاعادة ملء الطائرات بالذخيرة والوقود وبالتالي كم طلعة يمكن للطائرة القيام بها يوميا ، ولا اسلوب استخدام دباباتها . . الخ .

لقد دخلنا حرب يونيو ١٩٦٧ ونحن نجهل الكثير عن العدو، ورغم الملايين التي كانت تصرف على اجهزة المخابرات التي كان همها الاول الامن الداخلي لا الامن الخارجي .

وبالمقابل ، فانه بمجرد انتهاء ترتيب البيت واستلام القادة مناصبهم بعد انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧ ، بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة عملا طويلا شاقا ، فأجرت العديد من التقديرات والدراسات ، ووضعت في الاعتبار جملة عناصر اساسية لا غنى عنها لبلوغ النجاح ، وتحقيق التخطيط السليم والتنسيق الوثيق وكان اهمها :

١ ـ دقة تحليل نظرية الامن الاسرائيلي ، وتحديد جوانب القوة والضعف فيها .

٢ ـ دراسة المزاج النفسي للقيادتين السياسية والعسكرية الاسرائيليتين ، والاسلوب المتوقع منها للتصرفات وردود الفعل .

٣ ـ جمع المعلومات الدقيقة عن العدو ، ودراسة نظامه الدفاعي على قناة السويس ، وتقييم قدراته واقعيا ، دون تهويل او تهوين .

٤ ـ تحديد الاسلوب المناسب لإعداد واعادة تنظيم القوات المسلحة المصرية بما يتلاءم وطبيعة المهام الصعبة التي سوف تواجهها .

٥ ـ التركيز الكامل على وسائل توفير النجاح ، وعلى رأسها تحقيق المفاجأة

الكاملة ، مع حسن استغلال العوامل السياسية والعسكرية المحيطة بالموقف .

وبالنسبة لإهدار نظرية الامن الاسرائيلي ، حددت القيادة المصرية عدة اتجاهات رئيسية بنت عليها خطتها ، كان اهمها :

١ ـ حرمان العدو من تفوقه الجوي ، وذلك بانشاء نظام دفاع جوي متكامل حديث وقوي يستطيع شل قدرة طيران اسرائيل .

٢ ـ حرمان اسرائيل من القيام بتوجيه الضربة الأولى ، وذلك بمفاجأتها وسبقها في توجيه الضربة الاولى .

٣ ـ تحقيق المفاجأة الكاملة وفرض المعركة على العدو قبل اتمام استعداد قواته وتعبئتها وحشدها ، وبذلك تحرمه من توجيه ضربات قوية بقواته المدرعة في المراحل الاولى للهجوم الى قواتنا من المشاة ، التي اقتحمت القناة بلا دبابات او مدفعية .

٤ ـ اقناع اسرائيل ان وجودها في شرم الشيخ ليس هو الحل المثالي لتأمين الملاحة الاسرائيلية في البحر الاحمر ، وذلك بفرض الحصار البحري على باب المندب والبحر الاحمر .

٥ ـ اقناع اسرائيل بان الدفاع ، مهما كان حصينا ويعتمد على مواقع طبيعية او صناعية كخط بارليف ، فهو عرضة للاختراق والتدمير طالما كانت القوات المهاجمة من القوة والكفاءة والتصميم بالقدر الذي يضمن لها النصر .

٦ ـ اقناع اسرائيل بخطأ استراتيجية الحرب الخاطفة التي تعتمد على ثنائي الطائرة والدبابة فقط ، وذلك بفضل كفاءة الدفاعين المضادين للطائرات والدبابات ، وأن الحرب الحديثة هي حرب اسلحة مشتركة تعتمد على التعاون الوثيق بين جميع الاسلحة ، لا على سلاحين اثنين فقط .

وبالنسبة لدراسة الفكر الاسرائيلي ومزاجه النفسي ، فقد احتل مكانا هاما في تقديرات جهاز التخطيط بالقيادة العامة المصرية ، وكانت تلك الدراسة العميقة لمفاهيم الفكر الاسرائيلي ومعتقداته وقوالبه وانماط تصرفاته ،هي حجر الزاوية في تحديد العوامل المؤثرة على تحقيق المفاجأة ، والمنطلق المناسب لإمكان خداع العدو ومباغتته ، وادارة الاعمال التحضيرية والتنفيذية بشكل لم يألفه العدو من قبل .

اما بالنسبة للحصول على ادق واحدث المعلومات عن العدو اولا بأول وتحديد حقيقة قدرات العدو ، ونقاط القوة ومكامن الضعف في نظامه الدفاعي ، فقد استخدمت جميع وسائل الاستطلاع المتيسرة لدى قواتنا المسلحة من طائرات واجهزة الكترونية ولاسلكية ودوريات واغارات بالقوات .

ونتيجة لهذه المعلومات وتحليلها ، كان لزاما على القيادة المصرية أن تعمل قدر المستطاع ،على اضعاف او تجميد نقاط القوة لدى العدو واستغلال نقاط ضعفه . . وقد كان .

واخيرا فبالنسبة لتحقيق المفاجأة الكاملة ، فقد بذلت جهود مكثفة على مختلف قطاعات الدولة ، لخداع العدو عن نية الهجوم رغم ان استعداداتنا له كانت تجري تحت بصره وسمعه . ورغم ادعاء مخابرات اسرائيل بأنها تعلم كل همسة تجري في الغرف المغلقة للدول العربية ، ورغم تعاون هذه المخابرات مع مخابرات الدول الغربية وخاصة وكالة المخابرات المركزية الأميركية .

تحقيق المفاجأة وامتلاك المبادأة :

ان اسرائيل لم تفاجئنا صبيحة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ولكننا نحن الذين

فاجأنا أنفسنا، إن صح هذا التعبير . كلنا نعلم ان عقيدة اسرائيل كانت ولا تزال مبنية على الآتي :

- الاعمال التعرضية هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق اهدافها .
- الحرب الخاطفة لسرعة تحقيق أهدافها، لقلة سكانها وضعف قدرتها الاقتصادية على القتال لمدة طويلة .
- الحرب الوقائية اي السبق بالهجوم عندما تستشعر خطرا يهددها . اي العمل على تدمير القوات المسلحة العربية قبل ان تصل الى المستوى الذي يمكنها من القيام بالهجوم عليها .
- ضرورة تحقيق المفاجأة وامتلاك المبادأة منذ اللحظة الاولى والاحتفاظ بها طوال فترة القتال .
- التهديد بالحرب عند قيام اي اتجاهات عملية للترابط او التقارب العربي .
- ضمان تحقيق النتائج وعدم القيام بأي مجازفة غير مضمونة النتائج .
- ضمان التأييد الخارجي ومؤازرة دولة كبرى ، واختيار الظروف الدولية المناسبة .

فاذا اضفنا الى كل ذلك ما سبق ان ذكرناه من استبعاد حق اسرائيل للحرب ، ثم تاملنا ما حدث في الفترة التي سبقت يوم ٥ يونيو ٦٧، نجد اننا ازحنا قوات الطوارىء الدولية وقفلنا خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية ، وزدنا من غارات الفدائيين من اتجاهات مختلفة، وعقدنا اتفاقية دفاع مشترك مع سوريا في ٤ نوفمبر ١٩٦٦، ومع الأردن في ٣١ مايو ١٩٦٧، وبذا تمّ قفل حلقة الحصار العربي حول اسرائيل ، وحشدنا جميع

القوات المسلحة للدول العربية المتاخمة لاسرائيل ، ثم سمحنا لاسرائيل بأن تستطلع قواتنا . . حجمها وأوضاعها بل وخططها . وهدّدنا اسرائيل بإلقائها في البحر ، وكثّفنا دعايتنا وعقدنا المؤتمرات الصحفية ، الاستفزازية . . والنتيجة أن اسرائيل لم تجد أمامها إلاّ أن تسارع بالهجوم تطبيقاً لعقيدتها للقضاء على الخطر الذي يهددها قبل بدئه ، أو تحقيقاً لأهدافها التوسعية إن لم يكن العرب جادين للحرب .

لقد ترتّب على هذا التغيير الحاد في الموقفين السياسي والعسكري لصالح الدول العربية وضد اسرائيل أن شكلت وزارة حرب وفرضت التعبئة الشاملة في اسرائيل ، واستدعي الجنرال موشي دايان رجلها في المهمات ليتولى وزارة الدفاع يوم أول يونيو ، وصدّق مجلس الحرب على أهداف الحرب ، ثم وافق عليها مجلس الوزراء بأغلبية جميع الأصوات عدا صوتين اثنين . ورغم توافر جميع الدلائل والشواهد التي تؤكد عزم اسرائيل الأكيد على شنّ الحرب ، ورغم تحذير الرئيس الراحل يوم ٢ يونيو بأن اسرائيل سوف تبدأ عدوانها خلال يومين أو ثلاثة ، وأنها سوف تبدأ بضربة جوية مركزة ، وأنها تعتمد على المفاجأة، وان معركتها قصيرة ، فإن درجات اليقظة لم تزد ، بل قلّت في بعض أفرع القوات المسلحة ، حتى ان القادة الذين حضروا اجتماع الرئيس لم يكلفوا أنفسهم مشقة تبليغ هذا التحذير الى مرؤوسيهم ، وبدلاً من ذلك أقامت القوات الجوية ليلة ٥/٤ يونيو حفلة ساهرة راقصة الى الصباح .

كل ذلك يؤكد انه توافرت لدينا كل الظروف لاستبعاد المفاجأة الاستراتيجية .

اما عن الناحية التكتيكية ، فان اسرائيل لم تتبع اسلوبا واحدا لم يكن معلوما لنا ـ اللهم الا لادارة المخابرات الحربية ـ بل ان التقرير الرئيسي لمؤتمر البحوث العسكرية الذي قدم لجميع المسؤولين يوم ١٤ ابريل ١٩٦٧ ، ابتداء من نائب القائد الاعلى الى قادة الفرق، يوضح تماما الاسلوب الذي اتبعته اسرائيل في عدوانها في يونيو ١٩٦٧ .

ورغم كل ذلك ، فاننا لا نزال نتحدث عن مفاجأة العدو لنا صبيحة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وبالمقابل فقد حرصت القيادة المصرية عقب حرب يونيو ١٩٦٧ مباشرة، على ان تثأر لهزيمتنا وترد على الضربة الجوية المفاجأة وان تثبت لاسرائيل وللشامتين وللعالم اجمع ان المفاجأة ليست وقفا على اسرائيل وان في جعبة المصريين الكثير اذا خلصت النوايا وعقدوا العزم وتخلوا عن اللامبالاة واتسموا بالجدية .

لقد سبق ان اوضحت اللجنة، أن دراسة المفكر الاسرائيلي ومزاجه النفسي،احتلت مكانا بارزا في تقديرات جهاز التخطيط المصري ، فالعدو كان ولا يزال يعاني من ثقة مفرطة بالنفس ، ويزهو بقوته العسكرية التي يخالها شديدة البأس ، وقد ادى به الغرور الى تصور وجود فجوة حضارية كبيرة وفارق تكنولوجي ضخم بينه وبين العرب. اما التخطيط لاقتحام مانع مائي مثل قناة السويس واختراق خط حصين مثل قلاع خط بارليف، فهذا امر يستحيل ان يجروء عليه جيش مصر او يفكر فيه . بل بلغت به اوهامه أن تصور له ان القيادة السياسية المصرية غير قادرة على اتخاذ قرار الحرب او ادارة الصراع الشامل بكفاءة، ضمن اطار الموقف الدولي المعاصر والظروف العربية السائدةوقتئذ . . وليس عام ١٩٧١ . . عام الحسم . . . ببعيد !!

ومن ناحية اخرى كانت اسرائيل تتخيل ان الوحدة العربية خرافة ، وان التضامن العربي وهم . . . وبالتالي ، فان هجوما شاملا تشترك فيه اكثر من دولة عربية ، امر بعيد الاحتمال .

تلك بعض المعتقدات التي ذخر بها الفكر الاسرائيلي والتي ادت بقيادتها الى استنتاجات خاطئة لا تطابق ولا تتمشى مع الواقع . وقد ساعدنا كل ذلك على تحقيق المفاجأة .

ومن العوامل الرئيسية التي ساعدت على تحقيق المفاجأة، وضع خطة للخداع الاستراتيجي، فقد نظمت الخطة على عدة مستويات عسكرية ، وعلى مستوى الدولة ووضعت لها الجداول الزمنية التي سارت جنبا الى جنب مع توقيتات الاعمال التحضيرية بخطة العمليات .

ومن الضروري التنويه الى ان تحقيق المفاجأة الكاملة في عصرنا الحالي الذي تتوفر فيه ارقى وسائل الاستطلاع والمخابرات وأحدث وسائل التجسس، يعتبر أمراً يكاد يكون من المستحيل تحقيقه . ذلك ان الاعمال التحضيرية لأي عملية هجومية وما تستلزم من حشد للقوات ، وتحريك للكثير من المعدات وعلى راسها معدات العبور الثقيلة ، وتكديس الذخيرة والمؤن ، ليس من الممكن إخفاؤها وخاصة في الاراضي الصحراوية المفتوحة مثل جبهة قناة السويس ، فضلا عن ان القوات المصرية على اتصال مباشر مع العدو، ولا يفصلها عنه سوى ٢٠٠ متر وهي عرض القناة . ولذلك كان اخفاء نية الهجوم هو هدف القيادة المصرية، رغم وجود شواهده ودلالاته ، ولقدنجحت القيادة في تحقيق ذلك إلى أبعد الحدود .

○ استغلال نقاط القوة لدينا ونقاط الضعف لدى الخصم :

عقب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، اصدر موشي دايان كتابا بعنوان «يوميات معركة سيناء» حدد فيه نقاط ضعف القوات المسلحة المصرية كما يراها، والتي يتلخص اهمها في الآتي :

١ ـ ضعف المرونة الذهنية لجهاز التخطيط والمتابعة والتأثير الكبير على قدراته بتحقيق المفاجأة ضده .

٢ ـ الارتباك الذهني للقيادات والقوات، بمجرد انتهاج العدو اسلوبا غير متوقع .

٣ ـ ميل القوات المسلحة المصرية الغريزي الى الاستهانة بالعدو خلال مراحل التخطيط للحرب، ثم المبالغة في تقدير القوات المعادية خلال سير القتال نفسه .

٤ ـ البطء الشديد في وصول الاوامر الى القوات المرؤوسة وكذا في ارسال المعلومات الى القيادات الاعلى . . . مما جعل رد فعلها متأخراً وغير مؤثر .

٥ ـ ظهور العدو على اجناب ومؤخرة الدفاعات، يسرع بانهيارها ذهنيا ثم واقعيا بسهولة .

٦ ـ تعرض العمق التعبوي للمسرح وخطوط المواصلات الى عمليات تسلل او توغل عميق يهز الدفاعات الثابتة الحصينة الامامية هزات قاتلة ، ويسرع بسقوطها «كثمرة ناضجة» .

٧ ـ ضعف مستوى التطعيم للمعركة للقوات البرية بالنسبة للعمل .

تحت ظروف الاحوال الجوية المعاكسة (تفوق العدو الجوي) ، وفقد الدفاعات المجهزة لقيمتها وقدرتها .

٨ ـ انعـدام القدرة القتـالية للقـوات المصريـة لحظة تـركها الاستحكامات الميدانية المجهزة .

٩ ـ عدم قدرة القوات المصرية على تنظيم عمليات انسحاب منظمة سواء من الناحية النظرية او العملية ، وخاصة تحت سيطرة العدو الجوية . •

١٠ ـ مبالغة جهاز التخطيط المصري في تقييم السلاح ، لا الرجل خلف هذا السلاح .

ورغم ترجمة هذا الكتاب ونشره وتوزيعه على مختلف المستويات ، الا انه لم تتخذ اي خطوة لتلافي هذه العيوب او قل الحقائق، ودخلنا حرب يونيو ١٩٦٧ ولم يبدأ بعد اي اصلاح لانشغال القيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة الحربية وشللها بامور اخرى اهم وأخطر، وهي السيطرة على مقاليد الحكم في البلاد . . فكانت الهزيمة . .

وعقب انتهاء حرب يونيو مباشرة ، عملت القيادة العامة تحت اشراف القائد الاعلى جاهدة على تلافي هذه العيوب ، ولقد استغرق كل هذا وقتا ليس بالقليل واصبحت نقاط الضعف قوة على اساس ان العدو لا زال مقتنعاً بأننا لا زلنا نعاني من هذه العيوب، ولعل ذلك كان أحد أسباب التأخير في أخذ الثأر واسترداد الكرامة .

كما قامت القيادة العامة ببث روح الايمان والوطنية في نفوس المقاتلين

جميعاً،وانشأت لذلك جهازا خاصا هو « ادارة الشؤون المعنوية » على اساس الجهاد في سبيل الله وان النصر يتوقف على مطلبين او شرطين لا بديل عنهما :

اولا : حتمية اتخاذ الاسباب المؤدية الى النصر من تنظيم وتسليم وتدريب واستخدام للسلاح بكفاءة .

ثانيا ـ ان يكون كل منا مؤمنا تمام اليقين، أن كل هذا الإعداد ليس اكثر من جزء ضئيل من العدة ولكنه ضروري ، اما الجزء الاكبر منها فهو ايماننا بالله واعتمادنا عليه « كان حقا علينا نصر المؤمنين » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » ، « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

ولم تكتف القيادة المصرية باستغلال جميع نقاط القوة لديها من تفوق في القوة البشرية ومناسبة الموقف العام داخليا وعربيا وعالميا في صالحها ، بل عمدت الى استغلال نقاط الضعف لدى العدو وهو ما سبق ان اوضحته اللجنة عندما تعرضت لعنصر معرفة العدو ، وتحقيق المفاجأة .

لقد اراد العدو ان تكون الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة نسخة مكررة من الجولة الثالثة فجعلها التضامن العربي والمقاتل العربي الصلب والقيادات العسكرية العربية الجديدة نسخة مقلوبة ومعكوسة منها .

وبهذا يتأكد ان هزيمة ١٩٦٧ ، قد كانت امرا غريبا في حياتنا العسكرية .

* * * *

وبعد ، فلعل ما ورد في هذا التقرير يكشف عن اهمية الدراسة العلمية لهزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، التي اختلفت التفسيرات بصددها ، ومن ثم فان التقرير لا يزعم انه يقدم اجابات نهائيا على كل التساؤلات المطروحة بل يفتح الباب لمزيد من التساؤلات ، من اجل ان توضع هذه الهزيمة في اطارها الصحيح ، وفي نفس الوقت ، فانه يقدم عددا من التفسيرات المبدئية المبنية على دراسات جزئية سبق للخبراء ان قاموا بها من قبل .

ان اللجنة وهي تتقدم بتقريرها ، الذي راعى اعتبارات الموضوعية مراعاة كاملة ، لتدرك انه يسهم بذلك اسهاما متواضعا في دراسة حدث بالغ الخطورة في تاريخ مصر المعاصر ، كانت له آثاره الجسيمة ، حتى نستطيع ان نجابه التحديات الخطيرة في عالم اليوم بثقة مطلقة في أصالة تراثه الحضاري ، وفي قدرته على تحقيق الحداثة والعصرية ، واللجنة اذ ترفع تقريرها الى المجلس الموقر ، ترجوه دراسته ، وتقرير ما يراه بشأنه من اجراءات .

رئيس اللجنة الخاصة

(محمد حمدي عاشور)



الخاتمة

كتب سلوين لويد وزير خارجية بريطانية اثناء العدوان في مذكراته ، التي جعل عنوانها « السويس ١٩٥٦ » . .

« . . طلبنا من رؤساء الأركان أن يعدوا لنا خطة جديدة، وفي هذه الخطة حلّت بورسعيد محل الاسكندرية كهدف لإنزال بحري، وكان من المفروض أن يتم تنفيذ الخطة على ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : تحييد سلاح الطيران المصري واخراجه من المعركة . . » .

* * *

وقام الفريق اول صدقي محمود قائد سلاح الطيران المصري ،بتنفيذ المرحلة الاولى . . وتم تدمير الطائرات المصرية وهي رابضة في مطاراتها . . وهكذا تم تحييد سلاح الطيران المصري . .

* * *

ويقول سلوين لويد . .

« إن دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة، كان متفقا على ضرورة الاطاحة بحكم عبد الناصر . . » .

* * *

صباح يوم الجمعة ٩ يونيو ،ذهب عبد الناصر الى مبنى القيادة،عندما بلغه ان كبار الضباط المجتمعين هناك يريدون التحدث اليه في امور كثيرة .

وبعد ان جلس عبد الناصر فوجيء بشمس بدران يقول له :

ـ رأيك ايه في اللي حصل ؟

ورد عبد الناصر :

ـ انها نكسة مؤلمة جداً .

وعاد شمس بدران يسأل :

ـ ولكن من يتحمل مسئوليتها ؟

و هنا أحس عبد الناصر ان شيئا ما قد طرح بين المجتمعين على بساط البحث ، وانهم طرحوه قبل ان يأتي . . فقال عبد الناصر :

ـ تفتكروا الوقت ، وقت تحديد المسئولية ؟! .

وقال شمس بدران :

ـ طبعا

وأيده الفريق هلال عبد الله هلال . . فتدخل زكريا محي الدين قائلا :

ـ كلنا نتحمل المسئولية ويجب ان نكون على قدر كاف من الشجاعة لمواجهة الجماهير ، وان لا تقع فريسة النكسة ! .

وعاد شمس بدران يقول :

ـ لكن الريس هو اللي خطط للمعركة وهو اللي بيأمر . . وأمر مـن إحنا

ثم كشف شمس بدران صراحة عن رأيه فقال ما معناه ان على عبد الناصر ان يفسح المجال لغيره .

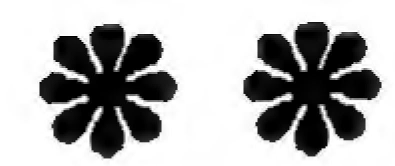
***

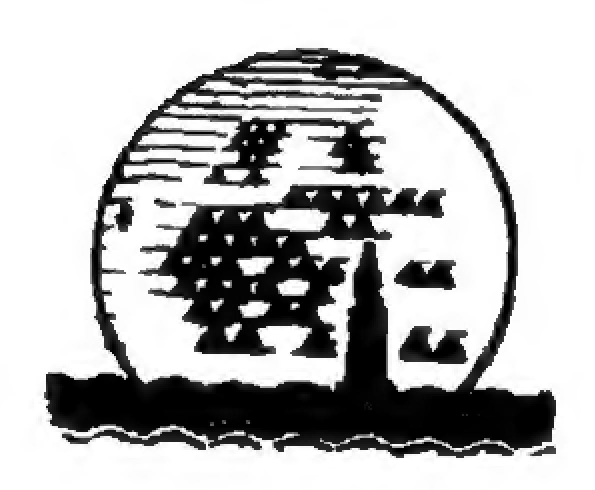
وتلاقت اهداف المتآمرين الخونة مع اهداف الاستعمار .

ستار

الفهرس

المقدمة :

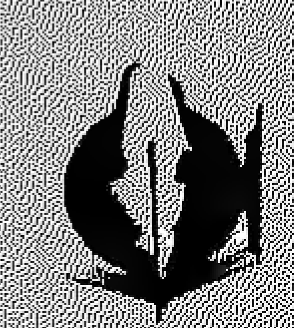




لن تكون هذه الكلمة الأخيرة في أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ .. فهذا الكتاب ليس سوى محاولة أولى ، فكما قال عبد الناصر في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ :

« .. حرب ٥٦ لم نعرف اسرارها الا العام الماضي . حرب ٦٧ ، لن نستطيع معرفة أسرارها اليوم .. ولكن بعد سنوات .. » .

واني على ثقة ان اجيالا قادمة ، لم تلوثها قذارات المرحلة الحالية سوف تنبري لتبرئة الشعب مما حدث في ٥ يونيو .. او في كامب ديفيد سوف تثبت قدرات هذا الشعب العريق وتجدد حضاراته القديمة ليلحق بانسان العصر ...



منشورات دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ص.ب ٦٦٩٢ ـ ١١٣

السعر : ٢٨ ل.